سلسلة أبحاث كتابية/٢٥

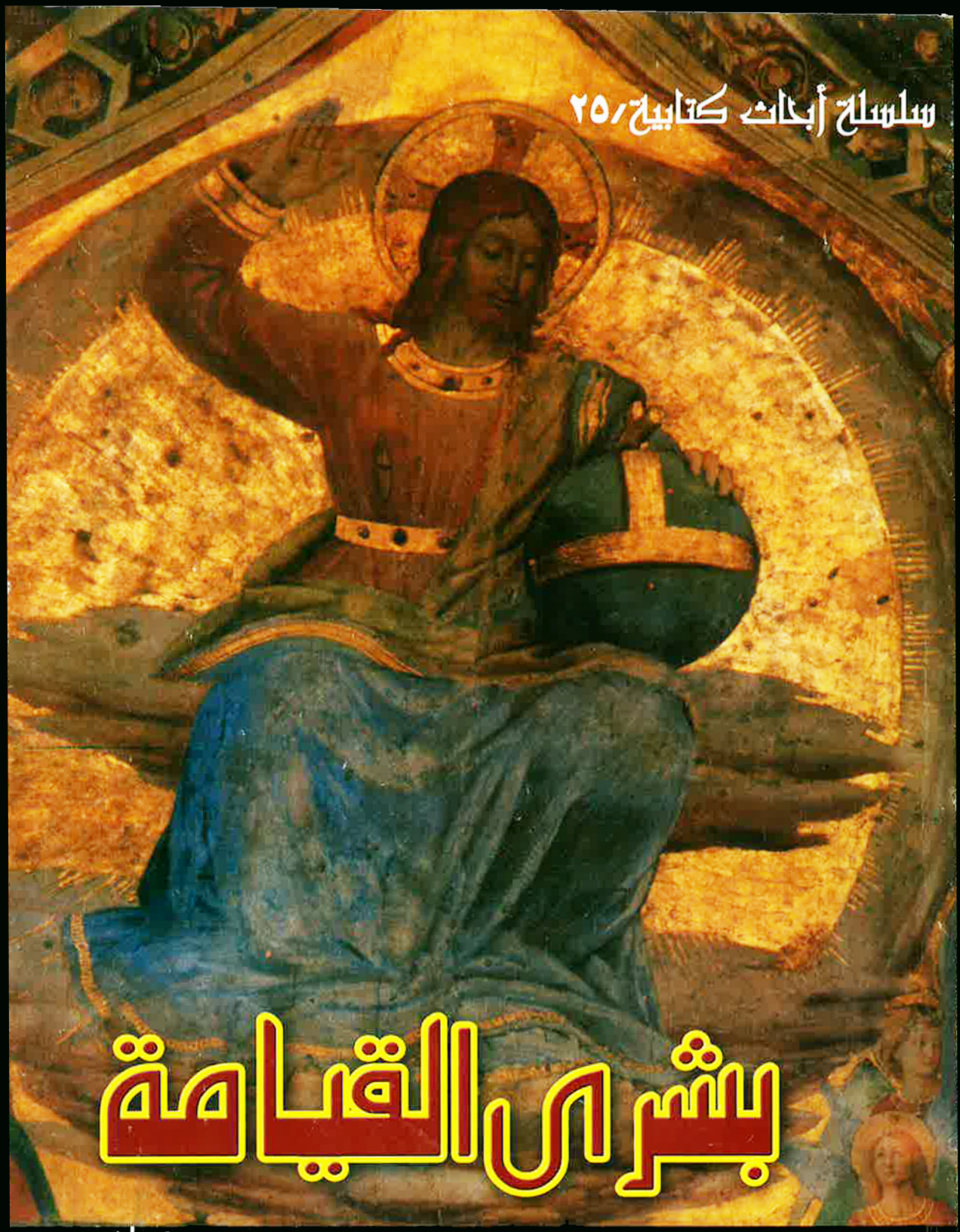

بشرى القيامة

تأليف: نخبة من الاختصاصيين
تعريب: الأب بيوس عفاص

دار بيبليا للنشر
الموصل ٢٠١٤

المسيح ديان الكون
فرا انجيليكو
جدارية في قبة معبد [١٤٤٧]

الوجه الأقدس
مدرسة نوفورود - القرن ١٢
[متحف ترتياكوف - موسكو]

بشرى

القيامة

عنوان الكتاب بالفرنسية

Collectif

La Bonne Nouvelle de la Résurrection

Coll. Lire la Bible, No. 66

Ed. du Cerf, Paris 1981

دار بيبليا للنشر/ كنيسة مار توما – الموصل(العراق)

e-mail: bibliamosul@yahoo.com

تطلب كافة منشورات دار بيبليا

• العراق: مكتبة بيبليا – كنيسة مار توما – الموصل

• لبنان : مكتبة جامعة الروح القدس – الكسليك

المكتبة البولسية (وفي فرعيها: بيروت وزحلة)– جونيه

مكتبة دير مار الياس – انطلياس

مكتبة دير القيامة – شبروح

سلسلة أبحاث كتابية / ٢٥

بشرى القيامة

بقلم

م. كون، ج. ديلورم، ج. كايد، ج.- م. كامبييه، ك.م. مارتيني،

د. مولاّ، أ. ريدوارد، ج. سينيف، و. تريلينغ

(باشراف ر. كانتوي)

نقله الى العربية

الأب بيوس عفاص

اصدارات

مركز الدراسات الكتابية

الموصل – العراق

٢٠١٤

كلمة الناشر

فيما لا زال القراء يترقبون ظهور سفر أعمال الرسل لتكتمل به سلسلة تفاسير (٢٣/٥)، هوذا كتاب "بشرى القيامة" (ابحاث/٢٥) -يُسبَّق عليه- كما كان "الدليل الى العهد الجديد" (ابحاث/٢٤) قد سُبِّق هو الآخر! ولكن ما اروعها صدفة: ان يتزامن ظهور "بشرى القيامة" مع عيد القيامة، وقد التقت الكنائس المسيحية كلها هذا العام للاحتفال به معاً -ويا ليتها تلتقي دوماً!

لا يخفى ان حقيقة القيامة هي في القلب من الايمان المسيحي بصفتها الحدث المؤسس له، وعليه يقوم الرجاء المسيحي، بيقين ان الذي اقام يسوع من بين الاموات سيقيمنا نحن ايضاً معه. ألم يكتب القديس بولس: إذا كان المسيح لم يقم، فتبشيرنا باطل وايمانكم ايضاً باطل... وإذا كان رجاؤنا في المسيح مقصوراً على هذه الحياة، فنحن أحق الناس بأن يُرثى لهم؟!

وتعتمد هذه الحقيقة على وحي تلقته الجماعة المسيحية الاولى وقبلته في الايمان، وهو ان الله الوفي على مر التاريخ المقدس، انجز مع يسوع -وهو الامين الذي طابق ارادته مع ارادة الله- فعل وفاء لا نظير له، إذ أقامه من بين الاموات وجعله "رباً ومسيحاً"، واناط به الخلاص لكل الامم... وتجلّى فعل الله مع يسوع حين قال فيه: انت ابني الحبيب عنك رضيت، وحين أعلنه ابناً ينبغي الاصغاء اليه: هذا هو ابني الحبيب، له اسمعوا!

هذه الحقيقة الكبرى في الايمان المسيحي عاشتها الجماعة المسيحية الناشئة وبشرت بها على مدى سنين، قبل ان يعمد بولس الرسول في الخمسينات إلى كتابة رسائل تتمحور حول الايمان بالقيامة، وقبل ان يعمد، منذ بدء السبعينات، انجيليون كان همهم الوحيد ان يجعلونا نؤمن بها ونحيا منها ونعكس متطلباتها.

خمسة نصوص موزعة على عشرة فصول بقلم تسعة من الاختصاصيين الكبار انكبّوا على تحليل روايات القيامة التي بها ذيّل الانجيليون الاربعة مؤلفاتهم، فضلاً عن نص بولس (١ قور ١٥)، تحليل يكشف النقاب عن ما يختفي وراء هذه النصوص من معان وابعاد، وكلها تحملنا على عيش خبرة ايمانية اصيلة مع المسيح الحي...

وهذا الكتاب في بشرى القيامة -وقد سبقته "روايات الآلام والقيامة بحسب الانجيلين الاربعة" (ابحاث/٩-١٠، بيبليا للنشر ٢٠٠٦)- يسهم، بمضمونه العميق واسلوبه الجذاب، في توسيع وتعميق ايمان المسيحيين بهذه الحقيقة الكبرى التي هي في القلب من التاريخ، ولها منذ الفي عام شهودها لا بل شهداؤها الذين لا يبخلون بدمائهم في الدفاع عنها!

الموصل في ٣٠ ك٢ ٢٠١٤

مع تحيات دار بيبليا للنشر

الترتيب الابجدي لاسفار الكتاب المقدس

اعتمدنا المختصرات لمراجع الاسفار المقدسة، وفقاً لطبعة دار المشرق. واليكم قائمة بها:

أح	الاحبار
١ أخ	سفر الاخبار الاول
٢ أخ	سفر الاخبار الثاني
ار	ارميا
اس	استير
اش	اشعيا
اف	الرسالة الى اهل افسس
أي	ايوب
با	سفر باروك
١ بط	رسالة القديس بطرس الاولى
٢ بط	رسالة القديس بطرس الثاني
تث	تثنية الاشتراع
١ تس	الرسالة الاولى الى اهل تسالونيقي
٢ تس	الرسالة الثانية الى اهل تسالونيقي
تك	التكوين
جا	الجامعة
حب	حبقوق
حج	حجاي
حز	حزقيال
حك	سفر الحكمة
خر	الخروج
دا	دانيال
را	سفر راعوث
رسل	اعمال الرسل
روم	الرسالة الى اهل رومة
رؤ	الرؤيا
زك	زكريا
سي	يشوع بن سيراخ
صف	صفنيا
١ صم	سفر صموئيل الاول
٢ صم	سفر صموئيل الثاني
طو	طوبيا
طي	الرسالة الى طيطس
١ طيم	الرسالة الاولى الى طيموثاوس
٢ طيم	الرسالة الثانية الى طيموثاوس
عا	عاموس
عب	الرسالة الى العبرانيين
عد	العدد
عز	سفر عزرا
عو	عوبديا
غل	الرسالة الى غلاطية
ف	الرسالة الى فيلمون
فل	الرسالة الى اهل فيلبي
قض	سفر القضاة
١ قور	الرسالة الاولى الى اهل قورنتس
٢ قور	الرسالة الثانية الى اهل قورنتس
قول	الرسالة الى اهل قولسي
لو	الانجيل كما رواه لوقا
متى	الانجيل كما رواه متى
مثل	الامثال
مر	الانجيل كما رواه مرقس
مرا	المراثي
مز	المزامير
١ مك	سفر المكابيين الاول
٢ مك	سفر المكابيين الثاني
١ مل	سفر الملوك الاول
٢ مل	سفر الملوك الثاني
ملا	ملاخي
مي	ميخا
نح	سفر نحميا
نحو	نحوم
نش	نشيد الاناشيد
هو	هوشع
يش	سفر يشوع
يع	رسالة القديس يعقوب
يو	الانجيل كما رواه يوحنا
١ يو	رسالة القديس يوحنا الاولى
٢ يو	رسالة القديس يوحنا الثانية
٣ يو	رسالة القديس يوحنا الثالثة
يوء	يوئيل
يون	يونان
يه	يهوديت
يهو	رسالة القديس يهوذا

مقدمة

ان موت يسوع المصلوب في زمن بنطيوس بيلاطس ودفنه، حدثان تاريخيان مشهود لهما. فالصلب جرى في العلن، وموت المصلوب تحقق منه رسمياً منفّذو الحكم، والدفن في القبر تم بسماح من الحاكم الذي كان قد اصدر الحكم، وبأمره وُضع حجر القبر[1]. وبعد يومين وُجد هذا القبر مفتوحاً وفارغاً. وهنا أيضاً نحن، من جديد، بصدد حدث تاريخي بالمعنى الحصري، أي انه حدث يمكن التحقق منه وقد تحقق منه، بالفعل، كثير من الشهود، بدءاً بالجنود الذين أقيموا لحراسة القبر.

ولكن، ماذا حدث؟ وكيف نفسّر فتح القبر، وبالأخص غياب الجسد؟ لا يوجد منطقياً سوى جواب واحد: "قد انتشل الجسد". إلا أن هذا التفسير، وهو التفسير الوحيد المقبول بشرياً يصطدم باعتراض كبير: مثل هذا الانتشال لم يتم التحقق منه، والذين أتهموا به من دون أدلّة، نفوه. ويصعب علينا من ثم القول كيف جرؤ الذين علموا بهذا الاختفاء وتحققوا منه أن يُقدموا عليه، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار حالتهم النفسية ودهشتهم غير المصطنعة؟ ومنذئذ نصبح بازاء لغز تبدو الاستعانة بالتفسيرات والتأويلات التاريخية الاعتيادية عاجزة عن حله.

انه لغز يجب أن نصتفه بين العديد من الألغاز التي تتخلل التاريخ، وهي تفسح المجال، بين حين وآخر، لافتراضات جديدة تتفاوت في الجاذبية، وليس

---

(١) انظر روايات الآلام بحسب الانجيليين الأربعة في سلسلة "اقرأ الكتاب المقدس"، باريس ١٩٨١ بالفرنسية.

بوسع أحدها أن يُقنع بشكل تام، أو أن يفرض انه التفسير النهائي. كلا، إذ ان سلسلتين من الأحداث التاريخية تتداخلان. فمن جهة، هناك، في زمن الأحداث ذاته، أناس مشهود لهم بالمصداقية ومنزهون عن كل دافع مشبوه يحمل على الشك، ولا يمكن الطعن في نزاهتهم، يؤكدون انهم تلقّوا وحياً بأن المصلوب قد أقيم، ويشهدون، وبشكل لا غبار عليه، انهم رأوا القائم. ومن جهة أخرى، فان شهادتهم واعلانهم هذه البشرى السارة أيقظا، حتى اليوم، ايمان جمهور كثير؛ وهذا الجمهور هو ذاته حدث تاريخي وشهادة لا بد من أخذها بعين الاعتبار.

وها نحن بالتأكيد على مستوى آخر بالتمام. فحدث قيامة يسوع المصلوب، وبالأخص حقيقة يسوع القائم ذاته، ليسا في متناول الخبرة البشرية المباشرة، وانما هما من قبيل الايمان وحده، وهو حقيقة أكثر قوة وأكثر ثباتاً من أية حقيقة أخرى، كما انها ليست بالتالي أقلّ من غيرها -بل بالعكس- كونها مؤسسة بشكل موضوعي، وتستند على الشهادة المضاعفة لأولئك الذين رأوا، وعلى الأسفار المقدسة.

لقد كتبت الأناجيل لتمكننا من أن نلتقي خبرة الشهود الأوائل المؤسِّسة، وتمنحنا القدرة على رؤية العلامات التي بفضلها يتجلى معنى أحداث الفصح، لكي، نؤمن نحن أيضاً، وإذا ما آمنا تكون لنا الحياة باسم يسوع القائم (يو ٢٠: ٣٠).

لذا كان من الضروري أن نقرأ ونعيد قراءة هذه النصوص، ونلج إلى أعماقها ونتأمل بها بعد أن نكون قد سمعناها تعلن أبان الاحتفالات الأحدية. فمن أجل هذا الهدف، جمعنا في هذا الكتاب، تفاسير عشرة منها: تسعة من الأناجيل، وواحد من رسالة القديس بولس الأولى إلى القورنثيين. ذلك ان هذه النصوص كانت قد توزعت على سبعة مجلدات من مجلة "اجتماعات الرب" (Assemblées du Seigneur) وأصبح من الصعب العثور عليها، وبعضها قد نفد، وبالأخص المجلد الذي يتحدث عن ليلة الفصح وفجرها يوم الأحد.

◆

ان اختيار النصوص المعدة لهذا الكتاب لم يرافقه اي تردد. وبالمقابل كان بالامكان التردد بشأن الترتيب الذي نعتمده في الروايات الانجيلية. ولم يكن ممكناً بالطبع اتباع الترتيب الزمني للأحداث. ففي الواقع، حتى حين نكون بصدد اكتشاف القبر فارغاً والذي يتحدث عنه الانجيليون الأربعة، فلسنا بازاء أربع روايات تحيط إلى حدّ ما بالموضوع المحدد حصراً. ان كل واحد ينقل الحدث من وجهة نظر خاصة تندرج في مجمل بشرى القيامة، بحسب كل من القديس متى والقديس مرقس والقديس لوقا والقديس يوحنا.

بقيت امامنا امكانيتان. أن نعرض أولاً النصوص مع تفسيرها بحسب ترتيب القراءات الطقسية. وكان بوسع هذا الخيار ان يفصل بين مقاطع من انجيل واحد، وندرج بينها مقطعاً أو أكثر من انجيل آخر، بينما هي تؤلف وحدة لا تتجزأ، تتم في سياق سنة ليتورجية. ففي هذا الاطار، لن تكون هناك مشكلة حقيقية طالما ان الوحدة هي وحدة الاحتفال في سياقه الليتورجي.

والخيار الثاني يكمن في اتباع ترتيب الاسفار في الكتاب المقدس، وهذا يبدو مناسباً بالاكثر، وهذا ما فعلناه، ولكن باعتماد تقديم وتأخير: النصّان من انجيل متى يأتيان بعد القديس مرقس ولوقا ويوحنا. وسنفهم لاحقاً، وبيُسر، لماذا نقرأ هذه النصوص اولاً، ومن ثم نقرأ تفسيرات متى ٢٨: ١-١٠، ١٦-٢٠.

إلى هذه المقتطفات من الاناجيل الاربعة التي تقرأ في ليتورجيات عيد الفصح والزمن الفصحي، أضفنا تفسيراً لنص من القديس بولس (١ قور ١٥: ١-١١) يخصصه كتاب القراءات الطقسية للأحد الخامس من الزمن الاعتيادي (السنة الثالثة)[٢].

وهذا ما يفرض نفسه. ذلك ان تلك الايات الاحدى عشرة (١ قور ١٥: ١-١١) تقول بشكل واضح ومكثف ما هو موضوع الكرازة المركزي، اي البشرى السارة في التقليد الذي سُلّم ويجب أن يسلّم. وفيه نجد، في الوقت ذاته، بذرة قانون الايمان الذي يتجه مباشرة نحو ما هو اساسي.

---

(٢) ذلك خيار الليتورجية اللاتينية؛ فيما تعتمد ليتورجياتنا الشرقية اختيارات اخرى للنصوص بحسب الازمنة الفصحية. فعلى سبيل المثال، خصت الليتورجيا السريانية قداس عيد القيامة بنص مرقس (١٦: ١-٨) فيما خصت اليوم الثاني بنص لوقا بصدد تلميذي عماوس ... (المعرب).

بقي علينا الآن ان نقدم هذا المجمل من النصوص المفسّرة، وهي -كما سبق توًا أن قلنا- تكشف عن مصداقية الترتيب الذي جُمعت به في هذا المجلد من سلسلة "اقرأ الكتاب المقدس"[٣].

القديس مرقس (١٦: ١-٨)

نعلم ان النص الاصلي لانجيل مرقس يُختم برواية مجيء النساء الى القبر. فبعد ان تحققن من غياب جسد يسوع، رأين داخل القبر ملاكاً (شاباً) عهد إليهن برسالة الى التلاميذ. وتتوقف الرواية على هذه المعلومة المدهشة: "**خرجن من القبر وهربن، لما اخذهن من الرعدة والدهش، ولم يقلن لأحد شيئاً لانهن كنّ خائفات**" (مر ١٦: ٨).

وتساءل المفسرون: هل تعمّد مرقس ان يوقف انجيله بهذه الطريقة القاسية، او انه، ولسبب نجهله، لم يتسنَ له ان ينقل ما جرى من ثم، او ان صفحة من النص قد ضاعت؟ ويستحيل علينا الجواب بشكل أكيد. وحتى لو استطعنا الى ذلك سبيلاً، سنبقى في الشك حول الدوافع التي جعلت الانجيلي يتوقف هنا، كما حول المضمون، سواء المضمون الذي كان مزمعاً ان يكتبه، ام مضمون النص الضائع.

وعوضاً عن ان نذهب في افتراضات، لنأخذ النص كما وصل الينا. وهو، على حاله، يبدو ذا ايحاء كبير.

فالمريمتان الاثنتان وسالومة جئن الى القبر ليطيبن جسد يسوع، دون أن يخيل إليهن البتة امكانية قيامة ما.

وفوجئن برؤية الحجر الكبير الذي وضع على باب القبر قد دُحرج؛ ولدى رؤيتهن الملاك، اخذتهن الرعدة، وهو هذا الشعور أو ردة الفعل اللذان يثيرهما، لا الحضور الغريب حسب، بل الحضور الفائق الطبيعة.

---

(٣) يطيب لنا ان نشير اننا نقلنا الى العربية في سلسلة "أبحاث كتابية" ثلاثة كتب من تلك السلسة (اقرأ الكتاب المقدس)، وهي بحسب ظهورها عن دار بيبليا: الكنيسة التي ورثناها عن الرسل (٢٠٠٥/٧)، لوقا-الاعمال (٢٠٠٦/٨)، روايات الآلام والقيامة بحسب الانجيليين الاربعة (٢٠٠٦/١٠-٩) -وهذا الكتاب الاخير هو من تأليف الاختصاصي الاب بيير بنوا الدومنيكي وترجمة الاب يوس عفاص (المعرب).

لم تكن النساء بحاجة الى احد للتحقق من ان جسد يسوع لم يعد في القبر؛ وكان هذا التحقق مفاجأة ثانية بعد تلك المفاجأة التي اثارها الحجر المدحرج. الا ان الكائن السماوي هو هنا، وهو الذي يوجّه افكارهن نحو حقيقة اخرى غير قابلة للتدقيق بشرياً: "المصلوب قام". تلك حقيقة كان بوسع كلمة الله وحدها ان توحيها، وبوسع الايمان وحده ان يتقبلها. فلقد كانت النسوة اول مَن تحقق، لا من فراغ القبر -طالما ان القبر قد احتله ملاك- وانما من غياب جسد يسوع من المكان الذي كانوا قد وضعوه فيه. وهوذا كائن سماوي يكشف لهن عن معنى ما كان بوسعه ان يبقى لغزاً لا حلّ له. وكان الرسل قد تلقوا رسالة بان يصبحوا شهوده ويعلنوا بشراة السارة للعالم اجمع. وهنا يتوقف انجيل مرقس[٤].

وسنخطئ ان نحن رأينا في هذه الرواية مجرد شهادة -ايا كان ثمنها- عن اكتشاف القبر فارغاً من قبل ثلاث نسوة، كنّ، "**في اليوم الاول من الاسبوع**" قد ذهبن الى القبر، "**من الصباح الباكر لتطيب جسده**".

فالانجيلي لم يدعنا ازاء القبر الفارغ لكي يمكننا من التأمل بالبرهان الساطع عن قيامة المسيح! ذلك ان الانتباه كله يتجه، لا نحو القبر المفتوح، وانما نحو كلمة الوحي التي نطق بها الملاك. فنحن، اذن، هنا، في حضرة سر الهي يُعلن، ونجدنا، على شاكلة النسوة، معنيين.

من جهة اخرى، نرى ان رسالة الملاك تكرر المفردات التقليدية للكرازة المسيحية الموغلة في القدم، بشأن بشرى القيامة التي لا تني الكنيسة تعلنها، وهي ترن في آذاننا وتحملنا على التجاوب معها عبر الايمان.

القديس لوقا (٢٤: ١-٥٣)

القديس لوقا، وعبر انشاء مطوّل يختم به انجيله (هو الفصل ٢٤ الذي يتألف من ٥٣ آية)، عانق مجمل الاحداث التي بدأت منذ اكتشاف القبر الذي لم

---

(٤) لهذه الرواية المقتضبة تتمة (آ ٩-٢٠) في الانجيل الثاني، كما هو ترتيبه في قانون الاسفار المعترف بانها ملهمة. الا ان المفسرين في مجملهم يعتقدون بان هذه "الخاتمة" ليست من يد الانجيلي، وانما اضيفت فيما بعد. حول هذه المسألة تكفي العودة الى ترجمة اورشليم للكتاب المقدس (**B.de.J.**) او الترجمة المسكونية (**T.O.B.**). (وللقارئ ان يرجع الى ما جاء عنها في التفسير لانجيل مرقس، في سلسلة "ابحاث كتابية" رقم ٢٠، بيبليا للنشر-الموصل ٢٠١٢/المعرب).

يعد يحتوي على جسد يسوع، وحتى الصعود. انه، من جهة اخرى، يعرضها مجتمعة في الظاهر في يوم واحد طويل، وتجري في مكان واحد، اورشليم[٥].

هذه الوحدة المضاعفة بشأن الزمن والمكان، لهي بالتالي ذات معنى عميق: فليس هناك فقط توافق كامل في ما بين كل الاحداث التي نقلت، وانما الاحداث كلها تشكّل، الى حد ما، حدثاً واحداً، هو **الحدث الفصحي**.

من جهة اخرى، يقيم رفع يسوع الى السماء، في خاتمة الانجيل وفي فاتحة سفر الاعمال، رابطاً وثيقاً بين الكتابين اللذين وضعهما القديس لوقا، بين رسالة يسوع وعمله التاريخي من جهة، وبين رسالة الرسل وعمل الكنيسة التاريخي، من جهة اخرى.

وهكذا تضحي قيامة المسيح **الحدث الاكبر في كل الازمان**، وعقدة التاريخ برمته، والحدث الرئيس الذي يعطي معنى لكل الاحداث الاخرى.

ويشدد القديس لوقا ايضاً على نقطة اخرى. وهي ان قيامة الرب تشكّل اتمام الاسفار المقدسة برمتها، وهي التي من جهتها لا يمكن ان تفهم بشكل تام إلا في ضوء القيامة.

هوذا الملاك يقول للنسوة اللواتي يبحثن عن "الحي بين الاموات": "**اذكرن كيف كلمكن إذ كان لا يزال في الجليل**" (لو ٢٤: ٦). والتلميذان الذاهبان من اورشليم الى عماوس، هو يسوع نفسه الذي يفسر لهما الاسفار المقدسة (لو ٢٤: ٢٤-٣٢) حين "**بدأ من موسى وجميع الانبياء**". كما انه هو ذاته الذي "**فتح اذهان**" الاحد عشر كي يفهموا الاسفار المقدسة (لو ٢٤: ٤٤-٤٥).

الا ان الايمان بقيامة المسيح، هذا السر المفتاح، ليس بديهياً. انه يفترض مسيرة طويلة؛ وهو مهدد دوماً بالرجوع الى عدم الايمان. ذلك لاننا لسنا فقط بصدد الاعتراف بحقيقة حدث تاريخي يتوافق كلياً مع حقيقة الاسفار المقدسة. فموضوع الايمان هو شخص يسوع بالذات الذي يُعترف به بصفته الرب الحي، الذي باسمه يُمنح الخلاص "**لجميع الامم ابتداءً من اورشليم**" (لو ٢٤: ٤٧).

---

(٥) التراثي للتلميذين (لو ٢٤: ١٣-٣٥) جرى ولا شك في الطريق، ولكنه الطريق الذي يذهب من اورشليم الى عماوس. وفي اورشليم بالذات تتم خاتمة المقطع، حيث يؤكد الاحد عشر للمسافرين، "ذلك حق! قام الرب وتراءى لبطرس" (لو ٢٤: ٣٤-٣٥).

وبالتالي، فان انجيل القديس لوقا، فيما يختم ببعثة التلاميذ الى الرسالة وبالموهبة التي وعد بها الآب والتي ستلبسهم قوة من العلى (لو ٢٤: ٤٩)، نراه ينفتح باتجاه المستقبل.

وان خاتمة الانجيل بحسب القديس لوقا، لا تشكل انتقالاً رائعاً الى سفر الاعمال حسب، بل تمنحنا الرغبة في قراءة هذه التتمة لكي نرى كيف واصل الرسل عمل يسوع ورسالته، وكيف ان هذه القوة من العلى التي وعد بها القائم جعلتهم يعملون ويبحثون ويبتكرون من اجل ان تصبح البشرى السارة معلنة ومقبولة في العالم اجمع.

حقا، انه عهد جديد بدأ مع **حدث الفصح**.

القديس يوحنا (٢٠: ١-٩، ١٩-٢٣، ٢٤-٣٣)

لدى القديس يوحنا ايضاً، يبدأ انجيل القيامة باكتشاف القبر الذي لم يغلق على جسد الرب: ذلك، في الواقع، معطى يعود الى تقليد موغل في القدم يشهد له كل انجيلي. ولكن، اذا كانت البساطة في ذكر احداث أخذت على الفور وثقلت من ثم بشكل مفاجئ، هي التي تدهشنا في اول قراءة سريعة، ولكننا سرعان ما نكتشف بان هذه الرواية هي في الواقع معقدة ودقيقة. ففيها نميز مستويات مختلفة ورؤى منوعة تتداخل وتنصهر في وحدة إنشاء مدروس جداً. ونص يو ٢٠: ١-٩، ظاهرياً، يمثل الخلاصة لتوسّع طويل.

إن مسيرة بطرس و"التلميذ الآخر" السريعة نحو القبر، وتصرفهما لدى وصولهما الى القبر وردّ فعلهما، لا تحملنا فقط على التفكير بدور بطرس ويوحنا لدى بدء الايمان الفصحي في الكنيسة، بل توجهنا الرواية نحو تأمل في مكانة الحب، وفي "قدرته" على فهم السر.

من جهة أخرى، نجد النص يشدد على لازمة "نرى ... نؤمن": فلقد قيلَ عن التلميذ الآخر انه "رأى وآمن". وهذه الصيغة ذاتها، نجدها معكوسة في شكل "تطويبة" في خاتمة المقطع الذي يضع توما على المسرح: "**طوبى للذين يؤمنون ولم يروا**" (يو ٢٠: ٨).

وأخيراً، ينتج عن ذلك ان الايمان الفصحي المؤسس على خبرة القبر الفارغ والترائيات لا يبلغ كماله ولا يصل الى الحقيقة كاملة، الا حين تكتمل وتختم في فهم مخطط الله الموحى عبر الاسفار المقدسة.

هناك صفحة أخرى من انجيل القديس يوحنا تستحق ان تلفت انتباهنا بشكل خاص، وهي تلك التي تعرض مشهدين مقتضبين متوازيين: الواحد حين يأتي القائم ليتراءى للتلاميذ، والاخر حين ينفخ فيهم الروح ويرسلهم للعمل (يو ٢٠: ١٩-٢٣).

المشهد الاول هو كشف للعالم الفائق الطبيعة الذي يصبح فيه المسيح منذئذ حاضراً لتلاميذه. وهذا الفرح والسلام اللذان يتصف بهما هذا الحضور لا يمحوان ذكرى الآلام، كما لو كنا بصدد حلم مزعج. بل بالعكس، نرى القائم يُظهر يديه اللتين تحملان آثار الصلب، وجنبه الذي اخترقته الحربة. فالقائم اليوم هو، اذن، ذاته مصلوب الأمس، والقيامة تفترض الصليب. الا ان الانجيلي يدعونا ايضاً الى ان نرى فيه حمل الله المذبوح، ونرى في جراحاته منذئذ الينبوع الذي منه تتفجر الحياة.

اما المشهد الثاني، فهو يتواصل مع المشهد الاول، ولكنه يسجّل تقدّماً. ذلك ان بعثة التلاميذ الى الرسالة هي شركة في الرسالة التي تلقاها المسيح من الآب؛ فهي تفترض فيهم وفيه معاً فيض الروح، ولها من ثم الموضوع ذاته: رفع خطيئة العالم. وبالتالي، تجب الاشارة الى التداخلات الليتورجية والافخارستية لهذين المشهدين. "**فاليوم الاول من الاسبوع**"، سرعان ما اصبح في وقت مبكر جداً، كما نعلم، يوم التجمع المسيحي؛ و"المساء" يحملنا عفوياً على التفكير في السهرة الفصحية؛ واخيراً، نجد ان "مجيء" الرب في وسط اخصائه هو في قلب الليتورجية الافخارستية: "نذكر موتك ايها الرب القائم، وننتظر مجيئك"؛ "**مارانا تا، تعال ايها الرب يسوع!**".

هذا الجو الليتورجي والافخارستي يسجّل خاتمة الفصل ٢٠ في الانجيل الرابع (آ ٢٤-٣١)، وتعتبر الخاتمة التي خرجت من يد يوحنا الانجيلي[٦]. وان

---

(٦) انظر الحاشية في الكتاب المقدس بشأن مسألة اصل الفصل ٢١ الذي يجمع المفسرون انه بمثابة ملحق بقلم تلاميذ الانجيلي. (وللمزيد مطالعة ما كتبه بهذا الصدد آلان مرشدور في تفسيره لانجيل يوحنا: سلسلة ابحاث كتابية/١٥ –بيبليا للنشر، الموصل ٢٠٠٩/المغرب).

رواية الترائي لتوما، اذا ما قرئت في اطار الليتورجيا ولا سيما الليتورجيا الفصحية -اليوم، كما في الماضي ولا شك، في زمن انشائها- فهي تتخذ كل معناها.

ونحن التلاميذ المجتمعين في "اليوم الاول من الاسبوع"، لم نحظَ شخصياً بترائيات المسيح القائم، ويحدث لنا أن نأسف لما كان بوسعه، في ظنّنا، ان يؤسس قناعتنا على الفور وبشكل حاسم!

ان نموذج الرسل وتوما يرينا بالعكس بانهم قد أُضطروا، وبشكل مرهق، الى العبور من خلال خبرة الايمان. فقبالة صيغة "**إن لم أرَ، لن أؤمن**"، هوذا الانجيل قد جعل هذه التطويبة: "**طوبى للذين آمنوا ولم يروا**". وحينذاك، يصبح بوسعنا أن نتبنى اعتراف ايمان توما المدهش: "**ربي والهي**".

والآيات الاخيرة من الفصل ٢٠ من انجيل يوحنا (آ ٣٠-٣١)، وهي خاتمة للانجيل برمته، تذكّر بان الايمان ليس مؤسساً على قناعات او بديهيات مطلقة، وانما على "علامات" او آيات يترتب علينا ان نقرأها لندرك معناها، وهي تتطلب منا التزاماً حراً.

القديس متى (٢٨: ١-١٠، ١٦-٢٠)

رواية اكتشاف القبر فارغاً هي، في الانجيل بحسب القديس متى، من اكثر الروايات لاهوتاً محكماً، كما من اكثرها تفصيلات ليست لها فائدة سردية، وانما فائدة لاهوتية. وهذا ما يوحي بان علينا ان نقرأها في المقام الاخير.

من جهة اخرى، نجد ان هذه الرواية ملحقة مباشرة برواية لقاء الاحد عشر بالقائم الذي كان قد اعطاهم موعداً في الجليل، ومنه يرسلهم للتبشير؛ لذا ينبغي ان نقرأ مجمل الفصل الاخير بحسب القديس متى.

وللحال، نكتشف موضوعين يضفيان على رواية القبر الفارغ نبرة خاصة: وهما موضوع عدم الايمان، ونموذجه المثالي "الحراس"، الى جانب موضوع الانفتاح على الايمان، ونموذجه "النسوة".

يوحي الزلزال والملاك "النازل من السماء" بالاهمية الكبرى المعطاة للحدث الذي يرافقه مثل هذا التجلي لقوة الله. فنحن هنا في اطار "يوم يهوه" حين يتدخل الله للحكم على وقائع التاريخ بشكل حاسم، عبر تجلٍّ مشرق وخارق لسيادته الكونية.

والحراس، على غرار كل الذين يرفضون الحقيقة، اخذتهم الرعدة واصبحوا "كالاموات"، على العكس من اولئك الذين يبحثون عن الله ويتحول لديهم الخوف الى فرح يملأهم ثباتاً للذهاب "بسرعة" واعلان البشرى السارة للتلاميذ وابلاغهم الدعوة الملحة بان يذهبوا الى الجليل.

الجليل! تلك البقعة هي "ملتقى الوثنيين"، وفيها وضع متى الاعلان الاول لبشرى الملكوت وبدء رسالة يسوع (متى ٤: ١٢-١٧، ٢٣-٢٥)؛ ففي الجليل دُعي التلاميذ الاولون الى "اتباع" يسوع كي يصبحوا صيادي بشر (متى ٤: ١٧-٢٢). وسيكون للجليل، اذن، معنى عظيم إن هو اصبح المكان الذي فيه يستدعي يسوع الاحد عشر للمرة الاخيرة كي يرسلهم الى التبشير ويعهد اليهم الكرازة بالملكوت لكل الامم.

يجري المشهد على "الجبل"، وهو مكان لا ينبغي ان نبحث عن تحديده على خارطة. انه، لدى متى، كما في العهد القديم، المكان المثالي للوحي: كيف لا نفكر، وبشكل عفوي، في "الجبل" حيث اعطيت عظة يسوع الافتتاحية (متى ٥) وحيث تمّ التجلي (متى ١٧: ١-٩)؟

فيسوع هنا، لا يبدو فقط بصفته السيد الذي يعلّم، او المتجلّي للحظة من الزمن، وانما بصفته الرب القائم. لذا نرى الاحد عشر يسجدون له، وقبل ان ينطق بكلمة ما.

وحين يبادر الرب يسوع بالكلام، فهو انما ينطق بكلام وحي تتبعه معلومة قصيرة، ومعها وعد بحضوره الدائم "**حتى منتهى الازمان**" (انظر متى ١: ٢٣).

هذا المشهد هو في غاية العظمة، في بساطته كما في برودته الخفية. فهو، بصفته خلاصة انجيل متى، يلقي الضوء على معناه وابعاده: يجب ان تعاد

قراءته من اعلى هذا الجبل. وبالتالي، فله بُعد اسكاتولوجي واضح، وهذا ما يتناسب ايضاً مع احدى ميزات الانجيل الاول.

فالمسيحي هو تلميذ يسوع؛ ويدخل في مدرسته بالعماذ "باسم الاب والابن والروح القدس"؛ ويبقى مسيحياً بقدر ما يجسّد في حياته تعليم الانجيل، إذ -وتلك فكرة رئيسة اخرى في انجيل متى- ان الايمان يعني العمل، ورسالته تمتد الى "كل الامم". واخيراً، فان جماعة التلاميذ -شعب الله-، وهي المؤسسة على "السلطان" الذي للمسيح "في السماء وعلى الارض"، تجد نفسها، احتفالياً، وحتى منتهى الازمان، تحت حمى سيدها الحي الى الابد.

وهكذا، فان زمن الكنيسة والكرازة الرسولية قد افتتح رسمياً[٧].

القديس بولس (١ قور ١٥: ١-١١)

تصطدم هذه الكرازة -ولا ينبغي ان نعجب- بالعديد من الاعتراضات والصعوبات التي نجد صداها لدى المسيحيين انفسهم. فالقديس بولس عاش خبرة تشهد لها بنوع خاص رسالته الاولى الى القورنثيين، وهي، كما هو الواقع لديه دوماً، حوار مع جماعة كي يجيب الى حاجة معينة.

فالرسول لا يمنع احداً من ان يطرح على نفسه اسئلة بشأن المعطى الموحى: وهو ذاته يطلب ان "**يختبر كل واحد كل الاشياء**" في الروح (١ تس ٥: ٢١؛ ١ قور ٢: ١٥). وهذا لا يعني البتة ان علينا ان نمتحنه فنأخذ فقط ما نفهمه منه للحال، او ما نشاء نحن ان نقبل به. بل المطلوب بالاحرى هو ان نجتهد لنفهم شخصياً ما يفرض نفسه علينا. وتلك هي حالة قيامة المسيح بدرجة اولى.

في هذا السياق وهذه الرؤية، نجدنا بازاء نص يستحق ان تعاد قراءته بعد شهادات الانجيليين (١ قور ١٥: ١-١٠). انه يعبر بالفعل، وبوضوح وقوة، عن

---

(٧) نشير الى ان دار بيبليا للنشر قد اصدرت في سلسلة "تفاسير" تفسيراً للاناجيل، كل بمفرده، ولكل منها فصل في موضوع القيامة: القديس متى/١ (الموصل ٢٠٠٨)، القديس يوحنا/٤ (الموصل ٢٠٠٩)، القديس مرقس/٢ (الموصل ٢٠١٢)، القديس لوقا/٣ (الموصل ٢٠١٢). وهكذا شمل التفسير الراعوي الرصين الاناجيل الاربعة (المعرب).

الايمان الذي يتوجب ان تكون للكنيسة الجرأة على نقله، اية كانت الصعوبات التي يثيرها، اليوم كما في الامس. وفي الوقت ذاته، يؤكد الرسول من ثم على ضرورة اعلان هذه الرسالة، دون حذر، ودون تشويه.

أن نتلقّى بامانة هذا الانجيل ونتمسك بالثبات فيه، فتلك مسألة حياة أو موت: "**وإلاّ نكون قد آمنا باطلاً**".

وفي حالات اخرى، كي يشدد الرسول على مصداقية رسالته (٢ قور ١٢: ١-٤)، او من اجل ضمان الحقيقة التي ينادي بها (١ قور ٧: ١٠)، نراه يستشهد بسلطة الخدمة التي أعطيت له، او بموهبة الروح التي تلقاها (٢ قور ٢: ٨). ولكن، حين يكون الأمر، كما هو الحال هنا، متعلقاً بالتعليم الاساس بشأن موت المسيح وقيامته -أو بشأن العشاء الاخير (١ قور ١١: ٢٣)-، فهو يستشهد بالتقليد الذي تلقاه وتسلّمه: "**سلمت اليكم قبل كل شيء ما تسلمته انا ايضاً ...**" (١ قور ١٥: ٣أ).

التقليد! -والاسفار المقدسة هي جزء منه- ذلك هو الاساس للايمان، اليوم كما في الامس، إذ ان هذا التقليد يرقى الى شخص الرب يسوع الذي هو ذاته لم يعلّم شيئاً ما لم يتسلمه من الآب (متى ١١: ٢٧). وهكذا، فالمعطى المسيحي الاساس يبقى وسيبقى مرتكزاً على موت المسيح وقيامته، وهما نبع خلاص لكل المؤمنين. وهذا ما يعبر عنه اعتراف الايمان الذي يذكّر به الرسول في شكل "قانون الايمان" يتعلّق بما هو جوهري: موت المسيح وقيامته "**كما جاء في الكتب**" (١ قور ١٥: ٣ب-٤).

ولكن، لا يحسن بنا ان نهمل الشهادة المباشرة لاولئك الذين تراءى لهم الرب (١ قور ١٥: ٥-٧).

وبولس ايضاً حظي -"آخر الامر"- بترائي القائم، وهذا ما يؤسس سلطته بصفة رسول؛ والضرورة الموضوعة عليه، كما على الاخرين، في ان ينقل بامانة ما تسلّمه هو ذاته (١ قور ١٥: ٨-١٠). ذلك ان موت المسيح وقيامته هما الموضوع

الجوهري في التقليد، وهو بدوره صدى وتعبير حيّ للاسفار المقدسة؛ انه الموضوع الاساس للانجيل الذي يُكرز به اليوم، كما في الامس، بقوة الروح[٨]:

مات المسيح من اجل خطايانا

كما ورد في الكتب

وقبر وقام في اليوم الثالث

كما ورد في الكتب

(١ قور ١٥: ٣-٤)

روبير كانتوي

(٨) نشير الى ان دار بيبليا للنشر قد اصدرت في سلسلة "تفاسير" تفسيراً للرسالتين الى القورنثيين/٦، الموصل ٢٠١٠ (وفي الاولى شرح مفصل للفصل ١٥ عن القيامة). ولحق به تفسير للرسالتين الى روما وغلاطية/٧، الموصل ٢٠١٠، وتفسير آخر للرسائل التسع الاخرى/٨، الموصل ٢٠١١. وهكذا تكون قد غطت رسائل بولس الثلاث عشرة بالتفسير الراعوي الرصين (المعرب).

النساء عند القبر

(مرقس ١٦: ١-٨)

بقلم جان دلورم
(Jean Delorme)

النزول الى الجحيم

ايقونة روسية/ النصف الاول من القرن ١٦

١٦ ١ ولَمَّا انقَضَى السَّبتُ اشتَرَت مَريمُ المِجدَلِيَّة
ومَريمُ أُمُّ يَعقوبَ وسالومة طيباً لِيَأتينَ فيُطَيِّبنَه.
٢وعِندَ فَجْرِ الأَحَد جِئنَ إِلى القَبْرِ وقد طَلَعَتِ
الشَّمْس.
٣كانَ يَقولُ بَعضُهُنَّ لِبَعض: "مَن يُدَحرِجُ لنا
الحَجَرَ عن بابِ القَبْر؟"
٤فنَظَرْنَ فَرأَيْنَ أَنَّ الحَجَرَ قَد دُحرِجَ، وكانَ
كَبيراً جِدّاً.
٥فدَخَلْنَ القَبْرَ فأَبصَرْنَ شَابّاً جَالِساً عنِ اليَمينِ
عَلَيه حُلَّةٌ بَيضاء فَارتَعَبنَ.
٦فقالَ لَهُنَّ: "لا تَرتَعِبنَ! أَنتُنَّ تَطلُبْنَ يسوعَ النَّاصريَّ
المَصْلوب. إِنَّه قامَ وليسَ ههُنا، وهذا هو المَكانُ
الَّذي كانوا قد وضَعوه فيه.
٧فَاذهَبنَ وقُلنَ لِتَلاميذِه ولِبُطرس: إِنَّه يَتَقَدَّمُكم
إِلى الجَليل، وهُناكَ تَرَونَه كَما قالَ لكم".
٨فخَرَجْنَ مِنَ القَبْرِ وهَرَبْنَ، لِما أَخَذَهُنَّ مِنَ
الرِّعدَةِ والدَّهَش، ولَم يَقُلْنَ لأَحَدٍ شَيئاً لأَنَّهُنَّ
كُنَّ خائِفات.

(مرقس ١٦: ١-٨)

النساء عند القبر

(مرقس ١٦: ١-٨)

بقلم جان دبلورم

تستخدم ليتورجيا الليلة الفصحية، من أجل اهدافها، رواية مر ١٦: ١-٨. ولكي تتمكن الكرازة او يتمكن التأمل في حركة العمل الطقسي من ان يستندا على معطى الكتاب المقدس، نبحث عن معنى النص في ضوء سياقه. وسيترتب علينا ان نقيّم التعابير والمواضيع التي تسهم في مجمل كتاب ما، وهو الانجيل الثاني الذي تكشف كتاباته وبنيته بما يكفي لتبيان وحدته وفرادته.

هناك مشكلة خاصة تُطرح، إذ ان رواية مجيء النسوة الى قبر يسوع تَختم نص مرقس الاصلي. ونحن نعلم ان الخاتمة الملحقة (آ ٩-٢٠)، مع قانونيتها، ليست من قلمه، وتشكّل تتمة اضيفت لاحقاً. ولم تنته الدراسات النقدية من التساؤل فيما لو كان المؤلّف قد قرر ان يختم كتابه، بغتة، على مشهد هرب النسوة المرتعدات (آ ٨)[1]، أو انه كان يخطط أن يضيف اليه تتمة. من الممكن، بالفعل، ألا تكون هذه التتمة قد أُلفت اصلاً، او ان نصها قد ضاع. لذا فان حلّ هذا اللغز يسمح لنا ان نقيّم بالاكثر وجهة نظر مرقس بشأن تقليد النسوة عند القبر. نحن نفضّل ان نترك المسألة مفتوحة، ونأخذ بعين الاعتبار مختلف الامكانات بقدر ما بوسعها أن تؤثّر على تفسير الرواية.

(١) ذلك هو الرأي الذي يميل اليه مفسرون معاصرون كثر.

أولا: تحليل النص

لكي نفهم جيداً نصًّا ما، لا يكفي ان نشرح كل كلمة او كل تفصيل في الرواية. وانما يجب ايضاً، وبالاخص، ان ننتبه الى الطريقة التي بنيت بها الرواية، كي نحترم إطارها وحركتها. فرواية مرقس تضع امامنا بشكل واضح عدداً من السمات. وهكذا تتجلى الاهمية التي علّقها عليها ووجهة نظره بشأن الحدث.

الظروف (آ ١-٢)

ليس من المفيد التوقف كثيراً على التفاصيل التي تتعلق بالزمن وبالاشخاص. فالنساء اللواتي سُمّين هنا، قد حضرن، بحسب مر ١٥: ٤٠، صلب يسوع؛ واثنتان منهن، بحسب ١٥: ٤٧، قد حضرتا دفنه، وشاهدتا جيداً أين وضعوه. وهكذا نجد ان مرقس يريد ان يشير الى حدث، ويطيب له أن يسمّي شخوصه. من جهة اخرى، فان شراء الطيب (منذ انقضاء السبت، اي السبت مساء، بعد مغيب الشمس)، والمجيء الى القبر في الصباح الباكر لتطييب جسد يسوع، يكشفان بان النسوة ليست لديهن اية فكرة بقيامة محتملة.

المفاجأة الاولى (آ ٣-٤)

الفكرة التي كنّ يتداولن بها في ما بينهن (آ ٣) يمكن ان نعتبرها على مستوى الطيش (هل كان الوقت مناسباً للتفكير بمن يدحرج لهن الحجر؟!)، الا اذا كان الهدف منها ان تهيّئ القارئ لمفاجأة اولى: "رأين الحجر قد دُحرج" (آ ٤). والمؤلف، إذ اشار الى ان الحجر كان كبيراً جداً، فهو انما أراد ان يشدد على عنصر المفاجأة. إلا ان هناك اكتشافاً آخر لم يكن منتظراً البتة.

اللقاء مع الملاك (آ ٥-٦أ)

لم يعد الأمر مجرد مفاجأة. فان لباس الشاب يشير الى كونه كائناً سماوياً (راجع ٩: ٣). واذا ما تحدث مرقس عن خوف، فليس ذلك لانه يريد ان يسجّل ردّ فعل بشري يُفهَم لدى نساء

اخذتهن الرعدة تجاه لقاء غريب. وهو انما، وفقاً للّغة البيبلية، يشدّد، عبر الخوف الديني الذي يُثيره رد فعلهن، على الصفة الخارقة لتلك الخبرة، والقيمة الفائقة لما ينكشف لانسان فقد الاتجاه! ومرقس، كي يترجم هذا الخوف، استخدم فعلاً انفرد به دون سائر كتّاب العهد الجديد: ekthambeisthaî (ارتعب).

وهذه المفردة (thambeisthaî) تعبّر لديه عن حركة عميقة في الكيان، كيان هو في الوقت ذاته مندهش، وخائف، وقد تخطّاه الحدث: سواء بسبب أمر يجعل القوى البشرية في حيرة (١٠: ٢٤، ٢٣؛ ١٤: ٣٣)؛ ام بسبب حدث تجلي قوة تُفهم بصفتها **تجلي الله في يسوع** (١: ٢٧؛ ٩: ١٥).

تلك هي الحالة هنا. فمرقس يصف مشهدا للوحي الالهي، على شاكلة التجليات البيبلية. كانت فان الكلمة الاولى لمن يعتلن، سواء في هذه الحالة كما في غيرها، أن يطرد الخوف (آ ٦أ)، لأن الانسان لا يقوى على تحمّل الحضور الالهي إذا لم يُطمئنه الله.

وتجدر الملاحظة ان لا شيء حتى الآن لفت نظرنا نحو القبر الفارغ. فالأهمية كلها هي باتجاه حضور "الملاك" (ولا ترد عبارة "ملاك" في النص)، أي بالتالي رسالته. ففي الكتاب المقدس، لا يتدخل الملاك البتة إلا لحمل وحي الهي. وها نحن الآن بصدد الموضوع الرئيس لرواية مرقس، وهو يستحق كل انتباهنا.

الرسالة الالهية (آ ٦ب ج د – ٧)

أ. الاعلان الرئيس

"تطلبن يسوع الناصري المصلوب: انه قام" (آ ٦ ب ج). تجب هنا ملاحظة التضاد المشدَّد عليه بين "المصلوب" و"القائم". انه التأكيد المبهج لانتصار يسوع على الموت. ذلك ان مأساة الآلام التي تتخذ مكاناً كبيراً في الانجيل الثاني، قد حُلّت: الله اقام[٢] المصلوب.

ففي نظر قراء مرقس، كان لهذا التأكيد اطار خاص، إذ انه يذكّرهم بحركة ومفردات الانجيل الذي وُعظوا به. واذا اعتقدنا بالخلاصات التقليدية المحفوظة في خطابات سفر الاعمال، سيكون التضاد بين الآلام والقيامة هو الذي يميّز الرسالة المسيحية الاولى (رسل ٢: ٢٣-٢٤؛ ١٥؛ ٤: ١٠؛ ٥: ٣٠؛ ١٠: ٣٩-٤٠؛ ١٣: ٢٨-٣٠). وبالاكثر، فان لتسمية يسوع بـ "الناصري"[٣]، مكانها في صيغ الكرازة الاولى وايمان المسيحيين الاولين (رسل ٢: ٢٢؛ ٤: ١٠، لو ٢٤: ١٩).

---

(٢) لا ننسَ بأن فعل **êgerthê** يدل على الحاضر الدائم بالمجهول: "قد أُقيمَ".

(٣) استخدم لوقا دوماً في سفر الاعمال لفظة "الناصري" (**Nazôréen**)؛ وكذلك في لو ١٨: ٣٧ (بينما جاء في مر ١٠: ٤٧ لفظة **Nazarénien**)؛ ولكنه استخدم ايضاً هذه اللفظة في ٤: ٣٤ (في اثر مر ١: ٢٤) وفي ٢٤: ١٩ –وهو المقطع الذي يعكس بدقة الكرازة التقليدية بشأن القيامة في الكنيسة الأولى.

فحين نقل مرقس رسالة الملاك بهذه المفردات: "**الناصري المصلوب قد قام**"، أو حين نقل لوقا بعين المفردات عظة بطرس: "**... الناصري (Nazôréen) الذي صلبتموه، واقامه الله من بين الاموات**" (رسل ٤: ١٠)، عرف قراؤهما المعتادون على هذه اللغة انهم بازاء التعبير الاول لايمانهم. فلقد تلقوه من الكرازة الرسولية. وهم، اذ يقرأون مرقس، فانهم يتلقونه الآن من فم الشخصية السماوية السرية، اي انهم يتلقونه من فم الله.

ب. التحقق من القبر الفارغ

"**ليس هو هنا**" (آ ٦د): تلك طريقة اخرى لعبارة "قد قام". وان الترتيب الذي ورد فيه التأكيدان، ليس من دون اهمية. فالعبارة الاولى تفسّر الثانية، وليس العكس. فاذا كان قد قام، فليس من المدهش انه ليس هنا. وهكذا فان كلمة الله تحِلُّ لغزاً لا يجد له حلاً بشرياً.

"**وهذا هو المكان الذي كانوا قد وضعوه فيه**" (آ ٦د)، بمعنى: تأكدوا بانفسكم انه ليس هنا. هذا الامر، بوسع الانسان ان يتحقق منه. الا ان بشرى القيامة تُدخله في عالم جديد يتخطاه. ومسعى النساء اللواتي أردن ان يطيبن يسوع، فقد معناه. وسيترتب عليهن ان يوجهن افكارهن نحو حقيقة اخرى.

ج. مهمة النساء

هكذا نجدهن مدعوات الى ترك القبر ليحملن البشرى الى التلاميذ (آ ٧). انها مهمة محدودة ولا شك: ذلك ان التلاميذ، وبطرس بنوع خاص، سيصبحون الشهود المعتمدين لقيامة يسوع، بفضل الترائيات. هل كتب مرقس رواية ضاعت مع الأسف؟ او انه اعتبر كافياً لحديثه ان يرينا الرسالة الفصحية الموحاة للنساء، فيما يدعنا نفهم بان على التلاميذ وحدهم ان ينقلوها؟ من الصعب الاجابة الى مثل هذا السؤال. وفي كل الاحوال، يشهد مؤلَّفُه برمته على الاهمية التي يضفيها على اعلان الانجيل في العالم اجمع. ذلك ان "الانجيل" بالنسبة له، هو في الوقت ذاته قوة الله العاملة للخلاص، كما هو البشرى الرسولية بسر المسيح الذي مات وقام. وهكذا تتضح المكانة الرئيسة التي يحتلها التلاميذ في انجيله، بما في ذلك تنشئتهم، وتصحيح توجهاتهم الخاطئة، والكشف الذي تلقوه عن "سر ملكوت الله" (٤: ١١)، ومن ثم عن سر ابن الانسان المرفوض والمصلوب والقائم (٨: ٣١؛ ٩: ٩، ٣١؛ ١٠: ٣٣). وكل هذا يتطلب فكرة سامية جداً عن مهمة الرسل، حتى وان كان مرقس، عَرَضاً، لم يشأ أن يروي ذلك في خاتمة انجيله.

وهكذا، فان بعثة النسوة الى التلاميذ والى بطرس تؤكد، بطريقتها الخاصة، على الصلة القوية جداً التي ربطت القيامة والترائيات للتلاميذ بالصيغ التقليدية التي تبنتها الكنيسة الاولى (رسل ٢:٣٢؛ ٣: ١٥؛ ٥: ٣٢؛ ١٠: ٤٠-٤١؛ ١٣: ٣٠-٣١؛ ١ قور ١٥: ٣-٥)، ولا سيما الترائي لبطرس (١ قور ١٥: ٥؛ لو ٢٤: ٣٤؛ راجع ٢٢: ٣٢).

ففي غمرة رواية الالام بحسب مرقس، كان يسوع قد اعلن عن ترائياته في الجليل: "**ولكن، بعد قيامتي، اتقدمكم الى الجليل** (١٤: ٢٨). فالى هذا الكلام اشار الملاك" "**قلن لتلاميذه... انه يتقدمكم الى الجليل، وهناك ترونه كما قال لكم**". وفي الواقع، فان هذه العبارة أُدرجت فيما بعد، ويحتمل ان مرقس ذاته ادرجها، وفي نص لم يكن يحتويها من قبلُ. وهذا الادراج يكشف عن اهتمام مرقس، لا في ربط الآلام بالقيامة حسب، بل ايضاً في تأسيس رسالة التلاميذ على الترائيات.

خاتمة الرواية (آ ٨)

ولكن، كيف لا نعجب من خاتمة هذه الرواية؟ خاتمة ترجّع صدى رد فعل النساء الخائفات اللواتي سمّرهن الذعر؟ لا، إذ يجب علينا ان نستشعر الصفة الدينية لخوفهن. فالخوف والزلزال يسيران معاً في الغالب، حين يكون الامر متعلقاً بالانسان الحائر ازاء قوة الله (خر ١٥: ١٦؛ تث ٢: ٥؛ ١١: ٢٥؛ راجع فل ٢: ١٢-١٣). فالذهل (ek-stasis، ويعني الانسان الذي يخرج عن رشده وكأنه منفصل عن ذاته) هو أحياناً نتيجة تجلٍّ للقدرة الالهية (راجع ١ مل ١١: ٧؛ أخ ١٤: ١٣؛ لو ٥: ٢٦؛ رسل ٣: ١٠)، ولا سيما في الانجيل الثاني (٥: ٤٢). ذلك ان لغة مرقس تشدد من جديد على الطابع الفائق للوحي الذي أُعلن (راجع ٩: ٦).

أما بشأن صمت النساء، فهل شاء مرقس، وبكل بساطة، ان يصوّر هلعهن؟ ويحتفظ لنفسه ان يبين كيف انهن تكلمن بالتالي؟ ويمكننا ان نذهب في الافتراضات، طالما اننا نجهل كل شيء عن التتمة التي شاء او لم يشأ ان يذيّل بها روايته[٤].

ونستطيع ان نقترب من حل اذا ما لاحظنا ان مرقس، وحده، اشار الى هذا الصمت[٥]، وبالاكثر حين شدّد على اضطرابهن[٦]. وهذا الاضطراب هو نتيجة فزع مقدس ازاء التجلي الالهي، وبشكل ادق ازاء كلمة الله التي تؤكد قيامة المصلوب، وهكذا تنير لغز القبر الفارغ. ونعلم ان

(٤) بالامكان مراجعة التفسير الذي ادلى به جاك هيرفيو في هذا الموضوع: الانجيل بحسب القديس مرقس، سلسلة ابحاث كتابية/٢٠، بيبليا للنشر-الموصل ٢٠١٢ (المعرب).

(٥) اما بحسب لوقا، فالنساء يتكلمن (٢٤: ٩-١١)، الا انه لم يُشِرْ الى انهن تلقّين امراً بذلك. بينما يرينا متى اياهن يذهبن ليعلمن التلاميذ (٢٨: ٨) ويفترض انهن فعلن ذلك (آ ١٦ بالمقارنة مع الآية ٧ و١٠).

(٦) لا توجد اية اشارة بهذا المعنى لدى لوقا (٢٤: ٩)، بينما اشار متى الى "الخوف والفرح العظيم" (٢٨: ٨).

موضوع وحي السر الخفي يمتد على طول الانجيل الثاني، سواء كان هذا السر سر هوية يسوع، اي سر ملكوت الله، ام سر اكتمال الخلاص عبر آلام ابن الانسان. من جهة اخرى، يتحقق هذا الوحي، بحسب مرقس، بطريقة خارقة تكشف في آن واحد عن مخطط الله المحيّر، كما عن عجز الانسان امام السر: وحي خفي، دون شهود، عن هوية يسوع بعد العماذ (١: ٩-١١)؛ وحي يمنعه الصمت الذي يفرضه يسوع على الكائنات الفائقة التي استشفت السّر من الاعتلان (١: ٢٤-٢٥، ٣٤، ٣: ١١-١٢)؛ وحي هو وقف على اشخاص يبقون دون فهم (٤: ١٠-١٣؛ ٨: ٣٠-٣٣؛ ٩: ٦-١٠، ٣٢). وينبغي ان ننتظر اكتمال افكار الله (راجع ٨: ٣٣) وموت المصلوب، كي يعترف به رجل وثني انه ابن الله (١٥: ٣٩). وحين تأتي ساعة الوحي الاعظم، وهي القيامة، فهناك ما يمنعه من الانطلاق، ليس بدافع الحدّ من المنتفعين به، وانما بسبب الخوف والهلع اللذين يزجّهم فيهما.

وهكذا يضع مرقس قارئَه، دون هوادة، ازاء السموّ الالهي لانجيل الله وللسر الذي يتجلى فيه، ويعرض عليه الايمان. والنساء عند القبر اختبرنه، ولكنهن لم يصبحن له قط شهوداً رسميين. ذلك ان الانجيل، عبر كرازة التلاميذ، يواصل ممارسة قوته الخلاصية في العالم. وقد أُقيموا، عبر الترائيات في الجليل، بحسب مرقس، شهود الكلمة. ومن وجهة النظر هذه ايضاً، كان يهمه ان يشدد على صمت النساء. فليس بدافع الكلمة التي ينبغي ان تُعلن ذكّر مرقس بدورهن، بل لانهن كن قد اقتربن بشكل رائع من السر الذي تكشف عنه دوماً الكلمة في الكنيسة.

سبق مرقس أن اجتهد في تبرير الطريقة التي بها دخلت امرأة في الرواية التي رافقت اعلان الانجيل في العالم اجمع. وهذه المرأة التي سكبت على رأس يسوع قارورة من طيب الناردين الخالص والثمين، كان يكفي لاستمرار ذكرها انها كانت، من دون ان تعلم، قد طيبت مسبقاً جسد يسوع لدفنه (١٤: ٣-٩). وعبرَ هذه الحركة التي لها صلة بالآلام، اندرجت في البشرى السارة التي حملت الى العالم كشفاً عن الخلاص بيسوع المسيح الذي مات وقام. وهكذا هي الحال مع المريمتين وسالومة اللواتي كن قد احتُذبن الى القبر بدافع تطييب جسد يسوع، ودُهشن لسماعهن البلاغ الآتي من عند الله، بحيث استحققن ان يصبحن جزءاً من محتوى الانجيل الذي اختبرن قوته الالهية وسره الذي لا يُسبَر، حتى اصبحن ضائعات ازاءه.

ثانيا: خلاصات

١. حديث مرقس ومعنى الرواية

تبدو رواية مرقس منسجمة مع لغته ومع مواضيع مؤلّفه الذي يجب ان نعترف بانه ملتزم جداً في انشائه. وليس هناك ما يؤيد استخدامه لرواية محكمة بشأن ما يمكننا معرفته عن الكرازة

الرسولية الاولى (١ قور ١٥: ٣-٨؛ رسل ٢: ٢٩؛ ١٣: ٢٩، ٣٦-٣٧)، فمن الصعب ايضاً ان نعتبر مرقس اول من روى الاحداث. انه يبدو بالاولى ملتحقاً بتقليد يجب علينا ان نبحث عن اصوله، على اقل تقدير، في اورشليم: هناك، يكون هذا التقليد قد جُمع في رواية للآلام، هي في اصل رواية مرقس[٧]. ومهما يكن من امر، فان مجيء النسوة الى القبر، على لسان مرقس، يَندرج في مجمل كتابة لا تخفى اهدافها.

أ. لا يقصد مرقس فقط اكتشاف القبر فارغاً، كما نقول غالباً دون ان نزن كلماتنا. فان النساء يكتشفن، على العكس، قبراً محتلاً! ويرينا مرقس اياهن وقد التقين الرسول السماوي الحامل كلمة الله، فاخذهن الخوف المقدس ازاء الكشف عن سر القيامة.

ووفقاً للاهداف العقائدية التي تختفي وراء مؤلّف مرقس، تتسم روايته باهمية حالية. ففي الانجيل الاتي من الله، وقد افتتح بكرازة يسوع (١: ١٤) وتواصل بكرازة الرسل (١٣: ١٠؛ ١٤: ٩)، نجد الوحي عن "يسوع، المسيح، ابن الله" (١: ١)، كما نجد الخلاص بواسطة هذا المسيح بالذات، الذي صُلب وقام[٨]. ولقد شاهدنا التلاميذ ينوءون تحت سوء الفهم ازاء الاعلان عن هذا السر (٨: ٣٢-٣٧؛ ٩: ١٠، ٣٢). والآن، ها نحن نشاهد النسوة وقد استولى عليهن الهلع، فاستسلمن للصمت لدى سماعهن اعلان السر المكتمل. وهكذا يعبّر مرقس عن البُعد الفائق الطبيعة، ويكشف عن الطابع المحيّر بالنسبة الى الانسان إذا ما تُرك لوحده، بشأن السر المقدس الذي يوحي به اليه كلام الله وتحمله كرازة الانجيل.

بعد مثل الزارع، نقل مرقس كلام يسوع هذا: ما من خفي الا سيُظهر، ولا من مكتوم الا سيُعلن" (٤: ٢٢). وبوسع هذا الكلام، في سياق انجيله، ان يُطبَّق على سر المسيح المخفي، وقد كُشف الآن للعالم بواسطة الانجيل. ومن ثم يتابع مرقس: **"انتبهوا لما تسمعون"** (٤: ٢٤)، لا فقط الى الطريقة التي بها تسمعون، كما فهمها لوقا (٨: ١٨)، وانما الى السر الذي ينجلي عبر الكلمة. هكذا أراد مرقس، من خلال رواية مجيء النساء الى القبر، ان يلفت انتباه قرائه الى العظمة الالهية لسر القيامة الذي تكرز به الكنيسة.

ب. يتخذ التحقق من غياب جسد يسوع في هذه الرواية مكانة يجب احترامها. فمرقس لا يرسم طريقاً سيكولوجياً، من اكتشاف القبر فارغاً الى الايمان بالقيامة. ذلك لان الرسالة

---

(٧) لقد حاولنا ان نكتشف مسألة هذا التقليد عبر دراسة حول "القيامة وقبر يسوع في التقليد الانجيلي" في كتاب "قيامة يسوع"، دار سيرف (سلسلة **Lectio divina**)، باريس ١٩٦٩ (بالفرنسية).

(٨) انظر دراستنا حول "الاوجه العقائدية للانجيل الثاني" في كتاب "من يسوع الى الاناجيل"/ الاناجيل الازائية: تقليد وانشاء"، كامبلو ١٩٦٧ (بالفرنسية).

الفصحية هي الاولى. فلقد انتشر، بوجه العقلانية العصرية، موقف دفاعي ننساق الى ادراجه خطأً في النصوص القديمة. وهكذا هي الحال مع القبر الفارغ، هل يمكن ان نتكلم احياناً عن برهان او برهان معاكس للقيامة؟ لا تبدو رواية مرقس -وكلها مرتكزة على اعتلان سر يتخطى الانسان- انها تشهد لمثل هذا الاهتمام. لا بل يبدو غياب جسد يسوع بالاكثر وجهاً للسر، وهو الوجه الوحيد في متناول كائن من كان: فراغ، غياب. اما القائم، فيبقى خارجاً عن الحواس. ذلك ان السر قد تم من دون شاهد. والكشف عنه اخذ يملأ الانسان دهشة. فمن خلال الشهادة الرسولية، يبلغ السر الى المؤمنين.

٢. توجيهات من اجل الكرازة والتعليم المسيحي

ينبغي لكلام مرقس ان يقودنا في بحثنا الخاص عن كلمة الله، طالما ان الحقيقة الالهية، في الكتاب المقدس، يُعبَّر عنها من خلال نوايا الكتّاب الملهَمين.

أ. لا تصلح رواية مرقس ان تُستخدم لاغراض دفاعية. واذا قرأناها وكأنها برهان على قيامة يسوع حتى وان كان ثانوياً، فسنكون قد حجّمنا بُعدها بشكل كبير، ونكون قد فرضنا عليها استخداماً لم تُصمَّم من اجله.

من الممكن ولا شك ان نؤسس على شهادات العهد الجديد، دفاعات تاريخية لصالح الايمان بالقيامة ولصالح الاحداث التي غرسته في الجماعة المسيحية الاولى. فتلك الجماعة لم تكن تكتفي بالتشديد على ان يسوع قام ودخل في مجد الآب، وانه أُولي كل سلطان على المسكونة. فلقد كانت تروي الترائيات بصفتها تجليات تاريخية لهذا الحدث. كما بلغ بها الامر الى التوسّع لإظهار ما كانت تتضمنه هذه التجليات من تصديقات حسية (لو ٢٤: ٣٦-٤٣؛ يو ٢٠: ٢٤-٢٩؛ راجع رسل ١٠: ٤١؛ متى ٢٨: ٩؛ يو ٢٠: ١٧).

ويشكل موازٍ، توسّع التقليد الذي يروي مجيءَ النساء الى القبر[٩]. فمن الممكن ان الرواية استُخدمت في عين المعنى؛ وتلك هي الحالة لدى لوقا. وبدورها، كان بوسعها ان تثير شكلاً آخر من الدفاعات، تصبح جدلية هذه المرة، كي تدحض الفكرة التي بموجبها يكون فيها جسد يسوع قد انتشله تلاميذه (متى ٢٨: ١١-١٥؛ يو ٢٠: ١٣-١٥). الا ان لا شيء من ذلك لدى مرقس.

ب. الاناجيل، بشكل عام، كُتبت في اطار الايمان بالمسيح القائم، الحاضر والحي، رأس الكنيسة ورب العالم. وهي تفرض بأن تُقرأ في الروح عينه. فالاسرار التي ترسم الاناجيل اعتلانها في التاريخ، انما هي حقائق ليومنا، وهي حقائق فاعلة، ولا تزال تكشف عن فاعليتها من اجل البشر. وهكذا هو ايماننا بكلمة الله التي تمسّنا في الكنيسة، يدخلنا في العالم غير المنظور والحقيقي حيث يجمع الله

(٩) راجع ج شميت: "قيامة المسيح: من صيغ المناداة الى الروايات الانجيلية" في مجلة "كلام الله والكهنوت"، باريس ١٩٦٢ (بالفرنسية).

البشر في شركته، في جسد المسيح. ويترتب علينا من ثم ان يكون لنا، عبر صيغ الكرازة، حسّ بالواقع الذي يُعبَّر عنه فيها من اجلنا.

وهكذا النساء، مع الهم البشري الذي يحملنه، اية كانت درجة التأثر الذي يرافقه تجاه يسوع، فانهن اصطدمن بالواقع الالهي الذي اقتحم حياتهن. فما يرويه مرقس، انما هو تجلٍّ الهي من خلال شخص الملاك، وبالاخص من خلال بلاغه، وهو البلاغ ذاته الذي تحمله الكنيسة الى العالم. لذا ينبغي ان يُقرأ نصُّه بمشاعر الايمان الذي ينير الكثير من الروايات المقدسة في العهدين القديم والجديد. فحين نرى، في نص بيبلي، كائناً سماوياً يتدخل، علينا للحال ان نكون على بيّنة من ان المؤلف يضعنا في حضرة سر الله —ويصعب التعبير عنه بكلمات بشرية– وتدخلاته هنا على الارض. والملاك هو جزء من هذا السر: انه يُظهر با بوسع كلام الله ان يبلغ الينا في منعطف الجسد والروح (راجع عب ٤: ١٢)، دون ان يفقد شيئاً من سموّه. ولكي نكون امناء على الوحي البيبلي، لا يكفي ان نتكلم عن الملائكة، بل ينبغي ايضاً ان نرفع افكارنا الى الحقيقة الالهية، وهي التي، في آن واحد، تخرج عن نطاقنا وتعمل في عالمنا، وتعود مهمة اعلانها للملائكة.

لذا، فليس عَرَضاً اذا ما جعلت كتابة مرقس الملاك يكرر صيغ الكرازة او صيغ التعليم التي يعرفها قراؤه. فمرقس يريد ان يجعلهم منتبهين الى كلمة الله التي تواصل جريها اليهم وتمنحهم (راجع ٤: ١١) سر المسيح القائم، عبر الانجيل العامل دوماً في الكنيسة.

وبدورنا، نحن مدعوون الى ان نتلقى، في الايمان، الرسالة الفصحية من الكنيسة، بصفتها كلمة الله الموجهة الينا اليوم نحن ايضاً. والمطلوب هو ان نتلقاها بصفتها وحي حقيقة —لا تُدرك بشرياً، بل هي من مستوى القدرة الالهية وحدها– الخلاص المنجز والمعروض منذ الآن على البشر في المسيح القائم. والعمل الليتورجي، كما نرى، يقدم لنا فسحة حياة تتناسب بشكل خاص مع مثل هذا الاصغاء.

بهذا الروح، سيكون بوسعنا ان نقوم من جديد بحج النساء الى القبر. وليس من المستبعَد ان تعكس رواية مرقس ممارسة مثل هذا الحج في اورشليم. وعلى كل حال، فان هذا الحج يُقام مع الحرص بان يقودنا إلى امام السر الحاضر دوماً، سر المسيح القائم. ذلك ان يسوع، اصبح، بطريقة ما، خارج متناول ايدينا. ولن يكون بوسعنا ان نلمس ما يجعلنا ندخل في علاقة حب معه. فالقبر الفارغ ذاته، وقد كان المثوى الاخير لجسده، لم يعد بوسعه ان يمنحنا ما يمكّننا من الامساك به. فقد اصبح المكان الروحي لتأمل نقوم به بدورنا لسر المسيح القائم. وفي غياب اية خبرة حسية، سيكون بوسع كلمة الله وحدها ان تُدخلنا الى هذه الحقيقة الخفية. وهذه الكلمة هي فاعلة دوماً، كما هي مدهشة في كرازة الكنيسة.

"ليس هو ههنا بل قام"

(لوقا ٢٤: ١-١٢)

بقلم جيل كايد
(Gilles Gaide)

صعود الرب

منمنمة في انجيل رابولا/ القرن ٦

٢٤ [١]وعِندَ فَجرِ يَومِ الأَحَد جِئنَ إِلى القَبْر، وهُنَّ
يَحمِلنَ الطِّيبَ الَّذي أَعدَدنَه.

[٢]فوَجَدنَ الحَجَرَ قد دُحرِجَ عنِ القَبْر.

[٣]فدَخَلنَ فلَم يَجِدنَ جُثْمانَ الرَّبِّ يسوع.

[٤]وبَينَما هُنَّ في حَيرَةٍ مِن ذلك، إِذ حَضَرَهُنَّ رَجُلانِ
علَيهِما ثِيابٌ بَرَّاقَة،

[٥]فخِفْنَ ونَكَسْنَ وُجوهَهُنَّ نَحوَ الأَرض، فقالا لَهُنَّ:
"لِماذا تَبحَثْنَ عن الحَيِّ بَينَ الأَموات؟

[٦]إِنَّه لَيسَ ههُنا، بل قام. أُذكُرنَ كَيفَ كَلَّمَكُنَّ
إِذ كانَ لا يَزالُ في الجَليل،

[٧]فقال: يَجِبُ على ابنِ الإِنسانِ أَن يُسلَمَ إِلى أَيدي
الخاطِئين، ويُصلَبَ ويَقومَ في اليَومِ الثَّالِث".

[٨]فذَكَرنَ كَلامَه.

[٩]ورَجَعنَ مِنَ القَبْر، فأَخبَرنَ الأَحَدَ عَشَرَ
والآخَرينَ جَميعاً بِهذهِ الأُمورِ كُلِّها،

[١٠]وهنَّ مَريَمُ المِجدَلِيَّة وحَنَّة ومَريَمُ أُمُّ يَعقوب، وسائِرُ
النِّسوَةِ اللَّواتي مَعَهُنَّ أَخبَرنَ الرُّسُلَ بِتِلكَ الأُمور.

[١١]فبَدَت لَهم هذه الأَقْوالُ أَشبَهَ بِالهَذَيان ولَم
يُصَدِّقوهُنَّ.

[١٢]غيرَ أَنَّ بُطرُسَ قام فأَسرَعَ إِلى القَبْرِ وانحنَى، فلَم
يَرَ إِلاَّ اللَّفائِف، فانصَرَفَ إِلى بَيتِه مُتَعَجِّباً مِمَّا
جَرى.

(لوقا ٢٤: ١-١٢)

"ليس هو هاهنا بل قام"

(لوقا ٢٤: ١-١٢)

بقلم جبل كايد

يقال غالباً بان مخطط مؤلّف لوقا، الانجيل والاعمال، انما هو مخطط جغرافي، اي طريق منطلقه اورشليم. فيسوع، من الجليل حيث بدأ الكرازة بالبشرى السارة، نراه يصعد الى اورشليم، مواصلاً رسالته، وفيها يموت ويقوم ويصعد الى السماء، ومنها يرسل الروح القدس ليحل على الرسل. وهؤلاء يذهبون من اورشليم يكرزون بالانجيل في كل المسكونة (oikouménè) وحتى روما عاصمة العالم الوثني.

ولكن، لماذا تبدو لنا اورشليم منعطف المساحات ان لم يكن، اولاً، وبشكل عميق، لان قيامة المسيح هي منعطف الازمان؟ تلك هي حقاً عقدة التاريخ برمته: الحدث الكبير الذي يعطي معنى لكل الاحداث. وان اقوال الانبياء، وشريعة موسى، والمزامير، وتعاليم يسوع ذاتها لا يمكنها ان تُفهم الا في ضوء القيامة. فكل شيء يتجه نحو هذا الاكتمال: ولوقا لم يملّ من تكراره، سواء قبل القيامة (٩: ٢٢، ٣٠-٣١، ٤٤، ٥١؛ ١٨: ٣١-٣٣؛ ٢٢: ٣٧) ام بعدها (٢٤: ٦-٧، ٢٥-٢٧، ٤٤-٤٦).

تشكّل الروايات المتعلقة بقيامة يسوع، اذن، قمة مؤلّف لوقا ومركزه. وفي انجيله، تبدو وكأنها لا تشغل سوى يوم واحد. فالمسيح، ازاء عدم الفهم المتزايد الذي يلاقيه، يقدم ادلّة ملموسة اكثر فاكثر عن قيامته: القبر الفارغ، الملاكان يؤكدان انه قد قام وفقاً للكتب المقدسة؛ هو ذاته يتراءى، "يكسر الخبز"، يُري جروحه، وقد بلغ به الأمر الى الاكل مع تلاميذه. وحين يصبح ايمانهم راسخاً، يرسلهم الى العالم ويَعِدُهم بالروح القدس. ومن ثم يُرفع الى السماء.

فمن كل هذا المجمل، هو المقطع الاول وحده مشترك بين الاناجيل الاربعة. ولوقا، كعادته، ليس اقل انفراداً من سائر الانجيليين. انه يصحح التقليد الذي يمثّله كلٌّ من مرقس ومتى، حين يشير الى ملاكين عوضاً عن ملاك واحد. انه يضيف تفاصيل ذات معان: النساء ينحنين نحو الارض. وهو يُهمِل ما كان بوسعه ان يغيّر مخططه: ليس هناك اي تلميح الى الترائيات في الجليل: لا بل نراه يحدث تغييراً في العبارة: التلميح الى الجليل يُنقل الى رؤية مختلفة بالكامل: "اذكرن كيف كلّمكن اذ كان لا يزال في الجليل"! وها هو يحوّل من مكانها لائحة النسوة اللواتي بكّرن الى القبر، ويفسّر معطيات سابقيه بشأن زمن شراء الطيوب: بالنسبة له، كان شراؤها يوم الجمعة مساءً[1]. كما انه يبسّط في الامور: فمن دون ان يتحدث عن رد فعل النساء الاول –وكان صمتاً (مرقس) او اقله خوفاً (متى)– هوذا يرينا اياهن راكضات على الفور حاملات الرسالة. وهو يكمّل نقطة تتسم في نظره باهمية كبرى: بطرس تحقق هو ايضاً من فراغ القبر. وكل هذه الحرية التي اتخذها لوقا تبدو موافقة لعادات مؤلف الانجيل الثالث!

أولاً: تحقق النسوة: ليس هو ههنا (آ ١-٥أ)

كان الاسبوع اليهودي ينتهي يوم السبت، يوم الراحة (تك ٢: ٢، خر ٢٠: ٨-١١). و**"اليوم الاول من الاسبوع"** كان، اذن، غداة السبت. ويبدو ان المسيحيين اتخذوا، مبكراً جداً، هذا

(١) بحسب مرقس، كانت الطيوب قد اشتريت مساء السبت (١٦: ١). وبحسب يوحنا، جرى التطييب قبل الدفن (١٩: ٣٩-٤٠). اما متى، فلا يتحدث لا عن طيوب ولا عن تطييب. وهذا التفصيل بشأن الزمن ليس ذات اهمية كبرى؛ الا اننا اذا اصررنا على اعادة الترتيب الزمني للاحداث، يتوجب علينا حينذاك ان نعترف بان التقليد الذي يمثله يوحنا هو الاكثر احتمالاً. اذ كيف تكون النساء قد ذهبن بفكرة تطييب يسوع، في ساعة لم يكن بوسعهن ان يجدن العون لدحرجة الحجر الكبير؟ وهل يمكن ان يكنّ طائشات الى درجة انهن لم يفكرن بهذا العائق، الا في نصف الطريق؟ ومن ثم ألم يكن الوقت متأخراً لتطييب يسوع؟ من جهة اخرى، اذا كان التطييب قد جرى لدى دفن يسوع، فسيكون من المعقول ومن السمة الانثوية ومن الموافق لعادات الزمان، ان تستعجل النسوة في العودة الى القبر في اسرع وقت ممكن كي يبكين على يسوع (متى ٢٨: ١). وسيضع انجيل بطرس المنحول من القرن ٢ على لسان النسوة: "ولما كنا في يوم صلبه لم نتمكن من البكاء والضرب على الصدور، فلنقم بذلك الآن عند القبر"!

اليوم مكان السبت، وجعلوه بمثابة يوم راحة وصلاة. وكانوا يدعونه "يوم الرب": ذلك لان المسيح، بقيامته، دلّ على انه "الرب" (رؤ ١: ١٠).

ولوقا لم يوضح اليوم فقط، بل اوضح ايضاً الساعة التي تم فيها الحدث الهام الذي سوف يرويه. وهذا الايضاح نجده ايضاً لدى الانجيليّين الآخرَين، ولكن بمفردات اخرى.

والنسوة اللواتي يذهبن الى القبر هن انفسهن اللواتي تبعن يسوع من الجليل، ورافقن يوسف الرامي إبان الدفن (لو ٨: ١-٣؛ ٢٣: ٥٥). اما اسماؤهن، فسوف ينفرد لوقا بكشفها في نهاية الرواية التي تتعلق بهن، بمثابة توقيع خفي على شهادتهن (آ ١٠).

كانت النسوة، بحسب مرقس، قد تساءلن وهن ماشيات: "مَن يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟" ويهمل لوقا هذه المسألة التي يُحتَمَل ان الانجيلي الاول قد اضافها، وهدفه ان يشدد على عنصر المفاجأة في الرواية؛ وهي مسألة لا تُصدَّق، اقله في هذا الوقت، اذ كان يتوجب عليهن ان يطرحنها قبل التحرّك. ويكتفي لوقا بالاشارة الى الحدث الذي كان قد تمّ: "**وجدن الحجر قد دُحرج عن القبر**".

وبدهشة، نراهن يدخلن القبر المفتوح وينظرن. وسرعان ما ترافق دهشتَهن حيرة، حين تحققن ثانية: "**لم يجدن جثمان الرب يسوع**". ويتساءَلن عن سبب هذا الاختفاء. فبحسب مرقس ومتى، كان الملاك قد بشّرهن اولاً بقيامة يسوع؛ ومن ثم تحققن بالفعل ان جسده لم يعد هناك، وهكذا تتم المصادقة على كلمات الملاك. اما بحسب لوقا، فعلى العكس، تحققت النساء من غياب الجسد قبل ان يعرفن معنى هذا الاختفاء، وقبل ان يرين الملائكة. وليس لتدخل الملائكة من هدف سوى ان يفسّروا لهنّ هذا السر.

ومتى، باتباعه تقليد مرقس، لم يتحدث سوى عن ملاك واحد؛ اما لوقا -ويوحنا في وقت لاحق- فيتحدث (بحسب مصدره) عن ملاكين. وقد وصفا بصفتهما رجلين متشحين بملابس براقة، وهو رمز لأصلهما السماوي.

والنساء، لدى رؤيتهنّ الملائكة، اخذتهن الرعدة: تلك هو حقاً ردة الفعل الطبيعية لدى البشر حين يكونون في حضرة تجليات سماوية (راجع ١: ١٢، ٢٩-٣٠، ٦٥ الخ...؛ خر ١٩: ٢١؛ ٣٣: ٢٠؛ ١ مل ١٩: ١٣ الخ...).

"**نكّسن وجوههن نحو الارض**". بوسعنا ان نتساءل لماذا؟ فلو كنّ قد وُجدن خارج القبر، لسَهُل فهم حركتهن: لقد كانت ابواب القبور اليهودية منخفضة، وفي الواقع هوذا بطرس ينحني لينظر الى الداخل (لو ٢٤: ١٢؛ يو ٢٠: ٥، ١١). وهنا، لا يمكن ان يكون هذا هو المعنى؛ ثم ان الفعل المستخدم مختلف. فالحركة هي بالأولى رمزية، وكي نفهم كل ابعادها، يجب ان نقاربها مع

حركة التلاميذ الفورية بعد الصعود: يقول لنا لوقا انهم بقوا هناك وعيونهم شاخصة الى السماء[٢]. والنساء صُعقن وفقدن شجاعتهن، بينما كان ينبغي بالاحرى ان "ينهضن ويرفعن الرأس"، لان الخلاص قد دنا (راجع لو ٢١: ٢٨). فالمسيح لم يندحر؛ وتلك هي ايضاً حالتهن. لم يعد من معنى البقاء في رؤى ارضية، اي في معرفة للمسيح بحسب الجسد (راجع ٢ قور ١: ١٧؛ ٥: ١٦)؟ فالارض التي تحفظ الاموات، لم يكن بوسعها ان تحتجزه (رسل ٢: ٢٤-٢٨؛ ١٣: ٣٤-٣٧). ولكن حين يكون قد رُفع الى السماء، لن يكون ممكناً قط إبقاء العيون شاخصة إليه، في انتظار سلبي لعودته، بل سيتوجب العمل هنا على مجيء ملكوت الله، والذهاب الى اقاصي الارض للشهادة لقيامته (رسل ١: ٨-١١).

ثانياً: رسالة الملائكة: انه قام (آ ٥ب-٨)

هذا هو الاعلان الاكبر، "البشرى السارة": يسوع قد قام. ولكن قبل ان نستذكر مفردات متى لاعلان هذه الحقيقة (آ ٦أ)، هوذا لوقا يصوغها بمفردات هي في الوقت ذاته بولسية ويونانية: فعلى صورة اليقظة الاعتيادية او النهوض من النوم، هوذا يضيف الفكرة اللاهوتية بشأن الحياة (راجع روم ٦: ٩-١٠؛ رسل ٢٥: ١٩). وهي اللفظة ذاتها التي يضعها من جديد على لسان تلميذي عماوس كي يوجز رسالة الملائكة (٢٤: ٢٣).

في العهد القديم، الحي هو الله ذاته (عد ١٤: ٢١، ٢٨؛ تث ٣٢: ٤٠). ويهوه هو الاله الحي (تث ٥: ٢٦؛ حز ٥: ١١). ويحلفون الناس باسم الاله الحي (١ صم ١٩: ٦). وهو وحده ينبوع الحياة، لا بل هو سيدها (تك ٢: ٧؛ ١ صم ٢: ٦). لذا، بوسعنا ان نضفي على كلمة حي كل قوتها، ونترجم: "لماذا تبحثن عن الحي بين الاموات؟" عوضاً عن "لماذا تبحثن عن من هو حي ..." كما ترد في ترجمات اخرى. وهكذا يصبح اعلان الملائكة، بهذا المعنى، مشبعاً باللاهوت البولسي واليوحناني، والذي بموجبه يتماثل المسيح مع الحياة (يو ١: ٤؛ ١١: ٢٥؛ ١٤: ٦)، وهو ينبوع الحياة (١٠: ١٠؛ روم ٥: ١٠؛ ١ قور ١٥: ٤٥؛ يو ٣: ٣٦؛ ١ يو ٥: ١١). لقد كان اليونانيون يعرّفون الالوهية بالخلود، ولا يرون في البشر سوى "مائتين". وهوذا لوقا يستخدم من جديد هذا التضاد. فلقد سبق ان استخدم اعلاه (آ ٣) العبارة القوية جداً **"الرب يسوع"**؛ وليس ما يمنع انه، هنا ايضاً، اضفى على كلمة "حي" مضمون ايمان الكنيسة بلاهوت يسوع الذي تؤيده القيامة.

وفضلاً عن ذلك، تبدو كلمات الملائكة محمّلة بالتأنيب: ذلك لان النسوة كنّ قد نسينَ النبؤات التي تتعلق بآلام المسيح وقيامته. وهكذا هي الحال مع تلميذي عماوس (آ ٢٥-٢٦) وسائر

(٢) رسل ١: ١٠، راجع كتاب بيير بنوا "روايات الآلام والقيامة" دار سيرف، ١٩٦٦ (مترجم).

الرسل (آ ٣٨) الذين سيتلقون التأنيب ذاته. وهذا التأنيب الموجه الى النساء، يذكّر، من جهة اخرى، بالتأنيب الذي كان يسوع قد وجّهه الى امه حين وجدته في الهيكل: "لِمَ بحثتما عني؟" (لو ٢: ٤٩). فمن يعرف يسوع، يعرف ايضاً اين يجده. وكانت النساء تبحثن عنه حيث لم يكن بوسعه البتة ان يكون. فأن يموت انسان ونبحث عنه بين الاموات، فليس في ذلك شيء من الغرابة. ولكن الأمر مع يسوع ليس كذلك؛ فكان بوسع رؤية القبر فارغاً ان تكفي للنساء كي يفهمن.

لو كان التلاميذ قد آمنوا حقاً باقوال الانبياء واقوال يسوع ذاته، لما وُجدوا حائرين، لا ازاء موته، ولا ازاء اكتشاف القبر فارغاً. واما التذكير باقوال الانبياء، فقد سبق متى ان اضافه على رواية مرقس. وكيف كان يسعه ألاّ يعرض القيامة بصفتها إتماماً للنبؤات، هو الذي كان، دون انقطاع، يؤسس دفاعه على اكتمال النبؤات في يسوع؟ ولكن، فيما اكتفى متى بتلميح عام: "قام من بين الاموات **كما قال**"، هوذا لوقا يجعل على لسان الملائكة احدى هذه النبؤات[٣]، وسيُبيّن فيما بعد، وعلى دفعتين، كيف ان يسوع طبقها على ذاته امام تلاميذه (آ ٢٥-٢٧، ٤٤-٤٦).

"**اذكرن**"! قالت الملائكة للنساء. مع انه بحسب الاناجيل، هم التلاميذ، وليس النسوة، سمعوا يسوع ينبئ عن موته وقيامته! هل يسعنا ان نتخيل ان النسوة كن حاضرات لدى تلك الانباءات، أو ان الرسل كرروها على مسامعهن؟ الا ان لوقا، كان يكفيه بان هذه الانباءات موجودة في انجيله[٤]. ومن المحتمل جداً انه من اجل ذلك، سبق أنْ اضاف على الانباء الاول هذه العبارة: "اجعلوا هذا الكلام في مسامعكم" (٩: ٤٤، قارن مع مر ٩: ٣١؛ متى ١٧: ٢٢). وهذا التنبيه يتجاوب مع "اذكرن".

اما التوضيح بشأن "**اليوم الثالث**" -وهي العبارة التي صادفناها مسبقاً في ٩: ٢٢- هل ينبغي ان نعتبرها امراً عرضياً، ام موضوعاً قَصَدَه الانبياء؟ وفي هذا الاحتمال الثاني، نتساءل: بأي نص من العهد القديم نلحقها؟ ويختلف المفسرون حول هذه المسائل[٥]. ومن الممكن ان تكون الكنيسة الرسولية قد اضفت على نص هوشع ٦: ٢ ويونان ٢: ١ بُعداً مسيحانياً لم يكن لهذه النصوص في معناها الحرفي[٦].

لم يكن باطلاً تأنيب الملاكة للنسوة. فلقد وجدن في القبر الفارغ علامة اتمام النبؤات، وآمنَّ ان يسوع قد قام. ويوحنا الذي وُجد في حضرة الحدث ذاته، سيؤمن هو ايضاً

---

(٣) الاية ٦ هي من اكثر الايات التي تظهر فيها بوضوح تبعية لوقا لمتى.

(٤) ف. جيل: يسوع النبي، لوفان ١٩٥٧ (بالفرنسية).

(٥) المصدر ذاته مع ج. ديبون: "قام في اليوم الثالث" في مجلة بيبليكا ١٩٥٩ (بالفرنسية).

(٦) نصادف كثيراً من هذه العبارات في العهد الجديد. انظر تحليل حالة صعبة لدى ج. كايد: اورشليم، هوذا ملكك، تفسير لنص زك ٩-١٤، دار سيرف ١٩٦٨ (بالفرنسية).

(يو ٢٠: ٨ب-٩). لذا، فان موضوع تذكّر الاقوال النبوية التي تفوّه بها يسوع -ولم تُفهم الا بعد القيامة- هو احد نقاط الالتقاء بين الانجيلين الثالث والرابع (يو ٢: ١٧؛ ٢٢؛ ٧: ٣٩؛ ١٢: ١٦؛ ١٣: ٧؛ ١٦: ١٢-١٣).

ثالثاً: نقل الرسالة، عدم ايمان التلاميذ (آ ٩-١١)

كان الملاك، بحسب مرقس ومتى، قد ارسل النسوة ليحملن البشرى الى التلاميذ. ولكن النسوة، بحسب مرقس -وذلك اكثر قرباً من الواقع التاريخي- كنّ قد هربن مرتعدات خائفات، دون ان يقلن شيئاً. لقد كان هذا التفصيل يهم مرقس، لأنه يصدي لمواضيعه المفضّلة بشأن عدم فهم التلاميذ، كما بشأن الامر بالصمت. اما متى، فقد تجاوز هذه النقطة ليدلي بفرح النساء اللواتي اسرعن السير ليُعلمن التلاميذ؛ وهوذا يسوع نفسه يتراءى لهن في الطريق (متى ٢٨: ٨-١٠). وهوذا لوقا يذهب في اتجاه آخر: انه لا يشير الى ترائي يسوع للنسوة (راجع آ ٢٤)، وانما يروي ترائياً آخر، هو الترائي لتلميذي عماوس.

يحب لوقا، كعادته، يحب ان يشدد على مشاعر شخوصه، ولا سيما مشاعر الفرح أو الخوف (١: ١٢، ١٤، ٦٥؛ ٢: ٩ الخ...). واذا لم يتحدث هنا عن مشاعر النسوة، فلأنه يريد ان يؤطر بشكل كبير الحدث الاساس: لقد آمَنَّ. وليس بفعل حركة سطحية ينقصها التفكير تُنسب إلى التصديق النسوي، كما فعل الرسل، وانما بفعل ايمان مؤسس بشكل قوي على التحقق من غياب جسد يسوع، ايمان يستند الى كلام الملائكة والى شهادة الاسفار المقدسة، والى يسوع ذاته[٧].

"اخبرن الاحد عشر والآخرين" (راجع آ ٢٣). تجدر الاشارة الى ان عبارة "الاحد عشر" التي تأتي اساساً من دون التتمة "تلميذاً"، فهي خاصة بلوقا[٨]. انها تسمية موازية للعبارة الاخرى "الاثني عشر"؛ وهي تهيّئ هنا رواية اختيار متيا (رسل ١: ١٥-٢٦). فالاحد عشر ليسوا وحيدين في تلقّي الرسالة. وانما هم، بالفعل، الشهود الرسميون على قيامة يسوع (راجع رسل ١: ٢١-٢٢)؛ الا ان لوقا اصرّ على ان يبيّن بان هذه المهمة ليست حصراً عليهم. فالى جانب الاثني عشر، نجد "الاثنين والسبعين"، وتلاميذ اخرين تلقوا مهمة، هم ايضاً (لو ١٠: ١-١٦). وبصفتهم شهود القيامة، فانهم ممثّلون في شخص تلميذي عماوس (قارن آ ٩ مع آ ٢٢؛ راجع آ ٣٣-٣٥؛ ١ قور ١٥: ٦).

---

(٧) راجع ج. شميت: رواية القيامة في انجيل لوقا، ١٩٥١ (بالفرنسية).

(٨) قارن متى ٢٨: ١٦ مع لو ٢٤: ٩، ٣٣؛ رسل ٢: ١٤. اما مرقس ١٦: ٤، فهو موجز عن لو ٢٤: ٣٦+

ان شهادة النسوة ثابتة: لم تكن الاحداث وحدها فرضت عليهن الايمان، الى حدّ ما، بل نجدهنّ مشخّصات (آ ١٠). انهن انفسهن اللواتي تبعن يسوع من الجليل، وفي مقدمتهن مريم المجدلية وحنة امرأة خازن هيرودس (٨: ٢-٣)، وكذلك مريم ام يعقوب التي ذكرها مرقس (١٦: ١). اما سالومة (مر ١٦: ١)، فهي ولا شك غير معروفة جيداً، وكان متى قد تجاهلها. فيما استعاض لوقا عنها بحنّة التي يعرفها قراؤه مسبقاً، وبالتالي، فهي شاهدة اكثر مصداقية.

ولكي نبرهن ان يسوع كان قد خرج من القبر حياً، هل يمكننا ان نحصل على شهود اكثر مصداقية من اولاء النساء اللواتي حضرن الدفن ورأين القبر والطريقة التي وُضع بها الجسد (٢٣: ٥٥)؟ وهوذا لوقا يشدد على ذلك كثيراً، واكثر من الانجيليين الآخرين. الا ان متى يأتي بمعطيات اضافية تهدف الى اقامة الدليل بان جسد يسوع لم يكن بوسع التلاميذ ان يسرقوه (٢٧: ٦٢-٦٦؛ ٢٨: ١١-١٥). وهكذا، فان شهادة النساء، بالرغم من قيمتها، لم تكفِ لتقنع التلاميذ الخائبين: انهم لا يرون فيها سوى حكايات نساء! (آ ١١، راجع ٢٢-٢٤).

رابعاً: بطرس يتحقق (٩)

وحده بطرس نجده قد اهتزّ، فاراد ان يتحقق من الامر بنفسه. وفيما يجهل كلٌّ من مرقس ومتى هذا المشهد الصغير، نرى يوحنا ينقله بكثير من التفاصيل تفوق تفاصيل لوقا، ويضع الى جانب بطرس "التلميذ الاخر" (٢٠: ٢-١٠). فهل هو لوقا (او احد تلاميذه) الذي اختزل يوحنا، ام هو التقليد اليوحناني توسّع في نص لوقا؟ تلك مسألة حرجة جداً، إذ ان رواية لوقا تحتوي مفردات لوقاوية ومفردات يوحنانية معاً.

يُحتمل ان يكون التأثير المتبادل قد مُورس بشكل متتابع في الاتجاهين(١٠). فلقد كانت هناك دوافع وجيهة لدى الاوساط اليوحنانية حملتها على ان تروي زيارة يوحنا للقبر وفعل ايمانه. وبالمقابل، لم يكن لوقا قد منح اهمية للحدث. وليس ذلك لانه كان يجهله (راجع آ ٢٤)، وانما آثر ان يجعل القارئ يركّز انتباهه على بطرس.

وبطرس الذي يبدو دوماً سريعاً في ردود فعله، اسرع الى القبر وتحقق من غياب جسد يسوع. الا ان هذا التحقق لم يخلق لديه سوى الاستغراب والدهشة. انه لا يعلم كيف يفكر في الأمر. ويوضح الانجيل الرابع ان رفيقه آمن، وفي الوقت ذاته، يَدَع الاحتمال بان بطرس لم يؤمن بعدُ

(٩) هذه الآية سقطت في بعض المخطوطات ومن نسخة **Vetus Latina**. ويحوم الشك حول اصالتها، وهذا لا يعني انها لا تنتمي الى النص الملهَم. فبالامكان انها اضيفت في وقت لاحق لتأليف الفصل ٢٤.

(١٠) انظر بيير بنوا: مريم المجدلية والتلاميذ عند القبر بحسب يو ٢٠: ١-١٨، برلين ١٩٦٠ (بالفرنسية).

بالقيامة. اما لوقا، فيبقى متحفظاً: ذلك لان نهايته تقوم في التشديد على اهمية دور بطرس، وليس على اظهار ضعفه.

خلاصة: لاهوت رواية لوقا

ان الصدمة التي شعر بها بطرس، وهو الشاهد المباشر، -وكان له دور في الاحداث الاخيرة من حياة يسوع على الارض- تمسّ ايضاً قارئ انجيل مرقس (١٦: ١٠-١٤). لقد وُضع يسوع في القبر، وكل شيء يبدو قد انتهى، لا بل، تلاشى. فالقيامة هي بدء خلقة جديدة، وهي شكلٌ مطلق من اشكال البداية.

هوذا متى يتخذ مسافة: انه ينظر الى الاحداث بمعية ايمان الكنيسة، وسبق له مبكراً ان اعلن عن ديمومتها (١٦: ١٨). لذا، فهو لا يتوقف كثيراً على وصف ترددات التلاميذ في حضرة القائم: وبالكاد اشار بشكل عابر الى ان "بعضهم ارتابوا" (٢٨: ١٧). ولا يتراءى يسوع الا ليجعل من الرسل شهوداً مباشرين لقيامته، وليعهد اليهم بمهمتهم الرسولية. وكل شيء يجري، بين جبل عظة التطويبات الافتتاحية في الجليل، وبين جبل الجليل الذي منه يرسل الرسل ليكرزوا ويعمذوا في العالم اجمع (٢٨: ١٦-٢٠). لذلك فان الجليل، في الواقع، في نظر متى، هو رمز للحدود مع العالم الوثني (راجع ٤: ١٥-١٦)[١١].

اما لوقا، فهو الآخر، يتخذ مسافة اكبر. انه يقدم لنا رؤية اجمالية كبرى ستجد امتدادها في سفر الاعمال، وحتى تأسيس كنيسة روما. فموت يسوع لم يعد دخولاً في هاوية، وانما علامة تسليم الابن ذاته، وهو يرقد في احضان الآب (٢٣: ٤٦)، كي يستيقظ من ثم. فلسنا بازاء قطيعة، وانما بازاء منعطف في مجرى المخطط الالهي. انه مجرى مستمر ومعصوم: "**اما كان ينبغي** للمسيح ان يعاني تلك الآلام ويدخل في مجده؟" (٢٤: ٢٦). ذلك ان الموت والقيامة قد سبقا ان أُعلنا بفم الشريعة والانبياء والمزامير، وبفم يسوع ذاته: انهما ليسا سوى تتميم: "ذلك كلامي الذي قلتُه لكم اذ كنت معكم، وهو انه **يجب ان يتم** كل ما كتب في شأني، في شريعة موسى وكتب الانبياء والمزامير" (آ ٤٤).

وسيذهب يوحنا الى ابعد: ففي نظره، كان يسوع قد رُفع وتمجّد منذ آلامه. ولا يشدد يوحنا على أدلة القيامة بقدر تشديده على موهبة الروح القدس التي اعطاها المسيح الممجد، وهي الموهبة الضرورية لفهم تعليم المسيح ذاته، والمرتبطة بموهبة الحياة المُقامة (راجع لو ٢٤: ٥ب).

(١١) راجع م. رامسي: قيامة المسيح، دار كاسترمان ١٩٦٨ (بالفرنسية).

هوذا يوحنا يمتدح ايمان الذين يؤمنون وإن لم يروا المسيح القائم (٢٠: ٢٩). ويرينا لوقا عن ذلك نموذجاً في شخص النساء اللواتي آمنّ على كلام الملائكة، دون ان يكنّ قد رأين يسوع ذاته (قارن مع يو ٢٠: ٨). فالقبر الفارغ هو علامة نستطيع ان نتحقق منها. أما تأكيد الملائكة، فذلك ما ينبغي ان نؤمن به ايجابياً، استناداً الى كلامهم، مع الاعتراف بان وراء العلامة يختفي تتميم الاسفار المقدسة.

وبالاكثر، فان الايمان بالقيامة ليس اعترافاً بحدث تاريخي حسب. انه يمس شخص القائم ذاته، ويرى فيه، لا حيًّا من الاحياء، على شاكلة ابن ارملة نائين على سبيل المثال، وانما "الحي"، ابن الله، الرب (٢٤: ٣، ٥).

هذا الايمان هو ايمان الكنيسة المؤسِّسة على بطرس. ذلك ان بطرس، في نظر لوقا، هو الشاهد بامتياز على القيامة. وهو الذي حظي بتراءٍ خاص يشهد له التلاميذ يوم القيامة بالذات (آ ٣٤)، وقد ذُكر في الموقع الاول من التقليد الذي يشهد له بولس (١ قور ١٥: ٥). فباسم الاثني عشر، اعلن بطرس القيامة، ابان العنصرة (رسل ٢: ١٤-٣٦؛ ٣: ١٢-٢٦؛ ٤: ٨-١٢). "علماً بان تجلي يسوع لبطرس ليس سوى وجه من الخبرة الفصحية التي عاشها الرسول؛ ومسعاه الى القبر يكشف عن وجه آخر ليس اقل اهمية"[١٢]. فلا رؤية القبر الفارغ، ولا شهادة النسوة بالاكثر، أثارتا فعل الايمان لديه، وانما هو يسوع ذاته الذي يتراءى له. وهكذا اصبح بوسعه ان "يعود"؛ وبالتالي "أن يثبّت اخوته" (لو ٢٢: ٣٢).

تلك هي اسس ايماننا بيسوع الحي، الذي هو الرب.

(١٢) ج. سميت. المصدر ذاته.

ترائيات المسيح القائم

بحسب لوقا

(لوقا ٢٤: ١٣-٤٨)

بقلم جيل كايد
(Gilles Gaide)

١٣ وإذا باثنَين مِنهُم كانا ذاهبَين، في ذلكَ اليَوم نفسِه، إلى قَريَةٍ إسمُها عِمَّاوُس، تَبعُدُ نحوَ ستِّينَ غَلوَةٍ مِن أورَشَليم.
١٤ وكانا يَتحدَّثان بِجَميعِ هذه الأُمورِ الّتي جرَت.
١٥ وبَينَما هُما يَتَحَدَّثانِ ويَتَجادلان، إذا يسوعُ نَفسُه قد دَنا مِنهُما وأخذَ يَسيرُ معَهما،
١٦ على أنَّ أعيُنَهُما حُجِبَت عن مَعرِفَتِه.
١٧ فقالَ لَهما: "ما هذا الكَلامُ الّذي يَدورُ بَينَكُما وأَنتُما سائِران؟" فوَقَفا مُكتَئِبَين.
١٨ وأجابَه أحَدُهما واسمُه قَلاوبا: "أأَنتَ وَحدَكَ نازِلٌ في أورَشَليم ولا تَعلَمُ الأُمورَ الّتي جرَت فيها هذهِ الأيَّام؟"
١٩ فقالَ لَهما: "ما هي؟" قالا له: "ما يَختَصُّ بيَسوعَ النَّاصِريّ، وكانَ نَبيّاً مُقتَدِراً على العَمَلِ والقولِ عِندَ اللهِ والشَّعبِ كُلِّه،
٢٠ كَيفَ أَسلَمَه عُظَماءُ كَهَنَتِنا ورُؤَساؤُنا لِيُحكَمَ علَيهِ بِالمَوت، وكَيفَ صَلَبوه.
٢١ وكُنَّا نَحنُ نَرجو أنَّه هو الّذي سيَفتَدي إِسرائيل ومعَ ذلكَ كُلِّه فهذا هوَ اليَومُ الثَّالِثُ مُذ جَرَت تِلكَ الأُمور.
٢٢ غيرَ أنَّ نِسوَةً مِنَّا قد حَيَّرنَنا، فإنَّهُنَّ بَكَّرنَ إلى القَبْرِ
٢٣ فلَم يَجِدنَ جُثمانَه فرَجَعنَ وقُلنَ إنَّهُنَّ أبصَرْنَ في رُؤيَةٍ مَلائكةً قالوا إنَّه حَيّ.
٢٤ فذهَبَ بَعضُ أَصحابِنا إلى القَبْر، فوَجَدوا الحالَ على ما قالَتِ النِّسوَة. أمَّا هو فلَم يَروه".
٢٥ فقالَ لَهما: "يا قَليلَيِ الفَهمِ وبطيئَيِ القَلْبِ عن الإيمانِ بِكُلِّ ما تَكَلَّمَ به الأنبياء.
٢٦ أَما كانَ يَجِبُ على المَسيحِ أن يُعانِيَ تِلكَ الآلام فيَدخُلَ في مَجدِه؟"
٢٧ فبَدأَ مِن مُوسى وجَميعِ الأَنبياءِ يُفسِّرُ لَهما جميعِ الكُتُبِ ما يَختَصُّ به.
٢٨ ولمَّا قَرُبوا مِنَ القَريَةِ الّتي يَقصِدانِها، تظاهَرَ أنَّه ماضٍ إلى مَكانٍ أبعد.
٢٩ فأَلَحَّا عليه قالا: "أُمكُثْ مَعَنا، فقد حانَ المَساءُ ومالَ النَّهار". فدَخَلَ لِيَمكُثَ معَهما.
٣٠ ولمَّا جَلَسَ معَهُما لِلطَّعام أخذَ الخُبْزَ وبارَكَ ثُمَّ كسَرَهُ وناوَلَهما.
٣١ فانفَتَحَت أعيُنُهما وعرَفاه فغابَ عنهُما.
٣٢ فقالَ أحَدُهما لِلآخَر: "أَما كانَ قلبُنا مُتَّقِداً في صَدرِنا، حينَ كان يُحَدِّثُنا في الطَّريقِ ويَشرَحُ لنا الكُتُب؟"
٣٣ وقاما في تِلكَ السَّاعَةِ نَفسِها ورَجَعا إلى أورَشَليم، فوَجَدا الأحَدَ عشَرَ والّذينَ مَعَهم مُجتَمِعين،
٣٤ وكانوا يَقولون إنَّ الرَّبَّ قامَ حَقاً وتَراءَى لِسِمْعان.
٣٥ فرَوَيا ما حَدَثَ في الطَّريق، وكَيفَ عَرَفاه عِندَ كَسْرِ الخُبْز.
٣٦ وبَينَما هُما يَتَكَلَّمانِ إذا به يَقومُ بَينَهم ويَقولُ لَهم: "السَّلامُ علَيكُم"!
٣٧ فأَخَذَهُمُ الفَزَعُ والخَوفُ وظَنُّوا أنَّهم يَرَونَ رُوحاً.
٣٨ فقالَ لَهم: "ما بالُكم مُضطَرِبين، ولِمَ ثارَتِ الشُّكوكُ في قُلوبِكم؟
٣٩ أُنظُروا إلى يَدَيَّ وقَدَمَيَّ. أنا هو بِنَفسي. إِلمِسوني وانظُروا، فإِنَّ الرُّوحَ ليسَ له لَحمٌ ولا عَظمٌ كما تَرَونَ لي".
٤٠ قالَ هذا وأَراهُم يَدَيهِ قدَمَيه
٤١ غيرَ أنَّهم لم يُصَدِّقوا مِنَ الفَرَحِ وظَلُّوا يَتَعَجَّبون، فقالَ لَهم: "أَعِندَكُم هَهُنا ما يُؤكَل؟"
٤٢ فناوَلوهُ قِطعَةَ سَمَكٍ مَشوِيّ.
٤٣ فأَخَذَها وأَكَلَها بِمرأًى مِنهُم.
٤٤ ثُمَّ قالَ لَهم: "ذلك كلامي الّذي قُلتُه لكم إذ كُنتُ مَعَكم وهو أنَّه يَجِبُ أن يَتِمَّ كُلُّ ما كُتِبَ في شأني، في شَريعَةِ موسى وكُتُبِ الأنبياءِ والمَزامير".
٤٥ وحينَئِذٍ فتَحَ أذهانَهم لِيَفهَموا الكُتُب،
٤٦ وقالَ لَهم: "كُتِبَ أنَّ المَسيحَ يَتأَلَّمُ ويقومُ مِن بَينِ الأمواتِ في اليَومِ الثَّالِث،
٤٧ وتُعلَنُ بِاسمِهِ التَّوبَةُ وغُفرانُ الخَطايا لِجَميعِ الأُمَم، إبتِداءً مِن أورَشَليم.
٤٨ وأَنتُم شُهودٌ على هذه الأُمور.

(لوقا ٢٤: ١٣-٤٨)

ترائيات المسيح القائم
بحسب لوقا
(لوقا ٢٤: ١٣-٤٨)

بقلم جيل كايد

بنية هذه "القطعة"

روايات ترائيات يسوع القائم بحسب لوقا (٢٤: ١٣-٤٨) مؤطرة برواية اكتشاف القبر فارغاً (٢٤: ١-١٢) ورواية الصعود (٢٤: ٥٠-٥٣). ولها غاية مضاعفة، كما يوضح ذلك لوقا ذاته في بدء سفر الاعمال (١: ٣ و٨): اعطاء أدلّة على القيامة، ومن هنا تأسيس ايمان التلاميذ (لو ٢٤: ٣٦-٤٣)؛ وتسليم الرسل مهمة الشهود، بحيث يصبح بالامكان عرض الانجيل على كل الامم (آ ٤٤-٤٨).

هذه "القطعة" (لو ٢٤: ١٣-٤٨)، تقسم، على الصعيد الادبي، الى مقطعين: الترائي لتلميذي عماوس (آ ١٣-٣٥) والترائي للرسل ولرفقائهم المجتمعين معهم في العلية (آ ٣٦-٤٨).

ان بنية المجموعة (آ ١-٤٨) مطبوعة بثلاثة مواضيع تتكرر في كل من الروايات الثلاث التي تؤلف المجموعة. وسواء بصدد اكتشاف القبر الفارغ، ام بصدد الترائيين على طريق دمشق وفي العلية، نجد في كل مرة: علامة، ترائياً، تفسيراً للكتب. الى جانب فرق واحد، وهو ان الملائكة هم الذين يظهرون في القبر، وليس يسوع ذاته.

اما بصدد بنية هذه القطعة "الادبية"، فبامكاننا الاشارة الى عناصر تناظر. فمن جهة، هو بطرس الذي يذهب الى القبر، الا ان مسعاه لا يُفضي الى فعل ايمان، فيما يُمنى التلاميذ بالخيبة (آ ١٢). ومن جهة اخرى، هو بطرس الذي يرى يسوع، فيؤمن، والكل يؤمنون على شهادته (آ ٣٤).

ان الفصل الاخير من انجيل لوقا، بالرغم من بنيته ذات الخطوط الواضحة، يطرح جملة من المشاكل الادبية التي لا بد لنا من ان نجد لها جواباً، وبخلافه سيكون من المستحيل ان نستخرج مجموعة التعاليم التي اراد المؤلف ان يسلّمها إلينا.

متناقضات

قراءة اولى لهذه القطعة تترك انطباعاً من الارتياح والروعة. الا ان قراءة اكثر تركيزاً تفرز شيئاً من عدم الارتياح. ويزداد الإحراج بالاكثر حين نقارن رواية لوقا بالملخص المقتضب الذي ورد في خاتمة مرقس[1]. ماذا كانت ردة الفعل لدى "الاحد عشر" في اعقاب عودة تلميذي عماوس الى اورشليم؟ فبحسب مر ١٦: ١٣ "فلم يصدقوهما ايضاً"، كما سبق انهم لم يصدّقوا بشهادة النسوة: "لما سمعوا [من مريم المجدلية] انه حي وانها شاهدته، لم يصدّقوا" (آ ١٠)[2]. وكنا ننتظر ان نجد ردة الفعل ذاتها في رواية لوقا. وفي الواقع، نرى فيها العكس: وكأن التلميذين الحاجّين لم يتّسع لهما الوقت لاداء شهادتهما؛ فيما سبق الاحد عشر ورفقاؤهم ان آمنوا بالقيامة واعلنوا ايمانهم!

(١) تبدو خاتمة مرقس (١٦: ٩-٢٠) التي يجمع المفسرون على عدم اصالتها، انها، وقبل أي شيء، ملخص للفصل ٢٤ من انجيل لوقا. راجع ب. تيرنان: كرازة انجيل الرب الشاملة، في مجلة **Assemblées du Seigneur**. (اقرأ ما كتب بشأنها جاك هيرفيو في تفسيره لانجيل مرقس: بيبليا للنشر، الموصل ٢٠١٢/المعرب).

(٢) وهكذا كتب لوقا ايضاً: "وبدت لهم هذه الاقوال اشبه بالهذيان، ولم يصدقوهن" (٢٤: ١١).

(لو ٢٤: ٣٣). ومع ذلك، حين يتراءى لهم يسوع، بعد لحظات من ذلك المشهد، نراهم يرفضون الايمان، بحيث اضطر يسوع الى توجيه تأنيبات قاسية لهم (آ ٣٦-٣٨). وها نحن بازاء تناقض واضح.

بوسعنا ان نتساءل فيما لو كان مؤلف خاتمة مرقس قد لاحظ هذا التناقض، ويكون بالتحديد قد تجنّبه واستعاض عنه باعتراف ايمان اطلقه التلاميذ المجتمعون في العلية، وذلك عبر اشارة منه اكثر انسجاماً مع السياق. فحيث كتب لوقا: **"الرب قام حقاً وتراءى لسمعان"**، نقرأ في مرقس: "لم يصدقوهما هما ايضاً (تلميذي عماوس). ولكن كيف نفسر حينذاك خيار لوقا، واية قيمة تاريخية نمنحه؟ سيما وانه يبدو في تناقض ايضاً مع ذاته بصدد الترتيب الزمني للاحداث.

نعلم ان الصعود، بحسب سفر الاعمال، قد تم اربعين يوما بعد القيامة (رسل ١: ٣). وبحسب الانجيل الثالث، يكون الصعود قد تمّ مساء يوم القيامة: **"عند فجر اليوم الاول من الاسبوع"** (آ ١) ... **وفي ذلك اليوم عينه** (آ ١٣) ... **وفي تلك الساعة نفسها** (آ ٣٣) ... **بينما هما يتكلمان** (آ ٣٦) ... **ثم قال لهم** (آ ٤٤) ... **ثم خرج بهم الى القرب من بيت عنيا ... ورُفع الى السماء"** (آ ٥٠-٥١)[٣].

إلى هذه التناقضات التي برّزناها، تضاف تضادّات في الاسلوب من شأنها ان تثير الشكوك. يُخيل الينا تارة اننا نسمع رواية تتخذ فيها المخيلة حرية كبرى؛ وتارة اخرى قد نعتقد اننا نقرأ كتاباً ليتورجيا باسلوب كهنوتي، موجز وعارٍ:

أ. حاجّان يسيران في الطريق: انهما عائدان الى منزلهما: يلحق بهما مسافر آخر، ويتدخل في محادثتهما، ويطرح عليهما السؤال: **"فوقفا مكتئبين"** (آ ١٧). هل حفظ التقليد حقاً، وعلى مدى سنوات طويلة، تفاصيل ليست ذات اهمية: حاجّان يتوقفان لبضع لحظات، وهما في طريقهما...؟ ومع ذلك يجب ان نعترف باننا بازاء "رؤية" حقيقية: انه الاندهاش الذي اثاره سؤال يسوع بحيث اوقفهما في مسيرهما، سيما وانهما لم يكونا على قدر كبير من الحماس لمتابعة السير. وشاء بعضهم ان يروا في هذا التفصيل الواقعي برهاناً على ان لوقا تلّقى المشهد كله من فم احد هذين الحاجّين، وهنا سوف تقودنا دراسة مجمل هذه الرواية الى تفسير آخر.

ب. البلوغ الى عماوس، نجده هو ايضاً موصوفاً بمفردات ذات حيوية خاصة: **"ولما قربوا من القرية التي يقصدانها، تظاهر انه ماضٍ الى مكان ابعد"** (آ ٢٨). واذا صدّقنا لوقا، نرى يسوع، منذ بدء اللقاء، كان قد تظاهر بانه يجهل موضوع الحديث الدائر بين الرفيقين (آ ١٧). هل ينبغي ان نتساءل هل كان يحق ليسوع ان "يتظاهر"؟ لنقل بالاولى اننا بازاء رتوش ادبية تبدو منسجمة مع

(٣) راجع أ. ريدوارد – م. كون: تأمل بين الفصح والعنصرة، في مجلة **Assemblées du Seigneur**.

قوانين الاسلوب التاريخي لذلك الزمن الذي فيه كتب الانجيليون مؤلّفهم. ولوقا بنى رواية حية جداً، مع كثير من الفن، على اساس معطيات مقتضبة من التقليد.

ج. اما الكلمات التي وضعها على لسان المسافرَين والموجهة الى يسوع: **"امكثْ معنا، فقد حان المساء ومال النهار"** (آ ٢٩)، فليست هي ولا شك كلمات تؤخذ بالمعنى الحصري. وهنا يكون لوقا قد ادرج صيغة ضيافة شرقية تُستخدم باستمرار لدعوة زوار الى البقاء ليلة اخرى لدى ضيوفهم. فليس من الاكيد ان نستخرج من هذه الجملة معلومات عن الساعة الدقيقة لوصول الحاجّين الى عماوس، ولا حول المسافة التي كانت تفصل هذه القرية من اورشليم[٤]. لذا كان من الافضل ولا شك ان نستنتج بان لوقا وظّف هنا كل مواهب القاصّ.

د. والآية التالية تخفي هي الاخرى صعوبة. انها تبدو لاول وهلة مبتذلة: **"ولما جلس معهما للطعام، اخذ الخبز وبارك ثم كسره وناولهما"** (آ ٣٠). إلا ان هناك عدداً من المقارنات يكشف عن مشكلة: الجملة ذاتها نجدها، بتغييرات طفيفة، في رواية تكثير الخبزات ورواية العشاء الاخير[٥]. ومن المعترف به، بشكل عام، ان التشابه بين العشاء وتكثير الخبزات قد تعمّدها الانجيليون لكي يفهمونا بان تكثير الخبزات كانت صورة للافخارستيا.

ويمكننا ان نعتبر مؤكداً التشابه الواضح بين لو ٢٤: ٣٠ وما يوازيه في روايات العشاء وتكثير الخبزات، وهو تشابه لم يكن يخفى على لوقا، وهو بالتالي مقصود. فلقد شاء لوقا ان يقيم صلة بين الاحداث الثلاثة، ومن هنا يأتي السؤال الذي يصعب علينا ان نتلافاه: في عماوس، هل اكل يسوع عشاء اعتيادياً، ام انه احتفل بالافخارستيا؟ بالمعنى الافخارستي، بوسعنا ان نستشهد بمقاطع كثيرة من سفر الاعمال حيث نجد عبارة "كسر الخبز" وهي تقصد الافخارستيا. "كانوا مواظبين على كسر الخبز"! تلك كانت احدى سمات المسيحيين الاولين (٢: ٤٢). فليس المقصود ولا شك تناول خبز اعتيادي[٦]. وتشهد الرسالة الاولى الى القورنثيين ايضاً على الاهمية المعطاة لمقاسمة الخبز

---

(٤) يبقى تشخيص عماوس غير مؤكد، سيما وان التقليد الذي تعكسه المخطوطات لا يُجمع على المسافة التي تفصل هذه القرية عن اورشليم. ففي لو ٢٤: ١٣ ينقل بعض المخطوطات "ستين" غلوة، فيما تنقل اخرى "مئة وستين". لذا يمكن ان نتردد ما بين نيكوبوليس، على بعد ٣٠ كم من اورشليم (وهي عماوس الواردة في ١ مك ٣: ٤٠-٥٧؛ ٤: ٣؛ وبين قولونيا على بعد ٥,٥ كم من اورشليم على طريق يافا (الموصة في يش ١٨: ٢٦ والتي ذكرها يوسيفس/ الحرب اليهودية ٧: ٢١٧).

(٥) متى ١٤: ١٩؛ ١٥: ٣٦؛ مر ٦: ٤١؛ لو ٩: ١٦، يو ٦: ١١ – متى ٢٦: ٢٦، مر ١٤: ٢٢؛ لو ٢٢: ١٩؛ راجع ١ قور ١١: ٢٤).

(٦) "المواظبة على كسر الخبز"، لا معنى لها، حتى بالنسبة الى مسيحيين من الوسط الفلسطيني، إلا بالعودة الى الاحتفال المسيحي بالسر الافخارستي. ويصبح الامر اكثر وضوحاً في لغة مسيحي العالم اليوناني الذي له كتب لوقا مؤلّفه ويعرف جيدا مفرداته. ولم يكن بوسع هؤلاء المسيحيين ان يفكروا في رتبة يهودية لا يعرفونها. لذا فان عبارة "كسر الخبز" بالنسبة اليهم، لم يكن بوسعها ان تعني سوى "الافخارستيا" (ج. ديبون: عشاء عماوس، في مجلة "نور وحياة") (بالفرنسية).

الافخارستي بصفته سر الوحدة بين المسيحيين (١٠: ١٦-١٧). ومع ذلك يبدو لنا من المستحيل ان يكون يسوع، في عماوس، قد احتفل بالافخارستيا: هناك اسباب تاريخية ولاهوتية تنتصب ضدها، كما سنرى ادناه.

وللخروج من كل هذه المآزق، كان من الضرورة القصوى ان نحدد الاسلوب الادبي الذي تبناه لوقا.

الاسلوب الادبي

لم يكتفِ لوقا باستنساخ وثائق او تسجيل شهادات. فهو انما قدّم لنا ايضاً تفسيراً لاهوتياً للاحداث المروية. لا شك انه لم يأخذ حذره، كما نفعل اليوم، في التمييز بين الحدث ذاته، كما جرى، وبين التفسير المقترح. فالى علم التفسير البيبلي تعود عملية التمييز.

لقد راينا مسبقاً ان عدداً لا بأس به من التفاصيل الوصفية التي يأتي بها لوقا، بوسعها ان تُسَجَّل له بفضل موهبته بصفته قاصًّا، وهي ليست سوى وشاح ادبي للرواية: فالحاجّان توقفا في الطريق كي يتكلما بارتياح تام؛ ويسوع يتظاهر انه يواصل طريقه الخ...

وسبق ان رأينا ايضاً ان اعلان ايمان التلاميذ المجتمعين في العلية، لدى عودة الرفيقين (آ ٣٤) لا ينسجم جيداً مع السياق. فضلاً عن انه يُقفل على بقية الرواية عبر اسلوبه المجرد عن كل تفصيل وصفي. ذلك ان بنيته هي بنية في صيغة ردّة. فلقب **الرب** الذي وُصف به يسوع، يصعب جداً ان يكون قد أُطلق على يسوع في يوم القيامة بالذات؛ انه لقب استُخدم بعد وقت طويل، وهو يضفي الالوهية على يسوع. اما الظرف "**حقاً**"، فهو يشدد على هذا الاعتراف[٧]. وبالتالي، فكل شيء يدعونا الى الاعتقاد باننا ازاء صيغة من صيغ الاعتراف الايماني، كانت شائعة في الكنيسة حين اخذ لوقا يكتب انجيله.

هذا التفسير يدعمه نص هام من رسائل بولس. فالرسول يستلهم تقليداً في الكنيسة، فضلاً عن شهادات بشأن قيامة المسيح، وعن معطى اساسي للايمان (١ قور ١٥: ١-٥). فهو، على مثال

ولصالح البعد الافخارستي لنص لو ٢٤: ٣٠، ٣٥، يمكننا ايضاً ان نستند الى الموازاة في البنية بين الترائي لتلميذي عماوس وعماذ خازن ملكة الحبشة (رسل ٨: ٢٦-٣٩): فكما تتكلل الرواية الثانية بالعماذ، هكذا تكون الرواية الاولى قد تكللت بالافخارستيا.

(٧) قارن مع تصريح قائد المئة (٢٧: ٤٧) -وبوسعنا ان نشير ايضاً الى ان بطرس، في ٢٤: ٣٤، يُدعى سمعان (كما في ٢٢: ٣١+) بينما في ٢٤: ١٢ دُعي بطرس، وهذا ما يجعلنا نستشف ان هناك مصدرين مختلفين.

لوقا، يشير الى الترائي لبطرس (آ ٥)، تراءٍ لا يلمّح اليه نص آخر. وعلى مثال لوقا، يذكر **اليوم الثالث** ويوضح بانه جاء وفقاً للكتب المقدّسة، ومن هنا كانت الاهمية التي اتخذها هذا التفصيل الزمني (لو ٢٤: ٧، ٢١، ٤٦؛ ١ قور ١٥: ٤). فبولس، وكذلك لوقا، يشدد على ان موت يسوع قد تم وفقاً للكتب المقدسة (لو ٢٤: ٧، ٢٦-٢٧؛ ١ قور ١٥: ٣-٤).

من الممكن ان يكون بولس مصدراً للوقا، او ان الاثنين يرتقيان بشكل مستقل الى مصدر مشترك. فلوقا الذي لم تكن له معلومة بشأن ترائي المسيح لبطرس سوى صيغة ايمانه، اكتفى بترديدها، و لم يجد لها اطاراً يُدرجها فيه سوى عودة تلميذي عماوس. وبولس، من جهة اخرى، هو ايضاً، اشار الى الترائي لبطرس قبل الترائي للاحد عشر (١ قور ١٥: ٥). وهكذا، فان مضمون التأكيد الذي نقله لوقا لا يفقد شيئاً من قيمته التاريخية؛ وانما يبدو بصفته الشهادة والتعبير عن ايمان اكثر وضوحاً من التعبير الوارد في يوم القيامة بالذات. وان الالحاح على "اليوم الثالث"، يجب ان يكون، هو الاخر، ثمرة التأمل الطويل في انبياء العهد القديم[٨].

اما ملخص الاحداث التي جرت في اورشليم -وقد وضعه لوقا على لسان الحاجّين (آ ١٩-٢٠)- فقد ألهمته الكرازة الرسولية التي تنقلها لنا خطابات سفر الاعمال (٢: ٢٢-٢٣؛ ١٠: ٣٨-٣٩ الخ...). ولنا ما يشبه ذلك، ويتصف بخصوصية، في الموضوع الذي بموجبه تقع مسؤولية موت يسوع على اليهود فقط، باستثناء بيلاطس ويهوذا (قارن لو ٢٤: ٢٠ ورسل ٣: ١٣+؛ ٤: ١٠؛ ٥: ٣٠؛ ٧: ٥٢؛ ١٣: ٢٧-٢٩). أما أنْ تُنسب الى يسوع عبارة استخدمت لموسى في سفر الاعمال، فذلك موضوع يرقى هو ايضاً الى الكرازة الرسولية: **"كان نبياً مقتدراً على العمل وعلى القول"** (لو ٢٤: ١٩، قارن مع رسل ٧: ٢٢ وكذلك رسل ٣: ٢٢؛ ٧: ٣٧، حيث نجد يسوع وقد قورن بموسى). وهكذا يصبح من المسموح ان نرى في خطاب تلميذي عماوس اعادة بنية قام بها لوقا لكي يغلّف المعطيات القليلة من مصدره، بفضل معطيات اوسع كان قد حصل عليها بشأن الكرازة الرسولية. وهذا ما يناسب كلياً قوانين الاسلوب التاريخي في ذلك العصر.

هل يسعنا اخيراً ان نعتقد -كما يبدو لنا ان لوقا يؤكده- بان ثلاثة دروس من الاسفار المقدسة تمت في يوم القيامة: الاول، اعطاه الملائكة للنساء (آ ٦-٧)، والثاني، اعطاه يسوع للتلميذين على طريق عماوس (آ ٢٧)، والثالث، اعطاه يسوع ايضاً للاحد عشر ولرفقائهم المجتمعين في العلية (آ ٤٤-٤٧)؟ فان استمتاع لوقا بالعودة دوماً الى هذا الموضوع، واستخدامه الذي يقوم به لعبارة **كل**، يدعواننا الى تفسير روايته بطريقة موسعة: فهنا ايضاً، نجده يشرح، في شكل خطاب، ما لم يكن في البداية، على وجه التقريب، سوى ضمني في الاحداث[٩].

---

(٨) ج. ديبون: قام في اليوم الثالث (المقال المذكور).

(٩) "بدءاً من موسى وكل الانبياء يفسر لهما في كل الكتب ما يختص به" (لو ٢٤: ٢٧).

كل هذه الملاحظات، بوسعها ان تجعلنا نميز، بشكل افضل، بين النواة التاريخية للاحداث التي يرويها الانجيلي، وبين الحصة التي تعود سواء الى عمله الادبي واللاهوتي، ام الى وعي الكنيسة، خلال العقود الاولى، بشأن الحقائق التي تشير اليها الاحداث.

النواة التاريخية

أولاً: حدث القيامة

الحدث الاكبر الذي يحتل القلب من رواية لوقا ٢٤ برمتها هو بديهياً الحدث المعلَن منذ الآية ٦: **"قد قام"**. وكل الباقي يهدف الى تقديم شهادات لصالح هذا الحدث واستخراج نتائج منه.

والشهادات عن قيامة المسيح مؤسسة بشكل اساس على الترائيات. اما النقاط التي يمكن مناقشة بُعدها، انطلاقاً من الاسلوب الادبي، فهي تبقى على السطح. والحقيقة المركزية نجدها مبسوطة بشكل قوي. فما عدا ترائي الملائكة للنساء وشهادتهن، وكلامها لا رجعة فيهما[١٠]، يتمتع ترائي يسوع لتلميذي عماوس بأحسن ما يمكن من الضمانات: فالمسافران لم يعرفا يسوع على الفور؛ وكانا بحاجة الى علامة –وسوف نعود بشأن طبيعة هذه العلامة؛ ويكفي ان نلاحظ الآن بان حضور يسوع وعلامة منه كانا ضروريين لينقلا التلميذين من الخيبة العميقة، الى "التعرُّف" على المسيح الحي. ومع ذلك، فان هذا الترائي، في فكر لوقا، لا يبدو انه لعب دور البرهان، ذلك ان الترائي الذي اراد ان يقدمه بصفته برهاناً قوياً، فهو انما الترائي في العلية.

جرى هذا الترائي في مساء يوم القيامة بالذات، وفق الاشارات الزمنية التي قدّمها لوقا (آ ١٣ و٣٦)، وقد صادق عليها مُعطى واضح ادلى به يوحنا: "في مساء ذلك اليوم عينه، اليوم الاول من الاسبوع" (يو ٢٠: ١٩). ويضيف يوحنا تفصيلاً يساعدنا على ان نفهم لماذا رأى التلاميذ اولاً، في يسوع، خيالاً: "وهم في دار اغلقت ابوابها خوفاً من اليهود". انهم والحق يقال يخشون من ان اعداء يسوع، بعد ان قتلوا المعلم، يسعون إلى القضاء على تلاميذه ايضاً. اما كان يسوع قد انذرهم: "اذا اضطهدوني، فسيضطهدونكم ايضاً" (يو ١٥: ٢٠). والابواب المقفلة تُظهر جيداً ان جسد يسوع القائم يخرج عن نطاق العالم المادي. فالمسيح، بقيامته، دخل في عالم جديد، وهذا التحوّل يسمح لنا ان نفهم لماذا لم يعرفه التلاميذ، لا على طريق عماوس، ولا في العلية.

(١٠) راجع ج. كايد: ليس هو ها هنا، بل قام، في مجلة **Assemblées de Seigneur**.

بالاضافة الى ذلك، نجدهم، بحسب لوقا، خائفين كما في السابق، حين كان يسوع قد اقترب منهم وهو يسير على البحر (مر ٦: ٤٧-٥٠). فليس من قبيل الصدفة ان تكون ردة فعلهم هي ذاتها في الظرفين: فالسير على البحر لم يكن علامة القدرة الالهية حسب، وانما ايضاً تصويراً مسبقاً لحالة القائم من الموت.

ولما كان التلاميذ غائصين في قلق واضطراب، فليس من المدهش اذا ما تخيلوا انفسهم بحضرة خيال. كما كان من السهل عليهم نسبياً الاعتقاد بان يوسع يسوع -وهو ولا شك نبي عظيم- ان يظهر على طريقة صموئيل الذي استحضرته رآءية عين دور على طلب من الملك شاول (١ صم ٢٨: ٨+)، لذا اخذ يسوع باعطاء علامات تبرهن على انه هو ذاته: "**انظروا الى يديّ وقدميّ. انا هو بنفسي!**" (آ ٣٩). وان الدقة التاريخية لهذا التفصيل، ستصادق عليها شهادة الانجيل الرابع الذي لم يكتفِ بنقله، بل اوضحه وتوسّع فيه (يو ٢٠: ٢٠-٢٩)[١١].

لم يكن كافياً ان يتعرف التلاميذ، عبر الترائيات، على ذاك الذي كان قد مات؛ بل كان يترتب عليهم ان يتيقنوا من انهم ليسوا بازاء خياله، وانما بازاء كائن أُقيم حقاً. ومن هنا كان الالحاح على التماسّ مع جسد يسوع: "**إلمسوني وانظروا، فان الروح ليس له لحم ولا عظم كما ترون لي**" (آ ٣٩). ويوحنا ايضاً لم يتجاهل هذا الاهتمام، ولكنه يُظهره في رسالته الاولى: "ذاك الذي كان منذ البدء، ذاك الذي سمعناه، ذاك الذي رأيناه بأعيننا، ذاك الذي تأملناه ولمسته أيدينا من كلمة الحياة" (١: ١).

لم يكن كافياً بعدُ ما فعله يسوع حين جعل التلاميذ غير المؤمنين يلمسون جسده؛ ولكي يعطيهم برهاناً جديداً بشأن حقيقة قيامته، طلب اليهم ان يعطوه ليأكل. فقدموا له قطعة سمك مشوي، "**فأكل بمرأى منهم**" (آ ٤١-٤٣). فعلى أصالة هذا الغداء صادق سفر الاعمال (١: ٤)، كما صادق عليه يوحنا (٢١: ٩-١٣)، إلا اذا كان المقصود عشاءات اخرى تناولها يسوع مع تلاميذه بعد قيامته. وهذا الحدث، اذا ما كُرِّر مرات عديدة، يصبح دامغاً.

لا نستطيع هنا ان نستعرض كل البراهين الدفاعية التي خرج بها المسيحيون؛ وهذه الملاحظات القليلة كافية لابراز البُعد التاريخي لشهادة لوقا حول حدث القيامة.

ثانيا: تاريخ الترائيات

الترتيب الزمني المفتَرض بسهولة، انطلاقاً من اشارات كثيرة في لو ٢٤، ما أن نقارب بينها، حتى يتضح انه ترتيب يصعب قبوله. وهذا الترتيب يتعارض مع رسل ١: ٣ كونه يجعل جملة من

(١١) يذكر يوحنا (٢٠: ٢٠، ٢٥ب، ٢٧) جروح اليدين والجنب (عوضاً عن الرجلين). ولا يأخذنا العجب لذلك، طالما انه شدّد كثيراً على حركة قائد المئة الذي طعن جنب يسوع، وبدافع البُعد الرمزي الذي رآه فيها.

الاحداث تجري على مدى يوم واحد، ويُستَبعَد انها جرت في وقت قصير. ويجمع المفسرون على الاعتراف بان لوقا كثّف، في اطار يوم واحد، كل الروايات المتعلقة بالقيامة.

والقارئ النبيه الذي يبلغ الى الفصل الاخير من الانجيل الثالث، لا يأخذه العجب البتة! فلقد اعتاد منذ البداية على هذا الشكل من الحرية التي اتخذها لوقا في تقديم الاحداث. ولو توقفنا لدى حرفية النص، تكون مريم التي جاءت عند اليصابات لتساعدها ابان مولد ابنها، قد عادت قبل ولادته (لو ١: ٥٦-٥٧). ومن الواضح جداً انها، في الواقع، لم تترك خالتها الا ما بعد الولادة. وفي ما يتعلق، بشكل خاص، بالروايات المكثّفة، يمكننا ان نسرد رسالتَي يسوع في الناصرة (وليس ثلاثاً)، وقد اصبحت رسالة واحدة (٤: ١٦-٣٠)؛ وهكذا القول بصدد صعود يسوع الكبير الى اورشليم، حيث جُمعت تعاليم كثيرة لا بد انها امتدت على طول حياة يسوع العلنية (٩: ٥١-١٩: ٢٧).

ثالثاً عشاء عماوس

هكذا تصبح المشكلة التاريخية التي يطرحها عشاء عماوس سهلة الحل، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار الاسلوب الادبي للانجيل الثالث، وبالاخص الفصل ٢٤ منه. فليس من المحتمل ان يحتفل يسوع بالافخارستيا مساء القيامة مع تلميذين لم يكونا، على الاكثر، قد حضرا العشاء الاخير، ولم يكونا بالتالي قادرين على فهم معنى هذا الفعل؛ اما مع الرسل، فيكون يسوع قد اكتفى بتناول عشاء بسيط! وتُضاف الى هذه الصعوبات، صعوبة اخرى من مستوى اخر -مستوى لاهوتي- لها ثقلها: اذ كان للاحتفال بالافخارستيا معنى في العشاء الاخير، بصفتها تأسيساً للسّر، فمن الصعب ان يكون لها ذات المعنى في عماوس: لأن المسيح كان حاضراً فيها بطريقة منظورة وحسية، لذا لم يكن بوسعها ان تضعنا بازاء سر حضوره وذبيحته. وبالتحديد، فان غياب المسيح، على المستوى الحسي، يستدعي الاسرار؛ ولهذا السبب يحدد اللاهوتيون، بشكل عام، زمن العنصرة موعداً لبداية دخول التدبير السِّري في طور التنفيذ.

كل هذا يحملنا ألاّ نعتبر عشاء عماوس سوى عشاء اعتيادي. ولكن يصبح بوسعنا ان نعتبر ان لوقا اختار مفرداته بطريقة توحي وتستدعي العشاء الاخير، كي يتسنى له ان يقدم تعليماً عميقاً بصدد الافخارستيا. وفي كل الاحوال، فبالنسبة لمن يتوقف عند وجهة النظر التاريخية، لا يكون عشاء عماوس سوى عشاء تناول فيه يسوع مع رفيقيه مأكلاً اعتيادياً[١٢].

(١٢) حينذاك يُطرح سؤال: بأية علامة عرف التلميذان يسوع؟ بحسب البعض، عبر الطريقة التي بها كسر الخبز، وهذا لا يبدو محتملاً. هل بسبب معرفته الكتب المقدسة وقد برهن عليها في الحديث؟ (آ ٣٢؛ راجع يو ٤: ٤٢؛ ٧: ٤٦). من العبث ان

رابعاً: مهمة الرسل

ان مهمة الشهود التي وكلها يسوع الى الرسل، قبل الصعود، تنتمي ولا شك الى النواة التاريخية للقطعة (آ ٤٨). وهي ذروة الرواية برمتها. وما الصعود سوى، بالاحرى، خلاصة اكثر من كونها ذروة (آ ٥٠-٥٣). واذا كان القائم قد اعطى للرسل براهين ملموسة عن قيامته، فلأنها كانت ضرورية بالتحديد لاكتمال مهمتهم.

تأتي الاناجيل الاخرى بتصديقات باهرة بحيث ان رواياتها تبتعد كثيراً عن رواية لوقا. فبحسب متى، هوذا يسوع، لدى ترائيه على جبل الجليل، يرسل رسله يكرزون لكل الامم (٢٨: ١٨-٢٠). اما بحسب يوحنا، فمنذ عشية الفصح، اعطى يسوع الروح القدس لتلاميذه، ووكل اليهم مهمتهم (٢٠: ٢١-٢٣)، ولكنه، خلال ترائيه في الجليل، وَكلَ بشكل حاسم الى بطرس مهمة الراعي لكل القطيع (٢١: ١٥-١٧). فمثل هذا التلاقي على الامر الاساس، بالرغم من الاختلافات في الطرح، يعمل في صالح تاريخية الحدث الاساس.

فما أن أرسينا جيداً الاحداث الرئيسة، بقي لنا ان نبرّز التعاليم اللاهوتية التي استخرجها لوقا منها.

تعاليم لاهوتية

أولا: أن نؤمن

كما يؤكد بولس، ومعه كل الكرازة الرسولية، قيامة المسيح هي الموضوع المركزي للايمان المسيحي[١٣]. والاهتداء الى المسيح يقوم في الالتفات نحو "النور"، نحو "الحي" (لو ٢٤: ٥)، القائم من بين الاموات. وعلى كل واحد منا ان يقوم بنفسه، مجدَّدًا، بالطريق الذي سلكه التلاميذ يوم الفصح، كما هو معروض بشكل مكثف في لو ٢٤.

أ. قلة الايمان

"**في فجر اليوم الاول**"! لم يكونا يؤمنان بيسوع. ذلك أمر واضح طالما انهما لم يعرفاه، حتى حين تراءى لهما: "**أعينهما حجبت عن معرفته**" (آ ١٦). هذا الواقع يصحّ بالنسبة للذين كانوا

نضيع في افتراضات واهية. ذلك ان لوقا لا يعطينا جواباً؛ بل يعتبر اكثر فائدة لنا: ان يقدّم لنا، عبر هذا الموضوع، تعليماً بشأن الافخارستيا.

(١٣) روم ١: ٤، فل ٢: ٩-١١؛ عب ١: ٣-٥؛ رسل ٢: ٣٦؛ ١٣: ١٣ الخ...

مجتمعين في العلية كما بالنسبة للمسافرَين. لسنا البتة بصدد فعل خارق من الله لحجب انظارهم، وانما فقط لأننا بازاء نقص في الايمان. ذلك ان سمات وجهه لم تعد تتيح لهم ان يتعرفوا على شخص المسيح، بالرغم من كل الحميمية الماضية؛ سواء كان ذلك لدى الرسل وسائر التلاميذ، ام لدى مريم المجدلية (راجع لو ٢٤: ١٦؛ ٢٤: ٣٧+؛ يو ٢٠: ١٤). واستمر تلميذا عماوس في اعتبار يسوع نبياً حقاً، لا بل نبياً عظيماً، على شبه موسى (آ ١٩). نبياً ولكن ليس **النبي**. فكما كان اليهود يقولون ان ابراهيم مات وكذلك الانبياء ايضاً" (يو ٨: ٥٢)، هكذا لم يكن يسوع سوى واحدٍ منهم. وعلى مثال زكريا الذي قتل بين المذبح والمقدس (لو ١١: ٥٠-٥١)، هكذا قتل "يسوع من الناصرة"، هو ايضاً، على يد اليهود (٢٤: ١٩-٢٠). يا للخيبة! كان موسى، ابان الخروج من مصر، قد اظهر نفسه "مقتدراً بالفعل والقول"، هو الذي انقذ اسرائيل من العبودية. ويسوع، عبر "اعماله" (المعجزات) وتعليمه المليء بالوعود، بدا لا ينقص شيئاً عن موسى؛ وكانوا يأملون انه هو بدوره سينقذ اسرائيل (آ ٢٠) من السيطرة الخارجية، سيطرة الرومان هذه المرة[١٤]. ويكونون بذلك جاهلين رسالة المسيح الحقيقية (راجع لو ٩: ٣١). وهكذا بدا موته الذي به افتدى العالم، وكأنه فشل ذريع. فلم يكن انتظار التلاميذ يختلف البتة عن انتظار مجمل الشعب اليهودي[١٥]، بحيث تبين منذ الان ان املهم بالخلاص الزمني والسياسي قد تبخّر.

انهما مكتئبان جداً (آ ١٧). وحين كانت مريم المجدلية تبكي عند القبر، كان سبب حزنها حبها للمعلم (يو ٢٠: ١١-١٥). اما سبب حزن التلاميذ، فهو شيء آخر جلب عليهم تأنيب يسوع: "**يا قليلي الفهم وبطيئي القلب في الايمان... ما بالكم مضطربين، ولِمَ ثارت الشكوك في قلوبكم؟**" (آ ٢٥، ٣٨)[١٦]. ويسوع، ومنذ قيامه برسالته، كان قد أنّبهم على قلة ايمانهم، وابان العاصفة في البحيرة على سبيل المثال: "ما لَكم خائفين يا قليلي الايمان" (متى ٨: ٢٦). وكان بوسع الخطر وتجلي قدرة يسوع ان يصبحا لهم درساً: فكما كان في الماضي قد نام في السفينة، هكذا على الصليب، الآن، لم يكن قد نام سوى لبضع ساعات. وفي القبر، استراح فقط (راجع لو ٢٣: ٤٦؛ ٨: ٥٢؛ يو ١١: ١١) ولكنه سبق ان "**استيقظ**" (لو ٢٤: ٦)[١٧].

منذ دفن المسيح، لم يعد التلاميذ يؤمنون. انهم رفضوا ان يؤمنوا حين حملت النساء اليهم البشرى بان القبر فارغ وان الملائكة ظهروا لهن ليقولوا انه حي (آ ٢٣). وحده بطرس (ويوحنا معه بحسب ٢٠: ٢+) بدا متعجباً، واسرع الى القبر ليتحقق هو بنفسه. انه يتحقق من ان جسد يسوع

---

(١٤) ان عبارة "افتداء اسرائيل" ينفرد بها لوقا (١: ٦٨، راجع آ ٥٤؛ ٢: ٣٨).

(١٥) وحق وقت الصعود (رسل ١: ٦).

(١٦) وهكذا ايضاً متى (٢٨: ١٧) وخاتمة مرقس (١٦: ١٤) سجّلا هذه الشكوك.

(١٧) ان لفعل égéirô معنى اولاً: "استيقظ"، ومنه اشتق فعل "قام".

لم يعد هناك، و لم تعد باقية سوى اللفائف. الا ان بطرس لم يقتنع مع ذلك (آ ١٢). وهكذا لم يكن القبر الفارغ، في حد ذاته، برهاناً على القيامة، وانما علامة.

ب. دور العلامات

ليست العلامات عبثاً؛ انها تلعب دوراً حاسماً في ولادة الايمان. لا بل تبدو العلامات ضرورية كي يتم التعرف على يسوع بعد القيامة. الا انه يترتب على العلامات، بحسب الاستعدادات الداخلية لكل واحد، ان تكون واضحة الى حدّ ما. فبالنسبة الى المجدلية التي احبت، كان يكفي ان يدعوها يسوع باسمها: "مريم" (يو ٢٠: ١٦).

وكان يكفي، بالنسبة الى يوحنا ان يكتشف القبر فارغاً (٢٠: ٨) او ان يكون الصيد وفيراً (٢١: ٤-٧). وبالنسبة الى تلميذي عماوس، كان يكفي كسر الخبز، كما يقول لنا لوقا، ولكننا نعلم مسبقاً ان المهم هنا بالاكثر هو فكرة العلامة، دون التشديد على طبيعة العلامة المعطاة (لو ٢٤: ٣٠-٣٥). اما بالنسبة الى الرسل، فكان ينبغي ان تتم علامات اكثر وضوحاً: رؤية جروح يسوع، والتماسّ مع جسده، او ايضاً السمك الذي يأكله بمرأى منهم (٢٤: ٣٩-٤٣).

كان ينبغي ألا يكون ترائي المسيح في شخصه ضرورياً: ولذا نراه يوبّخ التلاميذ لانهم لم يؤمنوا قبل ترائياته. الا ان هذه الترائيات بذاتها لا تمحو ضرورة العلامات، اذ ان العلامات، بمعنى من المعاني، تبدو اكثر اهمية من الترائيات: "طوبى للذين يؤمنون ولم يروا"! قالها يسوع لتوما (يو ٢٠: ٢٩). كانت العلامات، قبل القيامة، طريقاً اعتيادياً للبلوغ الى الايمان (يو ٢: ٢٣؛ ٢٠: ٣٠-٣١). فمن كان بازاء العلامات ورفض ان يؤمن، يحكم هو ذاته على نفسه (يو ١٢: ٣٧). ويوضح الانجيل اليوحناني، بصدد هذه النقطة، ما تضمنته رواية لو ٢٤.

وتتأتى ضرورة العلامات من كون "التعرّف" على يسوع ليس تعرّفاً على انسان ما، وانما هو فعل ايمان (آ ٣٥، ٤١). فنحن بصدد معرفة لا تتوقف عند انسانية المسيح. واذا كان ذلك صحيحاً في زمن رسالته على الارض، فكم يصح بالاحرى من بعد ما حققه الموت والقيامة من تحوّل (راجع ٢ قور ٥: ١٦).

ج. الاسفار المقدسة

الا ان يسوع لا يكفّ عن توبيخ التلاميذ كما وبخ من قبل اليهود والذين يطالبون بآيات او يحتاجون اليها! فما هو الينبوع الذي كان بوسع الايمان ان يتفجر منه؟ ولوقا يكرر ذلك بالحاح

واضح: بوسع شهادة الاسفار المقدسة ان تكفي. ومنذ زمن طويل، كان موسى والانبياء والمزمّرون قد سبقوا فأعلنوا عن كل ما جرى في هذه الايام.

وكان يسوع نفسه قد شرح ذلك لتلاميذه، ولكنهم لم يفهموا: **"يا قليلي الفهم وبطيئي القلب عن الايمان بكل ما تكلم به الانبياء ... ذلك كلامي الذي طالما قلته لكم اذ كنت معكم: وهو انه يجب ان يتم كل ما كُتب في شأني في شريعة موسى وكتب الانبياء والمزامير"** (آ ٢٥، ٤٤؛ راجع آ ٦-٧).

ان الفكرة التي بموجبها يكون موسى قد شهد للمسيح، تعود الى التقليد الازائي، كما تشهد بذلك روايات التجلي. علماً بان متى ومرقس يكتفيان بالاشارة الى ان موسى وايليا ظهرا وهما يتكلمان مع يسوع؛ اما لوقا، فقد أوضح: "كانا يتكلمان على رحيله الذي سيتم في اورشليم"، وذلك تلميح واضح الى السر الفصحي (لو ٩: ٣١؛ قارن مع ٢٤: ١٤، ٢٠). ويبدو ان لوقا وحده احتفظ بكلمة من يسوع بدت فيها شهادة موسى والانبياء مقنعة كما تُقنع شهادة شخص يقوم من بين الاموات: "عندهم موسى والانبياء، فليستمعوا اليهم" (لو ١٦: ٢٧-٣١). ويوحنا، ليس اقلهم الحاحاً على اهمية شهادة موسى لصالح يسوع: "لو كنتم تؤمنون بموسى لآمنتم بي لانه في شأني كتب، واذا كنتم لا تؤمنون بكتبه فكيف تؤمنون بكلامي؟" (يو ٥: ٤٦-٤٧؛ راجع ٢ قور ٣: ١٥-١٧). ومع ذلك، فلوقا وحده عاد الى هذا الموضوع في روايته عن القيامة.

وليس موضوع الشهادة التي يؤديها موسى للمسيح اقل شأناً من موضوع اتمام الاسفار المقدسة، وكلاهما ينفرد بهما لوقا. لا بل، يمكننا ان نرى في موضوع الاسفار أحد المواضيع الاكثر حضوراً في كل العهد الجديد، وان كان كل مؤلف يستخدمه بحسب طريقته. فلدى مرقس، يرد هذا الموضوع بطريقة سلبية وغير مباشرة: لا يفهم الرسل ان على المسيح، بموته وقيامته، ان يتمم الانبياء (مر ٩: ١٠، ٣٢؛ راجع ٤: ١٣؛ ٦: ٥٢؛ ٧: ١٨؛ ٨: ١٧-٢١، ٣٣؛ ١٠: ٣٨). وبالفعل، فان شهادة مرقس تندرج، اكثر من الاخرين، في الحدث. أما شهادة متى، فهي تضفي، بشكل اوسع، ثمار تأمل الكنيسة، منذ العنصرة وحتى مشارف السنة ٧٠. انه يستشهد بمجموعة من النصوص التي تمّت في يسوع؛ ومن هنا كانت تلك الردة المميّزة: "هذا جرى ليتم قول النبي...".

اما الكتابات البولسية، فهي اقل سردية. لقد انحنى الرسول بولس نحو العهد القديم، كما انحنى سائر الانجيليين، الا ان الهدف من رسائله قاده الى البحث في الاسفار المقدسة، لا عن انباءات لما تمّ بيسوع او صُوِّر عنه (راجع ١ قور ١٠: ١+)، بل، وبالاكثر، عن تعاليم من شأنها ان تلقي الضوء لاهوتياً على سر المسيح، ولذلك لم يتردد من الارتقاء الى الفصول الاولى من سفر التكوين (روم ٥).

ونجد لوقا ويوحنا يقيمان صلة جديدة بين الاسفار المقدسة والقيامة. هوذا يوحنا يؤكد بان الاسفار المقدسة لن تُفهم الا بعد القيامة، حين سيرسل يسوع الممجد الروح القدس (يو ٢: ٢٢؛

١٢: ١٦؛ ١٣: ٨؛ ١٤: ٢٦). وفيما يعلن يوحنا هذه الاستنارة، لا يروي اكتمالها، لانها ولا شك لم تتحقق الا ببطء، انطلاقاً من العنصرة. اما لوقا، فعلى العكس، يقول بان يسوع، ابان ترائياته "فسّر في كل الكتب ما يختص به" (٢٤: ٢٧). وهنا لا ينبغي ان نخطئ الهدف. لأن "هذا الفهم للاسفار المقدسة لن يمنحه القائم للتلاميذ عبر خطاب، وانما في الحدث الفصحي الذي بدّد للحال كل الظلال التي كانت تحيط بإعداده الدهري"[١٨]. فلم يكن هدف لوقا، إذن، ان ينقل، كلمة فكلمة، اقوال الملائكة الى النساء، أو اقوال يسوع الى التلاميذ بعد القيامة، وانما أن يفهمنا هذه الحقيقة الكبرى: الاسفار المقدسة لم تعطِ سرّها الا بعد القيامة، وفي ضوئها. فالنور اخذ يشرق يوم الفصح. اما عمل فك الرموز، فسوف يتواصل على مدى حياة الكنيسة.

فمن النافل، اذن، ان نتساءل اية نصوص استشهد بها يسوع ابان ترائيانه. وقد اكتفى لوقا بمراجع عامة وشاملة من مجمل العهد القديم، وفق الاقسام الكبرى المميزة في قراءات المجامع (٢٤: ٤٢): الشريعة، موسى (séder)، والانبياء (haftara) والمزامير (mizmor)[*]. ومع ذلك، فلقد استطاع الانجيلي ان يفكّر في نصوص معينة. لا بل من المحتمل ان نصوصاً كانت حاضرة في ذهنه وكان عليه ان يستشهد بها فيما بعد، بخصوص الكرازة الرسولية. اما الخطابات التي وضعها سفر اعمال الرسل على لسان الرسل، فبوسعنا ان نلقى جملة من المراجع. ونخص بالذكر المراجع المتعلقة بالقيامة: مز ١٦: ٨-١١ (رسل ٢: ٢٤-٢٨؛ ١٣: ٤٣-٣٧)؛ مز ٢: ٧ واش ٥٥: ٣ (رسل ١٣: ٣٢-٣٤)؛ مز ١١٨: ٢٢ (رسل ٤: ١١) الخ...

د. ترائي الرب

كان بوسع الاسفار المقدسة أن تكفي التلاميذ بصفتها اساساً لا يتزعزع للايمان بيسوع. الا ان ايمانهم تعثر: فلقد تراءى لهم و"فتح اذهانهم لفهم الكتب" (آ ٤٥)؛ حينذاك عرفوه، وللحال اختفى! (آ ٣١)، وانفصل عنهم! (آ ٥١). وهكذا، ففي الايمان وحده عليهم ان يعيشوا منذ الان. ولم يُظهر يسوع نفسه للتلاميذ كي يعزيهم، وانما فقط لأن ترائيه كان ضرورياً كي يؤمنوا. علماً بان الفرح الحسّي لحضوره لا يستغرق في الواقع سوى لحظة. فلقد سبق ان اختفى حين اخذ التلميذان يقولان: **"اما كان قلبنا متقداً في صدرنا حين كان يحدثنا في الطريق ويشرح لنا الكتب؟"** (آ ٣٢؛ راجع آ ٤١).

---

(١٨) أ. جورج: فهم الاسفار المقدسة، في مجلة "الكتاب المقدس والحياة المسيحية"، العدد ١٨ (بالفرنسية).

(*) اها الاقسام الثلاثة الموجزة بعبارة "تنخ" اي تورا، نبييم، ختبيم (الشريعة والانبياء وسائر الكتب) وقد كانت في السابق قسمين كبيرين: الشريعة والانبياء (المعرب).

ففي كل مرة تراءى المسيح بالمجد، كان الترائي عابراً، اي بالكاد الوقت الذي يمكّن الشهود من ان يتعرفوا عليه. ولدى التجلي، بالكاد كان للمحظوظين الثلاثة وقت ليروا موسى وايليا الى جانبي يسوع، واذا بهم يسقطون إلى الارض بفعل الخوف الديني. وحين استفاقوا لم يشاهدوا سوى يسوع وحده، وقد عاد الى حالة البشر الاعتيادية (متى ١٧: ١-٨ وما يقابله). وكذلك هي الحال عند القبر الفارغ، حين كانت مريم المجدلية تريد ان تمسك بقدمي يسوع، إلاّ انه منعها ووضع حدًّا لحضوره، وارسلها لتحمل الى التلاميذ بشرى القيامة (متى ٢٨: ٩-١٠؛ يو ٢٠: ١٧).

حين أدّى الانفصال الى فقدان الايمان، لم يكن قد خلّف سوى الحزن والقلق (آ ١٧: ٣٨). اما الانفصال الذي يحفظ في الايمان، فهو انما يحفظ في الفرح (آ ٥٢) والسلام (آ ٣٦). فحين دخل يسوع الى العلية وقال للرسل "السلام لكم!"، فهو لم يوجه اليهم تحية السلام اليهودية البسيطة "شالوم"[١٩]، وانما اعطاهم السلام المسيحاني الذي اعلن عنه الانبياء ووعد به هو ذاته قبل موته (يو ١٤: ٢٧). فنحن بصدد السلام الحاصل بثمن موته على الصليب، وبثمن مصالحة البشرية مع الله في دم المسيح (روم ٥: ١، ١٠؛ ٢ قور ٥: ١٨-١٩ الخ...).

هـ. تبشير الرسل

مات المسيح وقام من اجل كل البشرية؛ ومن ثم يجب، اذن، ان تعلن البشرى السارة لكل البشر، كي يتمكنوا جميعاً من ان يؤمنوا ويخلصوا. وفي الواقع، هناك فقط بعض المحظوظين تحققوا بانفسهم من الاحداث. ومن بينهم، اشخاص يبدو انهم تلقوا هذه النعمة بصفة شخصية بالاكثر. تلك هي حالة النساء وايضاً حالة تلميذي عماوس: والكلمات التي وجّهها اليهم الملائكة او يسوع ذاته لم تكن تتعلق مباشرة الا بهم هم انفسهم (لو ٢٤: ٥-٧، ٢٥-٢٧). اما الرسل، فلقد كانوا قد "أُختيروا من قبل"، لا فقط لكي يروا المسيح ويلمسوه، وانما لكي يصبحوا شهوده (آ ٤٨)، وسيقول بطرس وهو في بيت قرنيليوس: "نحن الذين اكلوا وشربوا معه بعد قيامته من بين الاموات" (رسل ١٠: ٤١). ولذلك تبسّط لوقا في رواية تفصيلية للأدلة التي اعطاها يسوع عن قيامته. فعلى شهادتهم سيستند ايمان الاجيال اللاحقة.

وانكبّ لوقا في الروايات المتعلقة بالقيامة على التمييز بين تلك التي تتعلق بالرسل، وتلك التي تتعلق بتلاميذ آخرين (راجع ٦: ١٣). فمن الواضح ان التلميذين الحاجين الى عماوس ليسا من

(١٩) كانت التحية التي يتبادلها اليهود "شالوم/سلام"، واليونانيون "افرح" (Kaîré)، والرومان "سلام" (salve).

بين الاحد عشر (آ ٣٣)، لذا لم يكن اسمهما مهماً جداً؛ وانما يكفي ان نعلم بان احدهما يدعى قلاوبا[٢٠]. كما ان شهادتهما لم تحصل على مصادقة الاحد عشر ورفقائهم؛ وذلك هي الحال مع شهادة النساء (آ ١١). فايماننا لا يستند قط على هذه الشهادات. وانما نجده مؤسساً بشكل قوي على الرسل والانبياء (اف ٢: ٢).

وبطرس، بين الرسل، يحظى ولا شك بمكانة خاصة. وحفظ لنا لوقا كلمة للمسيح تنبئ بالدور الذي سيترتب عليه ان يلعبه من بعد مأساة الآلام: "سمعان سمعان، هوذا الشيطان قد طلبكم ليغربلكم كما تُغربَل الحنطة، ولكني دعوت لك ألا تفقد ايمانك. وانت ثبّتْ اخوتك متى رجعت" (٢٢: ٣١-٣٢). ولوقا، لكي يرينا تحقيق نبوة المسيح هذه، حرص جداً على ذكر الترائي لبطرس **قبل** الترائي في العلية، كما حرص على ذكر نص بدا فيه ايمان بطرس بصفته ينبوع ايمان للآخرين –وكان عليه من ثم ان يدرج في روايته جملة خارجة عنها: "حقاً! قام الرب وتراءى لسمعان!" (آ ٣٤). واعتراف الايمان هذا –وهو يرقى الى التقليد الليتورجي، بصفته جملة مستقلة– نجح لوقا جيداً في ادراجه في قلب روايته، حتى اننا اليوم ايضاً نجده يرّن في آذاننا، كونه **شهادة كل الكنيسة مجتمعة وصرختها**.

ان شمولية الانجيل موضوع هام يشدد عليه لوقا على مدى مؤلّفه ذي الجزئين. وهو يظهر منذ الفصول الاولى، وبالاخص في نشيد سمعان الشيخ الذي استوحى كثيراً من نشيد عبد يهوه في اشعيا: "فقد رأت عيناي خلاصك الذي أعددته في سبيل الشعوب كلها..." (لو ٢: ٣٠-٣٢؛ راجع اش ٤٢: ١-٦؛ ٤٩: ٦). ويصدي لهذا النشيد النبوي –وكأنه تطويق– خطاب يسوع الاخير: " كُتِبَ ... **تعلن باسمه التوبة وغفران الخطايا لجميع الامم، ابتداءً من اورشليم**" (٢٤: ٤٧). ويعرف متى ومرقس اعلان يسوع الرئيس، وقد نقلاه في الخطاب عن خراب الهيكل (متى ٢٤: ١٤؛ مر ١٣: ١٠). ولم يتردد لوقا من ان ينتزع هذا القول من سياقه (ومن هنا كانت الفجوة بين لو ٢١: ١٣ و١٤) ويرجعهُ الى ما بعد، لكي يشدد بالاكثر على **الاهمية الاولى للقيامة في بشرى الانجيل** (راجع رسل ١: ٢٢؛ ٢: ٣٢؛ ٣: ١٥؛ ٤: ٣٣؛ ٥: ٣٢ الخ...).

ويمكننا مع ذلك ان نتساءل حول النبؤة التي اكتشف فيها لوقا الفكرة التي بموجبها كان ينبغي للكرازة بالانجيل ان تبدأ من اورشليم. نحن نعلم انه انطلق من هذه الفكرة لكي يرسم مخططاً لمؤلّفه كله. هل يمكننا ان نجد في الاسفار المقدسة اساساً حقيقياً لها؟ وللتأكد من ذلك، يكفي ان نتذكر بان اورشليم هي عاصمة اسرائيل، اي نقطة الفسحة التي فيها تتمركز دعوة الشعب المختار

(٢٠) قلاوبا (قليوفا) هو اسم يوناني مصغّر لاسم Cléopatros الذي يعني: شهرة ابيه. وهذا الاسم ورد لدى بلوتارك، كما ورد بصيغة تختلف قليلاً لدى يو ١٩: ٢٥: قلوبا.

(اش ٢: ٢-٣؛ ١٩: ١٦-٢٦؛ مز ٢؛ ٨٧ الخ...)[٢١]. وهكذا أوجزت روما، بمعنى ما، كل العالم الوثني: لذا فان قصة اعمال الرسل انتهت حين كانت الكلمة قد بُشّر بها في روما، اية كانت نهاية بولس.

ومرة اخرى، نستنتج بان لوقا وضع على لسان المسيح القائم او على لسان الملائكة، عدداً من التعاليم التي اعطاها يسوع قبل قيامته، ومن ثم شرحت في التعاليم الرسولية. كما ان الرسل لم يكرروا و لم يتوسعوا الا في الكرازة التي ألقاها المعلم ذاته. وهكذا يبدو التقليد الذي ينقله لنا الانجيل الثالث قوياً بقدر ما يعكس تعليم الرسل.

ثانياً: ان نحبّ

على مثال رواية الترائي لمريم المجدلية التي نقلها يوحنا، لا تسعى رواية الترائي لتلميذي عماوس الى ابلاغ شهادة، حتى ولا لأول وهلة؛ وهاتان الروايتان لا تتوجهان فقط الى عقولنا، وانما تبحثان أيضاً عن تحريك قلوبنا. وهذا ما يفسر التفاصيل الوصفية بكل معنى الكلمة. ففي فكر يوحنا، يصبح اسم مريم (٢٠: ٦) الذي تلفظ به المسيح القائم علامة، هي علامة الحب الشخصي الذي يمسّنا بدورنا[٢٢]. اما في فكر لوقا، فليس فقط قلبا التلميذين بطيئين في الايمان (٢٤: ٢٥) ويحتاج من ثم الى اعادة اضرام (آ ٣٢)، وانما قلب كل قرائه[٢٣]. ذلك ان المؤمن لا يسير نحو المسيح بعقله فقط، بل ايضاً بقلبه وبكل كيانه.

ثالثاً: ان نشترك

ان للعشاءات التي أُتّخِذَت مع القائم، مكاناً هاماً في فكر الجماعة الاولى[٢٤]. فبحسب رسل ١٠: ٤١، يبدو ان مجرد تناول الطعام مع يسوع بعد قيامته هو بمثابة تصديق لسلطة الرسل؛ أما ان تتم الترائيات في غضون عشاء او غداء، فذلك امر مميز. من جهة اخرى، كان المسيحيون الاولون يجتمعون للافخارستيا **بمشاعر الفرح** المؤسسة على حقيقة القيامة، وعلى الاتحاد الآني مع

---

(٢١) قد يترتب علينا ان نفهم الكلام السّري في لو ١٣: ٣٣ في المعنى ذاته.

(٢٢) يو ١٠: ٣: الراعي الصالح يدعو خرافه، "كل واحد باسمه".

(٢٣) هي الكلمة ذاتها (kardia) التي ترجمها طبعة اورشليم (Bible de Jérusalem) بعبارة "روح" في آ ٢٥ و"قلب" في آ ٣٢. وهكذا اصبحت الصلة بين المقطعين مموّهة.

(٢٤) لو ٢٤، رسل ١: ٤؛ يو ٢١: ٩-١٤؛ راجع لو ١٣: ٢٦؛ متى ٧: ٢٢.

يسوع الحاضر (راجع متى ٢٨: ٢٠) والاتحاد بين المدعوين[٢٥]. وبالفعل، استعاد التلاميذ مشاعر الفرح خلال هذه العشاءات التي ترافقها ترائيات (راجع رسل ١: ٤؛ ٢: ٤٢-٤٦ الخ...). "فان مجرد ان يأكل القائم مع تلاميذه الذين كانوا قد تركوه، فذلك يشير الى انه اعادهم مجدداً، بصفة اصدقاء، الى مائدته: وتلك علامة واضحة على الغفران"[٢٦].

ويمكننا ان نرى في هذه العشاءات التي تناولها التلاميذ مع المسيح القائم اكتمال النبؤة التي تفوّه بها في بدء العشاء: "اشتهيت شهوة شديدة ان آكل هذا الفصح معكم قبل ان اتألم، فاني اقول لكم: لا آكله بعد اليوم حتى يتم في ملكوت الله" (لو ٢٢: ١٥-١٦). كما انه ايضاً تتميم لتلك النبؤة الاخرى التي نقلها لوقا في رواية تأسيس الافخارستيا وبضمنها الاعلان عن خيانة يهوذا: "وانا اوصي لكم بالملكوت كما اوصى لي ابي به، فتأكلون وتشربون على مائدتي في ملكوتي، وتجلسون على العروش لتدينوا اسباط اسرائيل الاثني عشر" (٢٢: ٢٩-٣٠).

وحين اجتمع التلاميذ بعد القيامة للاحتفال بالافخارستيا، كيف امكنهم الا يفكروا في العشاء الاخير، في العشاءات مع يسوع القائم؟ كيف امكنهم الا يفكروا ايضاً في مواعيد يسوع بعد العشاء الاخير، في المائدة المسيحانية؟ (متى ٢٢: ٢-١٤؛ ٢٥: ١-١٣؛ لو ١٢: ٣٥-٣٧؛ ١٤: ١٥-٢٤)[٢٧].

وان مشاعر الفرح والشركة الاخوية التي كانت تحيط بالليتورجيا الافخارستية -حين كانت الكنيسة على وعي كامل بمعنى العشاء الاخير والعشاءات مع يسوع القائم- مارست بالمقابل تأثيراً على تأليف الروايات المتعلقة بهذه الاحداث. وقد يكون تأثير الافخارستيا هذا في اصل موضوع تفسير الاسفار المقدسة في لو ٢٤، بالمماثلة مع ليتورجيا الكلمة التي تهيّئ الليتورجيا الافخارستية. وهذا التأثير عينه يفسّر ايضاً، اقله في جزء صغير، لماذا وصف لوقا عشاء عماوس بمفردات مستعارة من رواية تأسيس الافخارستيا.

هكذا نفهم ان الافخارستيا هي عشاء نتناوله مع يسوع. فبالايمان، يدخل المؤمن في علاقة مباشرة معه: انه حقاً حاضر، ولكن "تحت مظاهر اخرى" (راجع مر ١٦: ١٢). ذلك ان كلمة الله نور يمكّن من التعرف على يسوع عبر العلاقة، كما يمكّن من اللقاء به. وهذا التعرّف يجد مكانه المثالي في تجمع التلاميذ (لو ٢٤: ٣٣+)، اي في الكنيسة، وفي الاجتماع الليتورجي.

فالفصح هو اليوم المميز الذي فيه يلمع هذا النور في عيني المسيحيين فيغيّر قلوبهم.

---

(٢٥) راجع س. دي بوركي: لقد اقتسمنا الخبز والملح، باريس ١٩٦٥ -ترجمه الى العربية انطون شكري مطر-دار الكلمة، بيروت ١٩٦٨.

(٢٦) ي. كليرماثان: العشاء الاخير، في مجلة كونسيليوم، رقم ٤٠ (بالفرنسية).

(٢٧) راجع ي. دي مونشي: المعنى الاسكاتولوجي للعشاء الافخارستي، في مجلة ابحاث في العلوم الدينية، ١٩٤٦ (بالفرنسية).

تأمل
بين الفصح والعنصرة

(لوقا ٢٤: ٤٤-٥٣)

بقلم اندريه ريدوارد وميشيل كون
(André Ridouard & Michel Coune)

٤٤ثُمَّ قالَ لَهم: "ذلك كلامي الَّذي قُلتُه
لكم إِذ كُنتُ مَعَكم وهو أَنَّه
يَجِبُ أَن يَتِمَّ كُلُّ ما كُتِبَ في
شأني، في شَريعَةِ موسى وكُتُبِ
الأَنبياءِ والمَزامير".
٤٥وحينَئِذٍ فَتَحَ أَذْهانَهم لِيَفهَموا
الكُتُب،
٤٦وقالَ لَهم: "كُتِبَ أَنَّ المَسيحَ يَتأَلَّمُ
ويقومُ مِن بَينِ الأَمواتِ في اليَومِ
الثَّالِث،
٤٧وتُعلَنُ باسمِه التَّوبَةُ وغُفرانُ الخَطايا
لِجَميعِ الأُمَم، اِبتِداءً مِن أُورَشَليم.
٤٨وأَنتُم شُهودٌ على هذه الأُمور.
٤٩وإِنِّي أُرسِلُ إِلَيكم ما وَعَدَ بِهِ أَبي.
فامكُثوا أَنتُم في المَدينَة إِلى أَن
تُلبَسوا قُوَّةً مِنَ العُلى".
٥٠ثُمَّ خَرَجَ بِهم إِلى القُربِ مِن بَيتَ
عَنْيا، ورَفَعَ يَدَيهِ فبارَكَهم.
٥١وبَينَما هو يُبارِكُهم اِنفَصَلَ عَنهم
ورُفِعَ إِلى السَّماء.
٥٢فسَجَدوا له، ثُمَّ رَجَعوا إِلى أُورَشَليم
وهُم في فَرَحٍ عَظيم.
٥٣وكانوا يُلازِمونَ الهَيكَلَ يُبارِكونَ
اللهَ.

(لوقا ٢٤: ٤٤-٥٣)

تأمل بين القيامة والعنصرة

(لوقا ٢٤: ٤٤-٥٣)

بقلم اندريه ريدوارد وميشيل كون

يقول لنا لوقا ان "الأحد عشر والذين معهم" كانوا مجتمعين حين، فجأة، "قام بينهم" (لو ٢٤، ٣٣، ٣٦). انه تراءٍ للقائم عرّف خلاله يسوع بنفسه لاخصّائه، ووجّه اليهم تعليماته الاخيرة قبل ان يذهب بهم الىً بيت عنيا حيث سينفصل عنهم ويُرفع الى السماء (٢٤: ٥٠+). والايات العشر التي تهمنا الآن تشكل القسم الثاني من رواية الترائي؛ فهي تختم الانجيل الثالث، وقد اختيرت للقراءة الليتورجية في خميس الصعود، لأن في خاتمتها ولا شك ذكراً لصعود الرب.

ومخطط هذه الدراسة يبدو سهلاً.

- يترتب علينا اولاً ان ندرج هذا النص في سياق مجمل المقطع الذي هو جزء منه. وسيكون ايضاً من المفيد ان نقارن، باقتضاب، هذا الترائي للرسل، كما يرويه لنا لوقا، مع التقاليد الفصحية للاناجيل الاخرى.

- وسيترتب علينا من ثم ان نقارن خاتمة الانجيل الثالث مع بداية سفر اعمال الرسل، طالما ان لنا هنا وهناك ذكراً واضحاً جداً للصعود، ولا سيما لان التقليد ينسب النصّين الى عين المؤلف.
- وستأتي بالتالي القراءة في حد ذاتها والتفسير الذي يرافقها.

أولا: رواية فصحية بين روايات اخرى

١. رواية لوقا

لنستعرض مجمل الفصل ٢٤ من انجيل لوقا ونتبين عناصر الرواية: اكتشاف النساء القبر فارغاً، وشهادتهن باتجاه الرسل، واسراع بطرس الى القبر (آ ١-١٢)، و"رواية عماوس" (آ ١٣-٣٥) والترائي الختامي للرسل (آ ٣٦-٥٣). وللحال نلاحظ الاشارات الدقيقة التي تستخدم بمثابة وصل بين هذه العناصر الانجيلية المختلفة، فتجعلها تبدو وكأنها وحدة تامة. وسبق أنْ لاحظنا منذ أمد طويل: كل الاحداث التي نقلت الينا هنا تبدو وكأنها جرت في يوم الفصح بالذات، "اليوم الاول من الاسبوع" (راجع ٢٤: ١، ١٣، ٣٣، ٣٦). قد يكون بوسعنا ان نتخيل، الى اقصى حدّ، ليلة بين بداية الرواية وخاتمتها، اذا كان حقاً تلميذا عماوس قد اخذا مجدداً الطريق الى اورشليم عند مغيب الشمس، وامامهما ستون غلوة كان عليهما ان يقطعاها مشياً على الاقدام، ليجدا الرسل في اورشليم (٢٤: ١٣، ٣٣)[1]. الا ان هذا التفصيل لا يهم لوقا. فهو لا يقول لنا، بشكل واضح، اذا كان ينبغي ان نعتبر الصعود قد جرى في النهار ام في الليل[2]. لا، فان المهم بالنسبة اليه هو ان ينظر، بلمحة واحدة، الى مجمل الاحداث التي جرت بعد القيامة، وذلك هو السبب الذي من اجله عرضها مجتمعة وكأنها تمت في يوم واحد.

هناك ايضاً وحدة في المكان. فكل الاحداث المعروضة هنا تجري في اورشليم، او اقله في اليهودية. وتبدو رواية الترائي لتلميذي عماوس في المركز منها. وعلى كل حال، فان ترائي يسوع الوحيد للرسل والمذكور هنا، يجري في اورشليم بالذات (٢٤: ٣٣، ٣٦) ليختم من ثم في الضواحي القريبة من المدينة (٢٤: ٥٠+).

(١) الغلوة كانت ١٨٥ متراً. ونعلم من جهة اخرى ان هناك مخطوطات اخرى لهذا النص من لوقا (٢٤: ١٣) تثبت ١٦٠ غلوة.
(٢) راجع ما كتب اعلاه.

واخيراً، وبالتخصيص في ما يتعلق بهذا الترائي للرسل (٢٤: ٣٦-٥٣)، ينبغي ان نشدّد على الوحدة الداخلية للنص. وهنا يجد التوقف، في القراءة الليتورجية، على مشهد الصعود اساساً. ذلك ان النص يتضمن قطعاً حقيقياً ما بين الآيتين ٤٣ و ٤٤؛ كما نلاحظ، من القسم الاول الى القسم الثاني، تبدّلاً حقيقياً في النبرة وكأننا بازاء اختلاف في الاهتمامات لدى يسوع. ومع ذلك -ولم يأخذ الاختصاصيون ذلك بعين الاعتبار بما فيه الكفاية- فنحن، هنا وهناك، بصدد رواية الترائي ذاتها[٣].

ولكي نفسر خاتمة النص، يترتب علينا ان نعود الى المجمل، اذا كنا نريد ان نبقى امناء على نوايا الانجيلي.

اليكم، اذن، كيف تُعرَض علينا التقاليد الفصحية، في حد ذاتها، في الانجيل الثالث. وسينبغي علينا الآن ان نقارنها بالتقاليد الفصحية في الاناجيل الاخرى.

٢. مقارنة مع الروايات الانجيلية الاخرى

فيما يتعلق بتشخيص مكان ترائيات يسوع الممجد لاخصائه، تنقسم الاناجيل، كما نعلم، إلى مجموعتين. فبالنسبة الى متى ومرقس والفصل ٢١ من انجيل يوحنا[٤]، جرت هذه الترائيات في الجليل؛ اما بالنسبة الى لوقا ويوحنا (فصل ٢٠)، فقد جرت في اورشليم، واقله بالقرب من المدينة. ولْنعلم ان هذا التلاقي بين لوقا ويوحنا لم يأتِ منفرداً. فعلى دفعات كثيرة، وفي مجمل رواية لوقا الانجيلية، وبالاخص في روايته للآلام (فصل ٢٢-٢٣)، لدينا الفرصة لاقامة التوازي مع يوحنا[٥].

من جهة اخرى، انْ يكون لوقا قد عرف وشاء ان يتبع التقاليد الازائية، فذلك امر لا نقاش فيه. فان روايته للقيامة، على مثال رواية متى، لا تتضمن سوى تراءٍ واحد وحيد للاحد عشر، وقد جاء هو ذاته بعد تراءٍ لتلاميذ من غير الرسل (النساء او تلميذي عماوس): ذلك ان المخطط هو ذاته[٦]. وهكذا، ينقل لوقا، كما الازائيان الاخران، في بادئ الرواية بالذات، "رسالة الملاك" (راجع

(٣) ج.ج. دافيس: وصعد الى السماء، لندن ١٩٥٨ (بالانكليزية).

(٤) يطرح الفصل ٢١ -وهو يأتي بعد ما بدا خاتمة شاملة للانجيل، ويتحدث عن الرسول يوحنا في صيغة المجهول- مسألة الاصالة بشأن التاريخ، وبالتالي بشأن الوحدة الادبية لمجمل الانجيل الرابع. ومن هنا كان التمييز بين التقاليد الفصحية لهذا الفصل وتقاليد الفصل السابق.

(٥) لكي لا نذكر سوى مثال واحد: انظر لدى كليهما رواية "الدعوى الرومانية" (لو ٢٣: ٢-٧، ١٣-٢٥؛ يو ١٨: ٢٩-١٩: ١٦). راجع ا. جورج: التقليد والانشاء لدى لوقا. بنية الانجيل الثالث، ١٩٦٧ (بالفرنسية).

(٦) لا نستشهد هنا بخاتمة مرقس (١٦: ٩-٢٠) التي تتبع الخط العام، ولكنها ليست قديمة. وانما تعتبر بالأولى، في وضعها الحالي، تكراراً وملخصاً لتقاليد جمعت من هنا وهناك. ويرى عامة المفسرون في التلميح الى الصعود، بشكل خاص، لدى مرقس (١٦: ١٩) تكراراً للوقا (٢٤: ٥٠).

مر ١٦: ٥-٧؛ متى ٢٨: ٢-٧؛ لو ٢٤: ٤-٧). غير اننا، بصدد هذه السمة، نكتشف الطريقة الشخصية التي بها يعتمد الانجيل الثالث التقاليد القديمة جداً! فمتى ومرقس هما على اتفاق: حين تراءى ملاك القبر للنساء صباح القيامة، اعطى للرسل امراً بان يذهبوا الى الجليل، حيث كان يجب ان يتراءى لهم يسوع: "... انه يسبقكم الى الجليل، هناك ترونه كما قال لكم" (مر ١٦: ٧؛ راجع متى ٢٨: ٧). ولوقا يعرف جيداً هذا القول؛ وهوذا يدفع بشكه إلى حد الاحتفاظ بذكر **الجليل**. فاذا كان على يسوع، بحسب روايته، ان يتراءى للرسل في اورشليم، وليس على شواطئ بحيرة طبرية، كانت الضرورة تفرض عليه ان يبدّل التقليد: وهكذا نقرأ: "... قد قام. اذكرن كيف كلّمكن حين كان في الجليل" (لو ٢٤: ٦). وهكذا، فان الوحدة التي تحققنا منها في البداية، نجدها هنا، مع متطلباتها ان صح القول. ولوقا، حين يقتضي الامر، يتعامل بحرية مع التقاليد القديمة و"يرتّبها"، اذ ان في فكره مخططاً وهدفاً لاهوتياً؛ وهذا ما ينبغي علينا ان نتذكره[٧].

وهنا تفرض نفسها ملاحظة اخيرة: سيكون من الخطأ الاعتقاد بان لوقا، بحجة اللاهوت، لا يهتم، الا من بعيد، بالتاريخ وبالمعلومات التي جمعها قبل ان يباشر بالكتابة. لا شك انه فرض على روايته للقيامة اطاراً قرره مسبقاً، ولكنه يعرف، داخل هذا الاطار، كيف يحتفظ بالتفاصيل الدقيقة والجميلة. فمن دون التحدث عن مقطع عماوس الطويل -وقد انفرد به- نستطيع، على الاقل، ان نلاحظ كم ان الترائي للاحد عشر محاط بتفاصيل اكثر من تفاصيل متى. فلقد ذهب بعيداً بحيث احتفظ بتفصيل من نوع ثان، "القطعة من السمك المشوي" وهو تفصيل -يجب ان نعترف- يبدو اكثر ملاءمة في وضع الجليل مما في اورشليم (لو ٢٤: ٤٢؛ راجع يو ٢١). اما خاتمة النص، فتبدو والحق يقال، اقل جمالاً (لو ٢٤: ٤٤-٥٣)، ولكن، لنتوقف عند الملاحظة الشاملة: لوقا، هنا، كما في كل انجيله، يصرّ على القيام بعمل المؤرخ. انه يريد ان يعكس الاحداث التي يعتبرها ذات معنى، ويجمع، من اجل هذا الهدف، التقاليد التي كان بوسعه ان يجدها.

ثانيا: روايتان للصعود لدى لوقا

من البديهي ان تقام مقاربة بين فاتحة الانجيل الثالث وبداية سفر اعمال الرسل. فمن جهة واخرى، ليس لنا الكلام ذاته عن حضور القائم بين اخصائه، ولا الكلام ذاته عن الصعود، وكل هذا

(٧) هناك مؤشر آخر يجتمع فيه امران: مصادر لوقا الجادة وحرصه على "الذهاب نحو الاساس": فبحسب تقليد عريق (راجع ١ قور ١٥: ٥) يكون يسوع قد تراءى لبطرس قبل ان يتراءى للاحد عشر؛ ولوقا يعرف ذلك، ويسمح لنفسه ان ينقله (لو ٢٤: ٣٤)، من دون ان يقلب هذا الذكر البسيط والخالي من تفصيل او تشخيص للمكان، مخططه الشامل.

يقلم المؤلف ذاته الذي، بحسب التقليد، يكمّل هنا الرواية التي بدأها حين توجّه الى تئوفيلس (راجع لو ١: ٣؛ رسل ١: ١). ولكن، بوجه التدقيق، اذا كان الكتابان من قلم مؤلف واحد، ويهدفان الى ان يكونا واحداً، فكيف نفسر هذا التقاطع وتكرار رواية الصعود بنوع خاص؟

١. أصالة الكتابين

تزداد الافكار النقدية، في ايامنا، في الاعتقاد بان الانجيل الثالث وسفر الاعمال لم يكونا يشكلان في الاصل سوى الكتاب الواحد ذاته. ومن ثم، وفي النصف الاول من القرن الثاني، فُصلت نافذتا المؤلّف الواحد، لكي، كما يُظن، تُفصل عنه الرواية الانجيلية. وحينذاك من المحتمل أنْ جرت "تعديلات" انشائية من شأنها أن تضفي على الانجيل خاتمة وعلى سفر الاعمال فاتحة! وبحسب احدى النظريات الاكثر بساطة، يمكننا ان نتخيّل كيف كان بوسع الاحداث ان تجري. فيكون ان رسل ١: ٦ يأتي بعد لو ٢٤: ٤٩ في الرواية، وهكذا، اذن، يكون النص القديم قد قُطع ما بين هاتين الايتين؛ ويكون التدخل الانشائي اللاحق قد كَمُن، من جهة، في تكرار عدد من العناصر من الانجيل، في تلخيص رسل ١: ٦-١١ للحصول على الايات الاربع الحالية المخصصة للصعود بصفته خاتمة للانجيل[٨]. وهكذا يغدو، اذن، نص الانجيل بشأن الصعود متأخراً ومن يد مجهولة.

ويقدّم النص الاصلي المفترض للوقا حسنة مضاعفة: أوّلها هو عدم ذكر سوى تاريخ واحد للصعود (يوم القيامة، وليس في اليوم الاربعين كما جاء في رسل ١: ٣)، وثانيها هو الايحاء بصيغة واحدة للانطلاق (ذلك الصعود الخارق ذو الاطار المحيط به في رسل ١: ٩-١١، عوضاً عن تأكيد لاهوتي بسيط بشأن الخطف في لو ٢٤: ٥١). الا ان هذه الفرضية التوفيقية ينقصها اساس، اذ ليس بوسعها ان تستند على اي شاهد من النص. كما ان اجماع شهادة التقليد المكتوب يناقضها بشكل قاطع[٩]. وبالمقابل، وفق دراسة نقدية سليمة، ينبغي ان نفضّل "القراءة الصعبة"، وهي هنا النص الكامل من لو ٢٤ الى رسل ١، ويبقى ان نجد تفسيراً مناسباً لهذا الطرح المضاعف والمختلف بصدد الصعود.

ولما كنّا بصدد التحقق من الاصالة، يترتب علينا ان نشير الى اضافتين، في لو ٢٤، محذوفتين من بعض المخطوطات. وهما اولاً آ٥١ من الخاتمة: "ورُفع الى السماء"، وثانياً آ ٥٢ بشأن عبارة

(٨) راجع هـ. ساهلن: المسيح والتقوى الشعبية، اوبسالا ١٩٤٥ (بالالمانية)؛ ب.هـ. مينو: ملاحظات بشأن نصوص الصعود في لوقا-الاعمال، برلين ١٩٥٤ (بالفرنسية)؛ هـ. كونزلمان: دراسة في لاهوت لوقا، توبنكن ١٩٥٤؛ ي. تروسمي: "كتاب الاعمال" والتاريخ، باريس ١٩٥٧ (بالفرنسية).

(٩) راجع ج.ج. دافيس: المصدر المذكور؛ راجع ب.هـ. مينو: طيلة اربعين يوماً، لايد ١٩٦٢ (بالفرنسية)؛ ج. ديبون: دراسات في اعمال الرسل، في سلسلة (Lectio divina)، باريس ١٩٦٧ (بالفرنسية).

"سجدوا له". وهاتان الاضافتان -وهما غائبتان من النص اللاتيني القديم (vetus latina) ومن الترجمة السريانية السينائية- يشهد لهما في الواقع عدد كبير من الشهود. وبعد كل اعتبار، يمكن ان يفسَّر غياب ذكر الصعود (آ ٥١) بالأولى من اضافته في النص، وذلك بسبب الصعوبة الزمنية التي يثيرها التوقيت الذي يحدده رسل ١: ٣[١٠]. اما بصدد سجود الرسل (آ ٥٢)، فلقد بيّن ب.أ. فان ستيمفورت مصداقيته، نظراً الى التصنيف الكهنوتي الذي استخدمه لوقا، كما بشأن التلميح الضمني الى الفصل ٥٠ من سفر بن سيراخ[١١]. لذا، يجب الحفاظ على النص برمته، بما فيه هاتان الايتان.

٢. مقارنة بين الروايتين

لما كنّا قد اصطدمنا برواية مضاعفة عن الصعود، وهي رواية لوقاوية اصيلة، بقي علينا ان نستخرج الخلاصات الاساسية من المقارنة بين الروايتين. كيف نفسّر ان لوقا عرض الصعود، تارة في الليل، او غداة القيامة، وتارة اخرى بعد اربعين يوماً؟ ففي رواية اولى، نرى الصعود يجري في اقصى حدود التحفظ على صعيد الرؤية، بينما يفترض في الرواية الثانية سيناريو ذا أبّهة. كيف التوفيق بين هذا العرض المضاعف؟

سبق المفسرون أنْ تقدموا بشروحات اجمالية. كأن يقال بأن لوقا، بعد انتهائه من كتابة انجيله وكتابة الاعمال، تلقى مزيداً من المعلومات؛ او انه، بصفته مؤتمناً على تقليدين، يكون قد رفض ان يدمجهما، فوضعهما متجاورين، وذلك بدافع استقامة المؤرخ[١٢]. الا ان هذا لا ينسجم ابداً مع ما نعرفه عن طرق لوقا الادبية. وبالعكس، فسوف نقترب بالاكثر من اسلوب تعامله وتفكيره اذا ما قبلنا ان نرى في هذه اللوحة المضاعفة، في منعطف بين الانجيل والاعمال، تفسيراً مضاعفاً لتمجيد المسيح.

في لو ٢٤، يأتي الصعود ليختم حياة يسوع والانجيل بالارتفاع السماوي للمشيح. ومثل هذه الرؤية تبدو لاهوتية بشكل مميز. فالمسيح يدخل في مجده بجسد سماوي "روحي" هو بمنأى عن الحواس البشرية من اسفل، ولا يسعنا ازاءه سوى ان نسجد. وهذا "الرفع"، منذ يوم القيامة، يسجّل الانتصار السماوي غير المنظور للمسيح، ولكنه انتصار حقيقي.

اما في رسل ١، فان تمجيد المسيح، انما يريد بالاكثر ان يفتتح زمن الكنيسة ورسالتها. ذلك ان المسيح المرتفع الى السماء في بشريته المؤلّهة والمُقامة، قد تراءى ايضاً، ولمرات عديدة، لرسله، لكي

---

(١٠) ب. بنوا: الصعود، في المجلة البيبلية رقم ٥٦ (١٩٤٩) (بالفرنسية)؛ ج.ج. دافيس: المصدر المذكور؛ ب. أ. فان ستيمفورت: تفسير الصعود في لوقا والاعمال، ١٩٥٨-١٩٥٩ (بالانكليزية)؛ ج. ديبون: المصدر المذكور.

(١١) راجع ب.أ. فان ستيمفورت، المقال المذكور.

(١٢) راجع ج.ج. دافيس: المصدر المذكور.

يثبتهم ويعهد اليهم بالرسالة. ذلك ان تحياته الوداعية، وترائيه الاخير التاريخي والرسمي بعد القيامة، قد اتخذت الصفة "الليتورجية" للصعود. ذلك هو عرض اكثر واقعية واكثر تاريخية، وقد يكون اكثر عصرية، لسر الصعود ووجهه البشري، وكأن لوقا، ازاء سؤال الرسل المجتمعين: "ماذا بقي علينا ان نفعل"، شاء ان يشدد على الاهمية الكبرى لهذا الرحيل الاخير، وهو فد حد ذاته اعداد مباشر للعنصرة ولانطلاقة الكنيسة[١٣].

وباختصار، كان ينبغي اولاً ان تُغلَق رواية الانجيل، ليبدأ تاريخ الكنيسة الرسولي. اما الرؤية، فليست هي ذاتها. ففي ما يخصنا، سوف نسعى لنبيّن كيف ان نص لو ٢٤: ٥٠-٥٣ يأتي جيداً في الخط المستقيم للانجيل الثالث، وكيف انه يشكل خاتمة طبيعية الى اقصى الحدود، مع قبوله التوسعات التي يحملها رسل ١: ٩-١١، وقد جاءت لتنسجم معه اكثر مما لتُناقضه.

٣. الروابط بين التجلي والصعود

في مؤلّف لوقا، يمكننا ان نقيم مقاربة بين التجلي والصعود. وهذه المقاربة التي انكب عليها ج.ج. دافيس، تتعلق بالاخص بـــ لو ٩ ورسل ١، وبصورة غير مباشرة بالفصل ٢٤ من الانجيل. فالبيبلي الانكليزي اكتشف نقاط الالتقاء الدقيقة والعديدة التي توجد لدى لوقا، ما بين رواية التجلي ورواية الصعود: الجبل، الرجلان اللذان يحيطان بالمسيح، الغمام الالهي والمجد، الخروج الذي حققه المسيح واختطافه، نموذج شخصيتي موسى وايليا، شهادة "رؤيا بطرس المنحولة" التي، منذ بداية القرن الثاني، بدت توفق بين الروايتين... وللمزيد من التفصيل، لا يسعنا الا ان نحيل الى دراسات هذا الاختصاصي[١٤].

لنرَ الآن التقاليد الفصحية المتعلقة بـــ ٢٤. لقد ادرج الانجيلي روايته في اطار ترتيب زمني من ٢٤ ساعة، بحيث بدا وكأنه وضع صعود المسيح في الليلة التالية لقيامته. ولوقا، من بين الانجيليين الازائيين، هو وحده حدّد مشهد التجلي في الليل؛ فلقد اشار الى نعاس الرسل، والى انهم لم ينزلوا من الجبل الا في اليوم التالي (لو ٩: ٣٢، ٣٧). ويمكننا ان نستخلص: التجلي في نظر لوقا هو بمثابة استباق الصعود. ذلك ان يسوع دخل في المجد الالهي لكي يخرج منه؛ ولكنه في ساعة ارتفاعه

(١٣) راجع ب. بنوا: المصدر المذكور، ب. أ. فان ستيمفورت: المقال المذكور؛ أ. جورج: المقال المذكور. وقد يكون من المفيد التذكير بانه، على مثال اطار الـــ ٢٤ ساعة التي فرضها لو ٢٤ على ترائيات القائم، يمكن ان نعتبر عبارة الاربعين يوماً التي نقلها رسل ١ تقريبية. وهذا الرقم يعيدنا الى موسى وايليا ليعبر عن شكل من الاكتمال البيبلي. من جهة اخرى، يكتفي رسل ١٣: ٣١ بالتحدث عن "عدة ايام". راجع ج.ج. دافيس: المصدر المذكور.

(١٤) راجع ج.ج. دافيس: التصوير المسبق للصعود في الانجيل الثالث، في مجلة الدراسات اللاهوتية (١٩٥٥)، وايضاً: صعد الى السماء (بالانكليزية)؛ ب. أ. فان ستيمفورت: المصدر المذكور.

الفصحي وصعوده، دخل في المجد بشكل نهائي لكي لا يظهر ثانية بشكل احتفالي الا في المجيء الاخير.

ثالثاً: قراءة النص

١. تتميم الكتب

"ثم قال لهم: ذلك كلامي الذي قلته لكم حين كنت معكم، وهو انه يجب ان يتم كل ما كُتب في شأني، في شريعة موسى وكتب الانبياء والمزامير" (آ ٤٤).

بعد الآيات اعلاه، وهي وصفية بالاكثر، هوذا الانجيل يرينا يسوع، انطلاقاً من هنا، وهو يعطي للرسل تعليماته الاخيرة، لا بل وصيته الروحية. فيسوع هو الذي يتكلم، ولكننا نلاحظ للحال ظرفاً يجعلنا نستيقظ: **"حين كنت معكم"**. ففي هذه الكلمات، ألسنا بالاكثر ازاء صدى للوعي المسيحي في الجيل الاول؟ ذلك ان يسوع، ابان حياته العلنية، وحتى الجلجلة، كان مع اخصائه عبر حضور ارضي، تاريخي. اما منذ الآن، فحضوره بصفته ممجَّداً، مهما كانت حقيقته ثابتة، هو من طبيعة اخرى. انه ليس هنا الآن كما كان في السابق، ونستشف مسبقاً بان التحدث عن الصعود في الآيات الاخيرة، يقوم في الاساس على تصديق هذا التأكيد.

امّا في الانجيل الرابع الذي طالما سبق ان عاش من هذا الحضور السّري للممجَّد، فيما يعيد قراءة التقاليد الانجيلية في ضوء هذه الخبرة الجديدة، نرى يسوع يتحدث بالفعل بهذه الطريقة قبل آلامه (راجع يو ١٤: ٢٥). وهذا يوضح مسار فكر من نوع استطرادي اذا صحّ التعبير: فبعد حدث الفصح، نعود الى احداث الحياة اليومية لنكتشف فيها كل معانيها، وحدث القيامة، حينذاك، يفرض نفسه وبقوة اكبر. ولدينا بالتالي ذاك "الكرّ والفرّ" النفسي والروحي الذي يشهد له هنا نصُّناً. فنحن الان بصدد "التذكّر" (راجع لو ٢٤: ٦؛ يو ٢: ١٧، ٢٢؛ ١٢: ١٦). ذلك ان لوقا، مع جيله، يستذكر ويتأمل في النصوص وفي الاحداث، ويقوم بمقاربات، ويدخل في فهم اكثر عمقاً لسر المسيح. وهو على يقين من ان كل هذا، انما تلقاه من الرب ذاته، مما يتيح له ان يضع يسوع على المسرح ويدعه يتكلم.

يتجاوب حدث القيامة مع ما كان يسوع قد اعلنه. ويمكننا ان نحاول ايجاد هذه "الكلمات" في نصوص اناجيلنا الحالية، واقله في الانجيل الثالث (راجع لو ٩: ٢٢، ٤٤؛ ١٧: ٢٥؛ ١٨: ٣١-٣٣؛ ٢٢: ٣٧). ولكن، ألم يكن الانجيل برمته يقود الى الاسبوع المقدس؟ لذا، فمن

الافضل ان نقرأ، في نصّنا، أمراً بالعودة الى مجمل التقاليد الانجيلية، ان لم يكن الى مجمل الاسفار المقدسة بالذات. "**شريعة موسى، الانبياء، المزامير**"! وتعني هذه العبارة الاسفار المقدسة برمتها. لقد سبق يسوع في كرازته أن اشار ولا شك الى الاسفار المقدسة؛ وبعد القيامة، تذكّر التلاميذ، وراحوا يبحثون من جديد بما يفيدهم، وسرعان ما اكتشفوا ان في النصوص القديمة فاعلية كبرى لعرض احداث اليوم وتفسيرها. وهذا ما جعلنا، على مدى العهد الجديد برمته، ازاء استخدام وافر ومتنوع للعهد القديم. وبوسعنا على الاقل ان نلاحظ النصوص التي كثيراً ما تتخلل الكرازة الاولى في سفر الاعمال، او نذهب لاكتشاف النصوص الاخرى التي يقول لوقا فيها ايضاً ان يسوع "**أتمّ**" ما كان قد كُتب عنه (راجع لو ٤: ٢١؛ رسل ١: ٦؛ ٣: ١٨؛ ١٣: ٢٧)[١٥].

٢. من اجل فهم الكتب

"حينئذ فتح اذهانهم ليفهموا الكتب" (آ ٤٥).

سبق يسوع وفسّر الكتب لتلميذي عماوس اللذين وصفهما بعبارة "يا قليلي الفهم" و"بطيئي القلب في الايمان" (لو ٢٤: ٢٥-٢٧). وهنا، بمقدار ما يكون الشرح موجهاً الى الاحد عشر على الاقل -وهم يفكر لوقا بالاكثر-، بقدر ذلك يتخذ اهمية خاصة. فلا بد، بالفعل، ان يبدو لنا الرسل على معرفة كاملة، طالما اليهم ستعود بالتالي مهمة الشهادة الرسمية في الكنيسة. وسفر اعمال الرسل يقدمهم لنا بصفتهم الشهود المختارين من قبل، وقد خُصّوا بتجليات القائم (راجع رسل ١٠: ٤٠+). ولنا عودة الى اللوحة التي يرسمها لوقا عن الرسل.

لنلاحظ من جديد بان يسوع نفسه، يسوع القائم، هو الذي يفتح اذهان اخصائه لفهم الكتب. ولنفهم من ذلك: هو حدث الفصح بالذات الذي يغير كل شيء بالنسبة الى الرسل؛ فالتاريخ هنا، في نظرهم، قد اتخذ وجهاً جديداً، ولذلك اتخذت الكلمات ايضاً معنى جديداً. وبولس، ذلك الرابيني المهتدي بفعل اللقاء على طريق دمشق، يتكلم كمن هو ضليع في الامور، حين كتب بان المسيح جاء ليرفع الحجاب الذي كان يُعمي الفكر ويمنع من فهم العهد القديم (٢ قور ٣: ١٤-١٦).

٣. الآلام والقيامة اعلنت عنها الكتب

"وقال لهم: كُتب ان المسيح يتألم ويقوم من بين الاموات في اليوم الثالث..." (آ ٤٦). كثير من النصوص تقفز هنا الى الذاكرة: الانباء الثلاثي عن الآلام (لو ٩: ٢٢؛ ٩: ٤٤+؛

(١٥) راجع ج. ديبون: المصدر المذكور، ولا سيما القسم الثالث المعنون: العودة الى الاسفار.

١٨: ٣١-٣٤)، جزء من رسالة الملاك في صباح الفصح (لو ٢٤: ٧)، تصريح ليسوع على طريق عماوس (لو ٢٤: ٢٥-٢٧). فيسوع هو الذي يتكلم دوماً، ويتحدث عن نفسه في صيغة المجهول، وهذا ما يدهشنا ولا شك. وبالاكثر، فان هذه النصوص، وان كانت تحمل ولا شك اختلافات، فهي تقدم تشابهات واضحة في تصريحات يسوع ذاتها. وحين نعود الى الآية التي نحن بصددها، تقودنا هذه الاستنتاجات الى التساؤل: ألا يستخدم لوقا هنا شبه صيغة تكرار كانت شائعة بين التلاميذ. ومهما يكن من امر، لنبحث على الاقل عن البعد اللاهوتي الذي يختفي فيها، في ضوء النصوص الموازية المشار اليها.

"**كُتب**". وتشدد سائر النصوص، مرات عديدة، على انه كان ينبغي ليسوع ان يموت ويقوم، وهي ضرورة سبق ان ذُكرت اعلاه: "**يجب ان يتم كل ما كُتب في شأني**" (٢٤: ٤٤). والتلاقي بين الكتب القديمة واحداث الآلام-القيامة ليس من قبيل الصدفة؛ وانما يُعرَض هذا التلاقي وكأنه موضوع يتحقق لاحقاً. ففي الواقع، كان لا بد من هذه الاحداث طالما انها تتم بارادة الله: ويشهد على ذلك الاعلان بان الله هو الذي حددها في الكتب المقدسة. ولنلاحظ جيداً في كل هذه النصوص الانجيلية الذكر المزدوج للآلام والقيامة.

ومما لا شك فيه هو ان الرسل، بقدر ما كانوا يجدون في الكتب الاعلان المزدوج عن الآلام-القيامة، استطاعوا من ثم ان يقبلوا بشكل تام الآلام التي كانت قد تركتهم، قبلاً، حائرين الى حد كبير. يبدو ان الكتب المقدسة قد اعانتهم ايضاً على قبول القيامة كما هي: ففي الكرازة الاولى التي نقلها سفر الاعمال، نجدهم ينادون بان اله ابراهيم واسحق ويعقوب، اله الآباء -وبالتالي اله الاسفار المقدسة- هو الذي اقام يسوع (راجع رسل ٣: ١٣؛ ٥: ٣٠).

وكلام يسوع، وقد نقل في اطار تراءٍ فصحي، يندرج هنا في سياق فهم الكتب (آ ٤٥). وبالعكس، فالكلام ذاته، في روايات الحياة العلنية، يصطدم بعدم فهم الرسل (لو ٩: ٤٤؛ ١٨: ٣٤). ونعلم تفسير هذا التطور: انها خبرة الفصح. ولكن ألا ينبغي ان نقارب تفصيلاً آخر؟ ففي روايات الحياة العلنية، نرى ان "ابن الانسان"، تلك الشخصية السّرية، هو الذي يعلن عن انه ينبغي ان يتألم ويقوم. والملاك عند القبر، وهو يكتفي بتكرار كلمات يسوع ذاته، يحتفظ بهذه التسمية (ابن الانسان). وهنا بالعكس، نرى يسوع القائم، كما في رواية عماوس (٢٤: ٢٦) لا يشار اليه بصفته "ابن الانسان"، وانما بصفته "المسيح" (الماسيا). ألا يكون هذا مؤشراً واضحاً على تطور الايمان الرسولي؟ فلقد ادخل حدث القيامة الرسل في سر المسيح برمته، وبالاخص في سر مسيحانيته. وكما تقول الكرازة الاولى ان الله، اذ اقام يسوع، "جعله رباً ومسيحاً" (رسل ٢: ٣٦).

ويفسّر واقع تجليات يسوع، بدءاً من يوم القيامة، بشكل طبيعي، عبارة "**اقامه في اليوم الثالث**"، الا ان هذا التوضيح "الزمني" كان قد حُفظ وشَدّدت عليه التقاليد القديمة، حتى اخذوا

يعتقدون مبكراً جداً، وبشكل علني، ان العهد القديم سبق ان اعلن عنها. وهذا التفصيل بحد ذاته اتخذ اتساعاً مسيحانياً، نتجت عنه هذه الصيغة الكاملة: "قام في اليوم الثالث كما في الكتب" (راجع ايضاً رسل ١٠: ٤٠، ١ قور ١٥: ٤). ولكن الى أية نصوص رجع المسيحيون الاولون لدعم هذا الموضوع؟ ما زال الجدال قائماً. ويمكننا ان نفكر بـــ يون ٢: ١، و٢ مل ٢٠: ٥، او قد يكون بالاحرى بـــ هو ٦: ١-٢[١٦].

٤. الخلاص للجميع باسم يسوع

"... وتعلن باسمه التوبة وغفران الخطايا لجميع الامم، ابتداءً من اورشليم" (آ ٤٧).

ان الله، إذ مجّد يسوع، اعطاه **"الاسم"** الذي يفوق كل اسم، وهو اسم "الرب" الذي يحمله هو وحده، وكل البشر مدعوون الى تقديم العبادة له والمناداة به (فل ٢: ٩-١١). "فباسم يسوع" يجب ان يُعلَن الخلاص، لان البشر لن يستطيعوا ان يجدوا الحياة إلا بقبولهم هذا الاسم، وبمشاركتهم في العمل الالهي المعلن والمنجز في موت يسوع وقيامته. وفي سفر الاعمال، لن تتوقف الكرازة الرسولية البتة عن اعلان ذلك، حتى ان الرسل انفسهم سوف يشفون ويعمّدون "باسم يسوع"[١٧].

وفي النص الذي نحن بصدده، لا نجد الخلاص بيسوع المسيح موصوفاً. بل يُشار اليه فقط، وبالاكثر في وجهه السالب فقط: **"مغفرة الخطايا"**. كان النص يريد، كما يبدو، ان يشدد على الشرط الذي يتوجب على الانسان ان يكمّله، من جهته، كي يصبح عمل الله فاعلاً في حياته. ذلك ان الانسان خاطئ هو؛ ويترتب عليه ان يتوب ويغيّر حياته (وهذا هو المعنى الدقيق للكلمة المستخدمة هنا). وهكذا، نجد من جديد موضوعاً عزيزاً على الكرازة الاولى وعلى لوقا ذاته الذي ينقلها لنا[١٨].

"جميع الامم" مدعوون الى الخلاص، "من كل امة تحت السماء" (رسل ٢: ٥)؛ ويرينا لوقا اياهم وقد اقتبلوا مسبقاً، يوم العنصرة، ثمار هذه الكرازة التي اخذت تشق طريقها، بشكل رائع، على يد الرسل، وبالاخص على يد القديس بولس. وليس من الصعب الوقوف على النصوص النبوية التي استشفت بالتأكيد هذه الشمولية من قبل؛ ونفهم دون صعوبة بان التأمل في الاسفار المقدسة، بصدد هذه النقطة، استطاع بشكل كبير ان يمكّن الرسل من الوعي المتزايد بايمانهم ومتطلباتهم[١٩]. وعلى

---

(١٦) راجع ج. ديبون: المصدر المذكور.

(١٧) راجع م. كون: مخلّصون باسم يسوع، في مجلة **Assemblées du Seigneur**.

(١٨) راجع ج. ديبون: المصدر المذكور: التوبة والاهتداء بحسب سفر الاعمال.

(١٩) كان القديس بولس يعلّق اهمية كبرى على نبؤة اشعيا (٤٩: ٦). راجع ج. ديبون: المصدر المذكور.

كل حال، يحرص لوقا، في خاتمة روايته الانجيلية، أن يضع هذه الشمولية المسيحية في علاقة وثيقة مع حدث القيامة ومع ارادة المسيح: وتجدر الاشارة هنا الى ان انجيل متى، بدوره، يختم بالتالي بنص الرسالة الشاملة (متى ٢٨: ١٩).

الا ان لوقا يوضح ايضاً، وبكل اعتناء، بان الكرازة الرسولية يجب "**ان تنطلق من اورشليم**"، الامر الذي يجعلنا نجد مجدداً تلك الرؤية المفعمة جمالاً ولاهوتاً معاً، وهو ينفرد بها، وقد لمّحنا اليها اعلاه. فلوقا هو فنّان، ويعرف كيف يجعل مجمل مؤلّفه يحمل طابع حركة تدهشنا لا محالة. ذلك ان قسماً كبيراً من حياة يسوع العلنية يبدو لديه في شكل صعود بطيء واحتفالي نحو اورشليم. فهناك يجب على يسوع ان يأتي "ليُرفع من هذا العالم" (لو ٩: ٥١). ويسوع، حتى بعد قيامته، سيرى نفسه مضطراً، ان صح القول، ألا يترك اورشليم. فهو لن يتراءى إلا في المدينة او في ضواحيها المباشرة.

ومن اجل وحدة اكبر، ستجري كل الترائيات يوم القيامة بالذات. وسيترتب على الرسل ألا يغادروا اورشليم قبل ان يكونوا قد قبلوا الروح (٢٤: ٤٩). وحينذاك فقط سيكون بوسعهم ان يبدأوا الكرازة وانطلاقة الكنيسة "**ابتداءً من اورشليم**"، في "كل اليهودية والسامرة وحتى اقاصي الارض" (رسل ١: ٨)، كما يرسمها لنا سفر الاعمال[٢٠]. وان المفعول الادبي لهذه الرؤية واضح، إلا ان لوقا يشدد بالاكثر، وبشكل احتفالي، على ان حقيقة الخلاص تنبع للبشر من هذا العمل الواحد والفريد الذي حققه يسوع المسيح المائت والممجَّد.

٥. الرسل، شهود يسوع المسيح

"وانتم شهود على هذه الامور" (آ ٤٨).

ونجدنا بازاء مقولة مدهشة في ايجازها، لا بل حتى في بنيتها اللغوية. والكلمة الهامة هنا هي ولا شك لقب "**شهود**" الذي يخلعه يسوع على الرسل، كما في رواية الصعود الثانية حيث تبدو الصلة بين الشهادة والرسالة اكثر وضوحاً (رسل ١: ٨).

سيكون الرسل، اذن، شهوداً، وهكذا سيبدون على مدى الكرازة. فهم لا يطرحون نظريات، ولن يكرزوا بشبح، وانما يؤدون تقريراً عن احداث تاريخية. فالنشاط الرسولي يتجذر بالضرورة في خبرة؛ ويجب على من يصبح شاهداً للقيامة، ان يكون قد رافق يسوع، منذ عماذه على يد يوحنا وحتى اليوم الذي فيه رُفع (رسل ١: ٢١+). ومع ذلك، هذا لا يعني ان شهادة الرسل

(٢٠) راجع ج. ديبون: المصدر المذكور: خلاص الامم والمعنى اللاهوتي في سفر الاعمال.

عن يسوع ستكون بالتالي، وببساطة، من قبيل الشهادة التاريخية حسب. ذلك انهم مدعوون الى ولاء الايمان، وانهم، بصفتهم مؤمنين، يقدمون انفسهم. ولكي يقبلوا حقيقة القيامة، وبالتالي سر يسوع برمته، يترتب عليهم ان يتخلوا عن نظرياتهم البشرية وعن "منطقهم" كما نقول اليوم. وحفظ لنا الانجيل بالتحديد ذكرى هذا المسعى الذي لم يكن سهلاً عليهم (راجع لو ٢٤: ١١، ٣٨، ٤١؛ ٢٤: ٢٥).

٦. الروح القدس المنتظر

"واني ارسل اليكم ما وعد به ابي. فامكثوا انتم في المدينة الى ان تُلبَسوا قوة من العلى" (آ ٤٩).

لا يرد اسم الروح، ولكننا نعلم انه هو المقصود (راجع رسل ١: ٤+). فان موهبة الروح سوف تكمّل عمل يسوع قبل ان ينتشر الرسل؛ اما انجيل يوحنا -وتلك مقاربة جديدة بين الانجيليين- فسوف يتوسع في هذا الموضوع عبر "الخطاب بعد العشاء".

كان الآب قد وعد بالروح من قبل، وسنرى بطرس، على سبيل المثال، يستشهد بنص من يوئيل النبي لكي يفسّر حدث العنصرة (رسل ٢: ١٦+). وبوسعنا ان نقول بان الروح يأتي من لدن الآب (يو ١٤: ١٦، ٢٦). ومع ذلك، فمن الصحيح ايضاً ان نقول، كما هي الحال هنا، بان يسوع هو الذي يرسله، بمقدار ما يترتب على موت يسوع وقيامته ان يسبقا بالضرورة هذه الموهبة (راجع يو ١٦: ٧)، وبمقدار ما يعني حضور الروح بيننا، بشكل ما، حضور يسوع الممجّد ذاته (راجع ١ قور ١٥: ٤٥؛ ٢ قور ٣: ١٧+).

وسيكون انجيل يوحنا منتبهاً بشكل خاص الى ان الروح يحمل فهم الاسرار والحقيقة كلها (راجع يو ١٤: ٢٦؛ ١٦: ١٣). اما بالنسبة الى لوقا، فالروح هو القوة (راجع رسل ١: ٨)، **"القوة من العلى"**، اي انها من اصل وطبيعة فائقين، وهذا ما تنبئ به مسبقاً وضمنياً المساعي الرسولية في سفر الاعمال، وهي تبدو بشرياً غريبة لا تفسَّر.

٧. المسيح يصعد الى السماء وهو يبارك الجماعة

"ثم خرج بهم الى القرب من بيت عنيا ورفع يديه فباركهم. وبينما هو يباركهم انفصل عنهم ورُفع الى السماء" (آ ٥٠-٥١).

كانت الايات السابقة التي وضعت على لسان يسوع في صيغة تعاليم، قد ذكّرتنا بمعنى احداث الآلام-القيامة، وبوحدتها العميقة، مع خاتمة بذكر موهبة الروح التي اصبحت ممكنة عبر تمجيد يسوع. فأنْ يكون يسوع قد مُجِّد، فهذا ما أكّده مسبقاً، في حد ذاته، بمحمل رواية الترائيات، وفي سياقه اصبحنا منذ الآية ٣٦ بازاء: **"إذا به يقوم بينهم ويقول لهم: السلام عليكم!"**. وهذا ايضاً ما تكرره، للمرة الاخيرة، وبشكل احتفالي، الآيات الاخيرة من النص حيث نجد بالتحديد خيط الرواية.

"وانفصل عنهم ورُفع الى السماء". وهنا يشدد لوقا على وجه آخر من خبرة الرسل. كان الطابع الفريد —ويستحيل علينا تصوره- لترائيات القائم قد سبق ان اضطرهم على التفكير في المواصفات الجديدة لوجود يسوع. وهكذا، وبالاكثر، سيكون الاختفاء النهائي لهذا الحضور السّري. ومنذئذ تُفرض عليهم بديهية الفصل بين هذا العالم الذي يترتب عليهم ان يواصلوا العيش فيه، وبين العالم الذي دخل فيه يسوع، اي السماء التي منها ستنزل القوة **"من العلاء"**. وان ذكر الصعود يبدو هنا سريعاً جداً. ولكنه سيكون موسَّعاً بالاكثر في سفر الاعمال، حيث يتم توقف عند عدد من التفاصيل الوصفية، وحين يتدخل ملاك ليفسّر المشهد، وحيث ستتحول بالتالي **"ضواحي بيت عنيا"** الى "جبل الزيتون" (رسل ١: ٩-١١، ١٢).

في سفر اعمال الرسل، تأتي رواية الصعود بمثابة مدخل الى مشهد العنصرة العظيم، وكأنها مقدمة لتاريخ كنيسة يتحتم عليها، منذ الآن، ان تعيش في غياب يسوع؛ فمنذ الصعود، نفكر مسبقاً وبالاكثر في الكنيسة. لقد كنا في الانجيل وكأن لدينا علامة سابقة عن انتشار الكنيسة طالما ان يسوع قاد رسله الى خارج اورشليم بالذات، ولكن المهم لا يكمن هنا. ففي خاتمة الانجيل، نرى ان النظر يبقى مسمَّراً على يسوع. وهنا تتجلى بالاكثر نية لوقا حين بدا وكأنه يبحث عن صورة عظمى من العهد القديم، لهذا الذكر الاخير للممجَّد: صورة الكاهن الاعظم الذي بارك، بيديه المرفوعتين، الشعب الجاثي عند قدميه (راجع سي ٥٠: ٢٠+).

٨. الرسل يباركون الله ويسبحونه

"فسجدوا له، ثم رجعوا الى اورشليم وهم في فرح عظيم، وكانوا يلازمون الهيكل وهم يباركون الله" (آ ٥٢-٥٣).

كان الرسل قد شكّوا اولاً. ولا يجهل لوقا التقاليد حول هذه النقطة، كما سبق ان قلنا. ومع ذلك، لنضف هنا للحال بانه لا يشدد عليها بشكل خاص. لا بل نجده يحرص، كما يبدو، ان يحملنا على نسيان ذلك: فمع انه جعلهم يتخذون ولا شك هيئة اسرائيل القديم ازاء الكاهن الاعظم،

إلا ان هذا السجود يعلن ايضاً لدى الرسل ايماناً حاسماً بيسوع، ايماناً هو من اليقين العميق بحيث انه خلق الفرح والتسبيح.

هكذا تنتهي رواية لوقا بشكل منشرح، وفي سياق ثقافي، مع ذكر واضح للهيكل وتلميح لا شك فيه الى عظيم الكهنة اليهودي. ذلك هو تفسير للصعود في صيغة مجدلة. فلقد حقق تأمل الانجيلي عبوراً في شبه تقاطع بين اشخاص، من الرواية الى التسبيح، ومن التاريخ الى الليتورجيا. نعم، والحق يقال، ان هذه الخاتمة اصيلة. فهي تنسجم بشكل واضح مع الطريقة المألوفة التي اعتمدها لوقا، فضلاً عن "التطويق" الذي بَنَتْهُ مع الفصول الاولى والذي نكتشفه بشكل عام: من لا يتذكر الفرح (لو ١: ١٤، ٢٨؛ ٢: ١٠)، مديح البركة (١: ٦٤، ٦٨؛ ٢: ٢٨؛ راجع ٢: ١٣، ٢٠) واناشيد انجيل الطفولة! وليس باقل صحة ان تكون رواية لوقا انتهت في الهيكل حيث كانت قد ابتدأت! (راجع ١: ٥+).

خلاصة

"تأمل بين الفصح والعنصرة". ذلك هو العنوان الذي اخترناه لهذه الدراسة. فلوقا، انطلاقاً من تقاليد قديمة، استطاع ان يجمعها، وعبر اسلوبه وطرقه الادبية الخاصة، عاد هنا في الواقع، بالفكر، الى زمن الفصح، لكي يعرض علينا تأملاً لاهوتياً. فلقد قَبِلَ في الايمان تمجيد يسوع، ولَكَم تأمل فيه وتعلم منه درسه التربوي ومعناه العميق. ومن ثم، وباختصار، ولكن بطريقة جوهرية، شاركنا في مسيرته، وهكذا ترك لنا نموذجاً.

ذلك هو الاختلاء الضروري الذي يحتاجه المؤمن قبل ان يصبح رسولاً! ونحن ايضاً، لنتأمل في القيامة. ولنعد دون انقطاع الى شهادة الذين رأوا. ولنكن على يقين من ان ايماننا الفصحي لا يمكنه ان يعيش إلا اذا تغذّى بالاسفار المقدسة، عبر علاقتها مع التاريخ المقدس برمته. ولْنَتُقْ توقاً يتجدد دوماً الى موهبة الروح. لنعش في الفرح ولنسبح الله على عمل الجودة والقوة!

اكتشاف القبر فارغاً

(يوحنا ٢٠: ١-٩)

بقلم دوناسيان مولاّ

(Donatien Mollat)

يسوع والمجدلية

فرا أنجليكو/ القرن ١٥

٢٠ ١وفي يَومِ الأَحَد جاءَت مَريمُ المِجدَليَّةُ
إلى القَبْرِ عِندَ الفَجْرِ، والظَّلامُ لم يَزَلْ
مُخَيِّماً، فرأَتِ الحَجَرَ قد أُزيلَ عنِ
القَبْرِ.
٢فأَسرَعَت وجاءَت إلى سِمْعانَ بُطرُس
والتِّلميذِ الآخَرِ الَّذي أَحبَّهُ يسوع،
وقالَت لَهما: "أَخَذوا الرَّبَّ مِنَ القَبْرِ، ولا
نَعلَمُ أَينَ وَضَعوه."
٣فخرَجَ بُطرُسُ والتِّلميذُ الآخَرُ وذَهَبا إلى
القَبْرِ
٤يُسرِعانِ السَّيْرَ مَعاً. ولكِنَّ التِّلميذَ
الآخَرَ سَبَقَ بُطرُس، فوَصَلَ قَبلَه إلى
القبْرِ
٥وانحنى فأَبصرَ اللَّفائِفَ مَمْدودة،
ولكِنَّه لَم يَدخُلْ.
٦ثُمَّ وَصَلَ سِمْعانُ بُطرُس وكانَ يَتبَعُه،
فدَخَلَ القَبْرَ فأَبصرَ اللَّفائِفَ مَمْدودة،
٧والمِنديلَ الَّذي كانَ حَولَ رَأسِهِ غَيرَ
مَمْدودٍ معَ اللَّفائِف، بل على شَكْلِ
طَوْقٍ خِلافاً لَها، وكان كُلُّ ذلك في
مَكانِه.
٨حينَئذٍ دخَلَ أيضاً التِّلميذُ الآخَرُ وقَد
وَصَلَ قَبلَه إلى القَبْر، فَرأَى وآمَنَ.
٩ذلك بأَنَّهُما لم يكونا قد فهِما ما وَرَدَ
في الكِتاب مِن أَنَّه يَجِبُ أَن يَقومَ مِن
بَينِ الأَموات.

(يوحنا ٢٠: ١-٩)

اكتشاف القبر فارغا

(يوحنا ٢٠: ١-٩)

بقلم دوناسيان مولاّ

تقدم الرواية اليوحنانية، بشأن اكتشاف القبر فارغاً، في آن واحد، طابع بساطة كبرى، وطابعاً هو ذو تعقيد كبير على المستوى الادبي: بساطة في ذكر احداث نقلت على الفور؛ وتعقيداً متأتياً من تقليد يميّز فيه التفسير البيبلي مستويات عدة، مع تداخل وجهات متتالية على درجة كبيرة من التنوع. هذا العرض، فيما يأخذ بعين الاعتبار هذا التعقيد، سيبذل الجهد –بالرغم من مستويات التقليد المختلفة– في استخراج الدوافع الكثيرة التي تتلاقى وتذوب في وحدة الانشاء الحالي، وهو عملية صهر نهائية لتوسّعٍ طويل.

أولاً: القبر الفارغ

في انطلاقة الرواية اليوحنانية، يكشف التحليل عن تقليد يبدو عريقاً جداً، وهو يلتقي في اساسه مع التقليد الازائي، وان كان يتميز عنه في كثير من النقاط. فالانجيل الرابع، على مثال

الاناجيل الازائية، يشهد على مجيء مريم المجدلية على الاقل، الى قبر يسوع، في الصباح الباكر جداً، **"في اليوم الاول من الاسبوع"**؛ كما يشهد على اكتشاف الحجر مرفوعاً من الغرفة الجنائزية، وعلى اللقاء الذي تم او سيتم بهذه المناسبة مع التلاميذ، وبالاخص مع بطرس. تضاف الى ذلك قربى في المفردات: فعبارة: **"اليوم الاول من الاسبوع"** هي مشتركة بين مرقس ولوقا ويوحنا؛ وذكر حجر القبر مشترك بين الاناجيل الاربعة؛ غير ان ما يدهش لدى يوحنا هو انه، بخلاف مرقس ومتى، وعلى مثال لوقا، لم يذكره في رواية دفن يسوع. وهكذا هي الحال بشأن مجيء النساء الى القبر: وهو مجيء لم يكن منتظراً، اذ ان يوحنا، خلافاً للازائيين الثلاثة، لم يلمّح الى حضورهن ابان دفن المسيح.

ومع ذلك، يجب ان نشير الى فرادة الرواية اليوحنانية. انه كالمعتاد يتميز كثيراً عن الازائيين. فكل الاهتمام يتمحور حول مريم المجدلية، وقد ورد اسمها في اول القائمة لدى الازائيين الثلاثة[1]. هل عرف يوحنا مجيء عدة نساء الى القبر؟ هل يجب ان نرى في صيغة الجمع على لسانها **"اخذوا الرب من القبر ولا نعلم اين وضعوه"** أثراً لهذا التقليد؟ هذا ما يعتقده اكثر من اختصاصي[2]. مع ان الامر ليس في منتهى اليقين. اذ ان صيغة الجمع "لا نعلم" قد تقابل، على حد تعبير بولتمان، "اسلوباً في الكلام شائعاً لدى الشرقيين، ويفسَّر من خلال الوعي الذي يحمله كل شخص بانتمائه الى جماعة"[3]. ومهما يكن من امر، فان هذا التركيز على شخص مريم المجدلية سوف يساهم في اضفاء الطابع المأساوي على الرواية. ففي مشهد يتسم بالجمال، نرى مريم تعود الى الظهور، محزونة، شبيهة بعروس نشيد الاناشيد (٣: ١-٤) في بحثها عن سيدها الذي انتزع منها[4].

وخلافاً للازائيين دوماً، لا يوضح يوحنا الغاية من المجيء الى القبر. فبحسب مرقس (١٦: ١) ولوقا (٢٤: ١)، تأتي النساء ليطيبن جسد المسيح. وفي الانجيل الرابع، لم يعد للتطييب من مكان، وكان يوحنا قد وصفه بشكل فخم في خاتمة روايته للآلام (١٩: ٣٨+). واما بشأن مشهد مريم بدموعها عند مدخل القبر (٢٠: ١١+)، فيمكننا القول، مع لوازي، بانها جاءت "لتزور القبر وتبكي"[5]. إلا ان النساء، بحسب متى، فانهن يأتين "لينظرن القبر" (٢٨: ١).

وهناك نقطة اخرى تميز يوحنا: تشخيص مكان القبر. لقد كانت رواية الآلام في الانجيل اليوحناني قد شخصته "في بستان" بالقرب من المكان الذي صُلب فيه يسوع (١٩: ٤١؛ راجع ٢٠: ١٥).

---

(١) انظر أ. دانيس: دفن يسوع والزيارة الى القبر، في مجلة **Gregorianum** (١٩٥٨) (بالفرنسية).

(٢) على سبيل المثال: أ. لوازي: الانجيل الرابع، باريس ١٩٢٢؛ ب. بنوا: مريم المجدلية والتلاميذ عند القبر بحسب يو ٢٠: ١-١٨، برلين ١٩٦٠؛ روايات الآلام والقيامة، باريس ١٩٦٦ (وكلها بالفرنسية).

(٣) انجيل يوحنا، كوتنكن ١٩٥٣ (بالالمانية).

(٤) انظر م. كامب: تأثير نشيد الاناشيد على العهد الجديد، في المجلة التوماوية (١٩٦٢) (بالفرنسية)؛ أ. فيبي: البحث عن المسيح في العهد الجديد في ضوء التجلي المسيحاني في يو ٢٠: ١١-١٨ (باريس ١٩٦٣) (بالفرنسية).

(٥) أ. لوازي: المصدر المذكور.

وهذه النقطة ليست غير ذات معنى في فكر الانجيلي. وعلى كل حال، فان الاهتمام الذي يوليه لقبر الرب ملفت للنظر[٦].

بشأن ساعة مجيء النساء، كانت هناك اشارة عامة -"باكراً" او "باكراً جداً"- مشتركة بين يوحنا (٢٠: ١) ومرقس (١٦: ١). ولنا لدى لوقا "عند الفجر" (٢٤: ١). اما بشأن الوقت المحدد، فهناك ايضاً اختلافات طفيفة: فبحسب متى "انقضى السبت وطلع الفجر" (٢٨: ١)؛ وبحسب مرقس "عند طلوع الشمس" ١٦: ٢)، لا بل "طلعت الشمس" وفق مخطوطات كثيرة. ففي هذا الوقت، وقت الانتقال من الظلمات إلى النور، هوذا يوحنا يشدد على الظلام: جاءت النسوة "**والظلام لم يزل مخيّماً**" (٢٠: ١). ولا بد ان يكون لهذا التنوع في الاشارات سبب لاهوتي. فلدى متى ومرقس، نحن نشهد مسبقاً تصاعد النور الفصحي. اما بالنسبة الى يوحنا، فقد كتب ب. بوييه: "كانت الظلمات ما زالت تغطي الارض حيث استراح من هو الحياة في القبر طيلة السبت. ولكن هناك احساس يفرض نفسه... النور قريب"[٧].

هيذي مريم المجدلية "**ترى الحجر قد ازيل من القبر**". والازائيون الذين هم اكثر وصفاً، يوضحون باجمعهم بان الحجر قد "دُحرج". واستخدم يوحنا فعلاً اكثر غموضاً، ولكنه يخفي في طياته معنى عميقاً كان قد استخدم في رواية إقامة لعازر (١١: ٣٩، ٤١). انه فعل "رفع" (airein) المألوف لديه. فهو يستخدمه في سياقات ذات طابع عقائدي: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم"
(١: ٢٩)؛ وفي مشهد تطهير الهيكل: "ارفعوا هذا من هاهنا!" (٢: ١٦)، كما في مثل الراعي الصالح: "ما من احد ينتزع حياتي مني..." (١٠: ١٨) الخ ... فيوحنا يختار، اذن، الفعل الاكثر وضوحاً والاكثر ايحاءً ليقول أن، في صباح الفصح، ازيلت كل عقبة من امام المسيح: فالحياة والنور ينتصران على الظلمات والموت؛ والحجر رُفع (أُزيل)؛ و"سيد هذا العالم يطرد خارجاً" او "الى اسفل" (١٢: ٣١).

هل رأت مريم المجدلية القبر فارغاً؟ هذا ما لا يوضحه يوحنا. والفعل الذي استخدمه (blepei) يعني بالأولى انها رأت فقط الحجر قد وُضع على جهة[٨]. وهكذا استنتجت اختطاف الرب.

---

(٦) يرى كل من م. كامب (المقال المذكور) وأ. فيبي (المقال المذكور) في التلميح الى "البستان" اشارة الى نشيد الاناشيد. وبحسب أ. لوازي واخرين، يفكّر الانجيلي في بستان عدن (المصدر المذكور)... وبالمعنى المعاكس، يوضح س.ك. بارّيت بانه كان بوسع يوحنا ان يستخدم كلمة "فردوس".

(٧) الانجيل الرابع، تورنيه ١٩٦٥ (بالفرنسية).

(٨) راجع س. تريتس: رؤية يسوع والآب فيه، بحسب انجيل القديس يوحنا، في مجلة Analecta Gregoriana (١٩٦٧) (بالفرنسية)؛ ب. بنوا: المقال المذكور.

"اسرعت وجاءت الى سمعان بطرس والتلميذ الآخر الذي احبه يسوع". ويوحنا لا يتحدث عن المشاعر التي ساورتها. فما هو اكيد، هو انها لا تفكر قط بقيامته.

والكلام الذي توجهه الى بطرس والى "التلميذ الآخر"، لا ينبغي ان نخلطه مع الرسالة الموكلة الى النساء لدى الازائيين -او لدى يوحنا في ما بعد (٢٠: ١٧) والموكلة اليها هي ذاتها- حين تراءى الملائكة او تراءى يسوع نفسه. ولا يعكس هذا الكلام سوى الاضطراب: **"اخذوا الرب من القبر، ولا نعلم اين وضعوه"**. اما بشارة مريم المجدلية الفصحية، فهي من نوع آخر. فهي، على مثال بولس، سوف تقول، "رأيت الرب" (٢٠: ١٨).

اما اقوال مريم المجدلية لبطرس و"للتلميذ الآخر"، فهي من وضع يوحناني: سواء من حيث المفردات ام من حيث الافكار واسلوب التفكير. وهذه الاقوال -وقد كُررت على دفعتين، مع اختلاف بسيط، مرة اولى جواباً على سؤال الملائكة، ومن ثم على سؤال يسوع "لماذا تبكين؟"- تشكّل في المقطع ٢٠: ١-١٨ الجملة المفتاح. فهي تطرح المسألة ذاتها بشأن القبر الفارغ وفق مخطط يوحناني اعتيادي في ما يتعلق باللغز. وهذا اللغز لن يُحَلّ إلا بترائي يسوع القائم.

اما صيغة "لا نعلم..." التي تتعلق بعمل او قول سرّي ليسوع، فهي من خواص الانجيل الرابع. ففي قانا، نرى ان سيد المائدة "لم يكن يعرف من اين اتى الماء المتحول خمراً" (٢: ٩)؛ والسامرية لم تكن تعلم "عطية الله"، ولا من هو الذي قال لها: "أعطيني لأشرب" (٤: ١٠)؛ والمسيح عند بئر يعقوب، كان له "طعام" لم يكن يعرفه تلاميذه (٤: ٣٢). وهيذي مريم المجدلية ترى يسوع واقفاً بجانبها دون ان تعلم انه هو (٢٠: ١٤). ولَكَم أُشير مراراً، إلى المكانة التي تحتلها في الانجيل الرابع مشكلة المكان الذي اتى منه يسوع، او اين هو، وأين سيمضي[٩]. السؤال الاول الذي طرحه تلميذا يوحنا المعمذان في بداية الانجيل كان: "يا معلم اين تقيم؟" (١: ٣٩+)؛ وكذلك السؤال الاول الذي طرحه يسوع على تلميذيه الاولين: "ماذا تريدان؟"، وهو سؤال سوف يُكرِّر في مشهد القبر باتجاه مريم المجدلية: "عمن تبحثين" (٢٠: ١٥). وفي العشاء الاخير، كان توما قد قال ليسوع: "يا رب اننا لا نعرف الى اين تذهب" (١٤: ٥). وهكذا يبدو التشابه مع اشكالية الفصل ٢٠ مدعاة للدهشة. وان السخرية الخافرة التي تختفي لدى الانجيلي وراء كلمات مريم المجدلية من دون علمها، والتناوب في المفردات، وطريقة اللعب في الجملة، بشكل خفي، على مستويين: المستوى المنظور والحسي والمستوى غير المنظور والروحي، والمعنى غير المعلن... كل هذا هو في خط الانجيل الرابع الخاص. والجواب الحقيقي تجاه الاقوال القلقة لدى مريم المجدلية **"لا نعلم اين وضعوه"**، سوف يعطيه يسوع ذاته: "اني صاعد الى ابي وابيكم، والهي والهكم" (٢٠: ١٧). ذلك لأن ما لن تعرفه مريم المجدلية، هو ان "ابن الانسان"، في صباح "اليوم الاول من الاسبوع" بالذات، سوف "يصعد الى

(٩) د. مولّا: ملاحظات بشأن مفردات المساحة في الانجيل الرابع، في **Studia Evangelica** (١٩٥٩) (بالفرنسية).

حيث كان قبلاً" (٦: ٦٢). وهكذا تكون الرواية منذ البداية قد اتخذت، تحت غطاء البساطة، توجهاً لاهوتياً متميزاً.

وان اسراع مريم المجدلية نحو بطرس لتعلن له عن فراغ القبر يمثل، هو الآخر، تقليداً عريقاً جداً. فالاناجيل الاربعة تشهد، لا فقط على دور النساء، وبالاخص مريم المجدلية، صباح القيامة، ولكن ايضاً على المكانة الخاصة جداً التي يتمتع بها بطرس في ولادة الايمان الفصحي[١٠]. وان لوقا ٢٤: ٢٢-٢٤ يؤكد بان النساء جئن ليعلمن التلاميذ بأمر القبر الفارغ، كما ينقل بان "بعضاً" منهم ذهب على الفور ليتحققوا على ارض الواقع من صدقهن. فيما يوضح لوقا ٢٤: ١٢ ان "بطرس قام فأسرع الى القبر وانحنى فلم يرَ إلا اللفائف".

ان اصالة هذه الاية الاخيرة هي موضوع جدل. ويرى كثيرون فيها نتيجة تحوّل جرى في نص يو ٢٠: ٣-٧، ولها معه قربى لا شك فيها. ومع ذلك، فان غياب اية "لمسة" لاهوتية منها، و"الايجاز" الذي اتصفت به هذه الملاحظة، يشفعان، على حد تعبير بيير بنوا، لصالح اصالتها. وهكذا قد ننساق، مع هذا البيبلي الكبير، الى القول بان لوقا استعارها، هو الذي ترك بصماته على التقليد اليوحناني "في مرحلة سبقت مرحلة الانشاء الحالي" للانجيل الرابع[١١]. ففي تلك المرحلة، لم يكن التقليد يتكلم بعدُ عن بطرس و"دهشته". فان النص الحالي للانجيل الرابع يقدم تفاصيل اكثر.

واثر اعلان مريم المجدلية، "اسرع بطرس" وجاء الى القبر؛ **"فدخل القبر فأبصر اللفائف ممدودة والمنديل الذي كان حول رأسه غير ممدود مع اللفائف، بل على شكل طوق خلافاً لها، وكان كل ذلك في مكانه"**. ونجدنا بازاء تحقق واقعي للأمر، لا يصادق فقط على شهادة المجدلية بشأن القبر الفارغ، بل ينفي بالاخص سرقة الجسد على يد كائن من كان، حتى ولو كان "البستاني" (٢٠: ١٥)[١٢]، -وهي النظرية التي طلعت بها مريم- واعتبارها مستحيلة طالما كانت هناك اللفائف الجنائزية مع ترتيبها. ونستشف بسهولة النقطة الجدلية، وهي تشهد على مرحلة من التقليد سُعي فيها الى الاجابة على هجمات اولئك الذين كانوا يتّهمون تلاميذ المسيح بانهم انتشلوا الجسد او لعبوا لعبة سحرية[١٣].

اما بشأن القيمة التاريخية للتقليد المتعلق باكتشاف القبر فارغاً، فهناك اسباب رصينة تحول دون الشك بصحته. اولاً لانه مؤسس على شهادة النساء. ولما كانت الشهادة النسوية لا تحظى

---

(١٠) انظر ف. جيلس: بطرس والايمان بالمسيح القائم، في .E.T.L (١٩٦٢) (بالفرنسية).

(١١) المقالة المذكورة والمصدر المذكور؛ ج. شميت: رواية القيامة في انجيل لوقا، في مجلة العلوم الدينية (١٩٥١) (بالفرنسية) -وهناك مفسرون في اتجاه معاكس، وفي مقدمتهم ج. هارتمان...

(١٢) انظر و. ميشيل، برلين ١٩٦١ (بالالمانية) -اما بصدد اللفائف والمنيل، انظر ب. بنوا: المصدر المذكور.

(١٣) انظر هـ.ف. فون كامبنهوزن، ١٩٥٨ (بالالمانية) وقد اورد نص انجيل الاثني عشر القبطي المنحول: "قال بيلاطس: ايها الرجال الذين يبغضون انفسهم، فلو كانوا قد اخذوا الجسد، لكانوا اخذوا اللفائف ايضاً..."!

بالقبول (راجع لو ٢٤: ١١)، تتفق الاناجيل بان عليها ان تخضع، بشكل او بآخر، لرقابة التلاميذ، وبالاخص لرقابة بطرس. لذا لا نجد لأي هدف تكون الجماعة المسيحية قد ابتدعت هذه الصعوبة، لو لم يكن الواقع قد فرض نفسه. من جهة أخرى، فان الجدال مع خصوم المسيحية لا يبدو انه طال مسألة القبر الذي وُجد فارغاً، وانما طال تفسيرها (راجع متى ٢٧: ٦٢-٦٦). ذلك ان خصوم المسيحيين لم يعارضوا البتة، في الماضي القديم، هذا الواقع الذي بقي التأكد منه، عبر كل التنوع في التقليد الفصحي، حقيقة ثابتة[١٤]. وهذه الحقيقة الثابتة ترجع ولا شك الى اقدم طبقة من التقليد[١٥].

ثانياً: اسرار التلميذين

تحتوي الرواية اليوحنانية، مع ذلك، معطى تختص به: حضور "**التلميذ الآخر**" الى جانب بطرس. وبالحقيقة، يبدو ان هذا الحضور مشار اليه، بشكل ما، لدى لوقا، عبر هذه المفردات الغامضة: "ذهب بعض اصحابنا الى القبر فوجدوا الحال على ما قالت النسوة" (٢٤: ٢٤). وبحسب يوحنا، ووفقاً للعادة المشار اليها اعلاه بصدد مريم المجدلية، نجد هذا المعطى مُشَخَّصًا في وجه تلميذ معيّن.

ان في هذا الطرح الذي يخص هذا التلميذ كثيراً من الالحاح. فلقد جمع الانجيلي في شخص هذا التلميذ تسميتين تبدوان منفصلتين في باقي الانجيل: "التلميذ الآخر" (١٨: ١٥+) و"التلميذ الذي احبه يسوع" (١٣: ٢٣؛ ١٩، ٢٦؛ ٢١: ٧، ٢٠). وطرحت تفسيرات مختلفة بصدد دمج هاتين الصيغتين في ٢٠: ٢. ولما كانت الرواية قد ذكرت "التلميذ الآخر" اربع مرات (٢٠: ٢، ٣، ٤، ٨)، فذلك يتيح لنا التفكير بان الانجيلي اراد، في مرة اولى، ان يماثله بشكل واضح مع "**التلميذ الذي احبه يسوع**": وهو ذاك الذي في العشاء الاخير "كان على المائدة متكئاً الى جانب يسوع"، وكان قد "مال إلى صدر يسوع" ليسأله (١٣: ٢٣، ٢٥؛ راجع ٢١: ٢٠) كما كان على الجلجلة "بالقرب من امه (ام يسوع)" (١٩: ٢٦). وهو ذاته الذي، ابان الصيد العجائبي، سيتعرف على "الرب" (٢١: ٧).

وكما في المشاهد السابقة، كان "التلميذ الآخر" في قصر عظيم الكهنة (١٨: ١٥+)، مرتبطاً ببطرس. واليهما كليهما هرعت مريم المجدلية حين "**جاءت الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر**" (٢٠: ٢). وان تكرار حرف الجر "الى" (pros) قد يشير، اما الى ان التلميذين لم يكونا في الموضع ذاته، وتكون مريم قد ذهبت اليهما منفصلين[١٦]، واما ان يكون ذكر "التلميذ الآخر" غائباً

(١٤) انظر و. نوك (١٩٥٦) (بالالمانية)؛ هـ.ف. فون كامبنهوزن: المقال المذكور.
(١٥) ك.هـ. رينكستورف (١٩٦٧) (بالالمانية).
(١٦) أ. لوازي: المصدر المذكور.

في رواية اولية كانت تتعلق ببطرس وحده، كما هي الحال في لوقا ٢٤: ١٢. وبوسعنا ان نخرج بعين النتيجة بشأن البنية: **"فخرج بطرس، اذن، والتلميذ الآخر"** (٢٠: ٣). وهكذا يكون الحديث اولاً عن بطرس وحده؛ ومن ثم اضيف اليه لاحقاً "التلميذ الآخر".

هوذا بطرس و"التلميذ الآخر"، بعد ان فاجأهما مريم المجدلية، "خرجا اذن" وتوجّها نحو القبر. وهنا تدهشنا صيغة الفعل **"كانا ذاهبين الى القبر"** بعد ان صادفنا فعل الماضي "خرجا". ونجد تبدل افعال الزمان ذاته في ٤: ٣٠ بصدد السامريين وهم في طريقهم نحو بئر يعقوب. وهكذا تصبح هذه الصيغة الحالية بمثابة وصف: انها صيغة ترافق حركة الفعل، وكأنها، على حد تعبير ف. كوديه "ترسم لوحة"[١٧].

"وكانا يسرعان السير معاً"، وقد حرّكهما "الاضطراب"[١٨]، مدفوعين، على مثال مريم المجدلية، "بالحب والاكرام"[١٩].

لماذا تلميذان؟ من المحتمل ان يكون هناك دافعان قد دُمجا: دافع جدلي، كما اشرنا اليه اعلاه، ودافع كنسي[٢٠]. فعلى الصعيد الجدلي، يبدو حضور شاهدين على الاقل، والاتفاق التام بين شهادتهما، ميزتين تنسجمان مع متطلبات الشريعة اليهودية (تث ١٩: ١٥؛ راجع يو ٥: ٣١+؛ ١٨: ١٣+، ١٧)[٢١]. ومع ذلك، فان الدافع الكنسي، من دون اي شك، هو الذي تغلّب في الرواية اليوحنانية، الى حد انه ألغى الدافع الآخر. واذا كنا نستشف الدافع الجدلي، الا ان يوحنا يتوجه الى الجماعة المسيحية المؤمنة التي من اجلها اراد ان يحدد الدور الذي لعبه بطرس، ومن ثم التلميذ الذي احبه يسوع، في تأسيس الايمان الفصحي. فالانجيلي يهتم، والجماعة معه، بأن يضع التلميذين، ازاء واقع القبر الفارغ، الواحد تجاه الآخر. وإلا سيبدو الانتباه الذي اولاه الراوي لأدق التفاصيل والحركات من دون تفسير.

"ولكن التلميذ الآخر سبق بطرس، فوصل قبله الى القبر وانحنى فابصر اللفائف ممدودة. ولكنه لم يدخل. ثم وصل سمعان بطرس وكان يتبعه فدخل القبر فابصر اللفائف ممدودة والمنديل...". هذا الترتيب في الكلمات، كما في مشهد تغسيل الارجل (١٣: ٤+)، وهذا التناوب في استخدام بعض صيغ الافعال يؤديان جيداً حركة الحياة ذاتها. الا ان اهتمام الانجيلي يتجه نحو تصرف التلميذ الذي احبه يسوع. فهو الذي وصل الاول.

---

(١٧) تفسير انجيل القديس يوحنا، ج٣، نيشاتيل ١٨٨٥ (بالفرنسية).
(١٨) أ. لوازي: المصدر المذكور.
(١٩) هـ. كراس، كوتنكن ١٩٦٢ (بالالمانية).
(٢٠) و. نوك: المقال المذكور.
(٢١) انظر هـ. فان فلييت، اوترخت ١٩٥٨ (بالانكليزية)؛ هـ. رينكستورف: المصدر المذكور؛ و. ميشيل: المقال المذكور.

لماذا سبق بطرس؟ ألانه اكثر شباباً واكثر خفّة؟ هكذا فسّر لاكرانج وآخرون كثيرون. إلا ان التفسير الاصح يجب ان نبحث عنه بالاحرى في لقب التلميذ. فاذا كان قد ركض بسرعة اكبر، واذا كان قد وصل هو الاول، فلأنه "التلميذ الذي يحبه يسوع"، وبهذا اللقب عينه كان متكئاً "الى جانب يسوع" في العشاء، و"إلى جانب امه" على الجلجلة، وهو الذي سيتعرف اولاً على "الرب" ابان الصيد العجائبي. وقد يكون هو ذاته مشخَّصاً في التلميذ الذي، هو الاول، مع اندراوس، اخذ يسير وراء حمل الله (١: ٣٧).

ولما كان قد وصل هو الاول، فقد تحقق بلمحة بصر ان اللفائف كانت ممدودة. مع انه لم يدخل الى القبر الا لدى وصول بطرس، ومن بعده. لذا يحرص الانجيلي كثيراً على تكرار عبارة "**انه وصل الاول الى القبر**". ما معنى هذا الامّحاء ازاء بطرس؟ هل بدافع التقدير؟ هل بدافع الاحترام للمكانة الاولى التي يحتلها بطرس في الجماعة[٢٢]؟ لا شك في ذلك. ولكن قد يتوجب علينا ايضاً ان نرى هنا اثراً من التقليد يشهد له لوقا ٢٤: ١٢ —وهو الذي لم يذكر سوى بطرس في مشهد الاسراع نحو القبر. وهكذا فان الرواية اليوحنانية، احتراماً لكرامة بطرس وللمعطى التقليدي، سلطت الضوء على استحقاق او بالاحرى على امتياز التلميذ الذي احبه يسوع. فبالنسبة الى الكنائس اليوحنانية التي توجّه اليها الانجيل، كان ذلك امراً هاماً. والتفسير الذي بموجبه يكون بطرس و"التلميذ الآخر" يمثلان، كل من جهته، الكنائس اليهودية- المسيحية والوثنية المسيحية[٢٣]، لا اساس له في النص.

ثالثاً: "رأى وآمن"

ما ان دخل التلميذ الذي احبه يسوع القبر، "**رأى**" ما كان بطرس يتفحصه، وما كان هو ذاته قد "**لمحه**" حين وصل: ذلك ان وجود اللفائف والترتيب الذي كان سائداً في القبر ينفيان فرضية انتشال الجسد. لذا فقد "**آمن**".

ويعتقد بعضهم ان هذه الصيغة تعادل "اقتنع"، وان اقتناعه يؤيد اقوال مريم المجدلية؛ واقتناعه بانها قالت الحق، يجعله يضيف ايمانه الى اقوالها[٢٤]. مثل هذا التفسير لا يبدو مقنعاً. اولاً، لانه لا يأخذ بعين الاعتبار القوة المتضمنة في صيغة "راى وآمن" لدى القديس يوحنا[٢٥]. وبالاكثر، لانه

(٢٢) انظر ب. بنوا: المقال المذكور؛ المصدر المذكور.

(٢٣) ا. لوازي: المصدر المذكور. ر. بولتمان: المصدر المذكور.

(٢٤) هكذا يقول و. نوك: المقال المذكور.

(٢٥) انظر س. تراتس: المصدر المذكور. و. كولمان: حياة يسوع، موضوع "رؤية" و"ايمان" بحسب الانجيل الرابع، نوشاتيل ١٩٥٠ (بالفرنسية).

تفسير يناقضه السياق. ومريم المجدلية، في الواقع، لم تقل ان الرب لم يعد هنا حسب، وانما اكدت انه "أُخذ". لذا فان وجود اللفائف والمنديل ينفي ذلك. واخيراً، يُضعِف هذا التفسير، الى حد كبير، حقيقة امتداح الايمان الفصحي لدى التلميذ الذي احبه يسوع، اذا ما حجمناه الى شبه وفاق مع اقوال مريم المجدلية. ذلك ان التلميذ الذي احبه يسوع، لدى رؤيته القبر فارغاً، واللفائف والمنديل، آمن ان يسوع قد أُقيم من الموت.

وماذا عن بطرس؟ لا يقول عنه الانجيل شيئاً. وهوذا لوقا ٢٤: ١٢ يرينا اياه وقد عاد الى بيته "متعجباً". ويعتقد عدد كبير من المفسرين بان بطرس، في فكر الانجيلي، يكون قد "آمن" ولا ريب هو ايضاً[٢٦]. وقد يمكننا ان نستنتج ذلك من الجملة التالية التي هي في صيغة المثنى: **"لانهما لم يكونا قد فهما ما ورد في الكتاب من انه يجب ان يقوم من بين الاموات"**. اما في نظر آخرين[٢٧]، فقد يبدو اكثر احتمالاً ان الانجيلي، فيما تابع مديحه للتلميذ الذي احبه يسوع، عظّم اندفاع ايمانه بالمقارنة مع بطء ايمان بطرس: فلما كان قد وصل، هو الاول، الى القبر، هكذا يكون قد ارتقى، هو الاول، الى الايمان الفصحي، وذلك بسبب هذا الحب المميز عينه الذي كان هو موضوعه. ويبدو من الاصح ان نقول، مع الاب لاكرانج، بان "النص لا يتحدث عن بطرس... وانما التلميذ يتكلم من اجله؛ لأنه علم ما حدث في قلبه..."[٢٨].

ويضيف الانجيلي: **"لانهما لم يكونا قد فهما ما ورد في الكتاب من انه يجب ان يقوم من بين الاموات"**. ونعود هنا لنجد، كما في الاية ٢، موضوع عدم الفهم. والفعل المستخدم في الحالتين (oida) يعبّر عن ما يسميه ب. دي لابوتري، وبحق، "ذلك النوع من عدم القدرة البشرية للولوج الى الاسرار الالهية"[٢٩]. فمريم المجدلية لم تكن تعلم اين وضعوا الرب، والتلميذان لم يكونا يعلمان ما قالته الاسفار المقدسة عنه: "فلم يكونا بعدُ قد فهما شيئاً من الكتب المقدسة"[٣٠] التي كانت تنبئ بقيامته.

"الكتاب" بالمفرد يعني دوماً، لدى يوحنا، نصًّا معيناً من العهد القديم، ويورد المقطع المقصود. اما هنا، فالمرجع غامض: هل هو مز ١٦: ٨-١١؟ ام اش ٥٣: ١٠؟ هذا ما لا يحدده

---

(٢٦) هكذا يقول ر. بولتمان: المصدر المذكور.

(٢٧) ب. بنوا: المقال المذكور: "ان حركة مشاهد الاسراع والدخول الى القبر... تشير من طرف خفي، الى التفوق النسبي لبطرس في الكرامة، وتفوق الاخر في العمق الروحي".

(٢٨) الانجيل بحسب القديس يوحنا، باريس ١٩٢٥ (بالفرنسية)- يعتقد ج. شميت (المقال المذكور) ان الانجيلي، "كان يعلم بشكوك الرسول (بطرس)، فسكت عنها لكي لا يضع ايمانه الناشئ في تضاد معها... ويُفهم صمتُه ويُفسَّر، على الاكثر، من خلال شعور بالرقة تجاه رئيس الاثني عشر".

(٢٩) شكلان من المعرفة في الانجيل الرابع، في Studia Biblica et Orientalia، روما ١٩٥٩ (بالفرنسية).

(٣٠) المصدر السابق.

الانجيلي. فهو انما اراد ان يشدد على عدم استعداد التلاميذ للوحي الفصحي. فاذا كان التلميذ الذي احبه يسوع قد آمن، فلأنه رأى القبر الفارغ واللفائف ممدودة.

في مرحلة سابقة من التقليد، من المحتمل ان هذا التلميح الى جهل الكتاب كان يُستخدم لشرح تردد بطرس. اما في الانجيل الحالي، فهو ينطبق على التلميذين، وليس ذلك من دون معنى. ولكي ندرك ابعاد هذا التلميح، علينا ان ندرج من جديد هذا المقطع في مجمل الفصل ٢٠ الذي يشكل وحدة تامة، وتسيطر عليه صيغة "رأى وآمن". فهذه الصيغة لا تختم فقط مقطع القبر الفارغ "**رأى وآمن**" (٢٠: ٨)، وانما، وبطريقة معكوسة، تختم ايضاً مشهد عدم ايمان توما: "لأنك رايتني آمنت، طوبى للذين يؤمنون ولم يروا" (٢٠: ٢٩). وهكذا تصبح الجملتان بمثابة خلاصة للطرفين الاقصيين من الفصل. وبين الاقصيين يندرج، بمثابة ملحق، مشهد الترائيات حيث يختَم الاول بكلمات مريم المجدلية: "رايت الرب" (٢٠: ١٨)، ويختَم الثاني بكلمات التلاميذ لتوما: "رأينا الرب" (٢٠: ٢٥). وهكذا نجد هنا لحمة كاملة.

والصيغتان القصويين، بالرغم من تضادهما الظاهر، تلتقيان في مفارقة مشتركة مع المشهدين الوسطين حيث "نرى الرب". ففي "الطوبى" (٢٠: ٢٩) يعلَن الانسان سعيداً بمقدار ما يؤمن بالرب القائم، على ايمان شهود رسميين، دون ان يكون قد رآه بعينيه؛ وفي مشهد القبر الفارغ، لا شك ان التلميذ الذي احبه يسوع قد "رأى". لقد رأى القبر فارغاً واللفائف والمنديل؛ وكانت له النعمة والحظوة في ان يفهم معناها، هو الاول. ذلك ان حدسه المتحفز كالبرق اوحى له بان الرب حي، وفي ذلك يكمن مجده. الا ان ملاحظة الاية ٩ تهدف إلى التشديد، وفق ما يشرحه بحق الاب لاكرامنج، من بعد لوازي، الى ان التلاميذ "لو فهموا الاسفار المقدسة، لكان يوحنا آمن دون الحاجة الى التحقق[٣١].

وهكذا نجدنا في هذين المقطعين المتوازيين قد أُرجعنا الى القاعدتين الاساسيتين للايمان الفصحي: الكتاب الذي يكشف عن مخطط الله؛ والشهادة الرسولية التي، فيما تستند الى خبرة القبر الفارغ والترائيات، تؤكد تحقيقها في يسوع-المسيح، ابن الله (٢٠: ٣٠+؛ ١ يو ١: ١+). والايمان الفصحي، حتى وان تأسس على خبرة الترائيات، لا يبلغ كماله وحقيقته التامة الا حين يكتمل ويُختَم في فهم لمخطط الله الموحى في الكتب. ولذلك، تحمل اعترافات الايمان المسيحي القديمة جداً هذه اللازمة: "... كما في الكتب" (١ قور ١٥: ٣+)؛ ويسوع نفسه، على طريق عماوس "بدأ من موسى وجميع الانبياء، يفسر (للتلميذين) في كل الكتب، ما يختص به" (لو ٢٤: ٢٧، ٣٢). وهذا

(٣١) المصدر المذكور. والمنحى عينه يتبناه ج. هارتمان (المقال المذكور)، ولكنه ينظر الى الاية ٩ بصفتها "جملة معترضة غير موفقة" كانت اصلاً مرتبطة بسياق آخر.

الفهم للمخطط الالهي، هو الذي يستبقه، منذ المؤشر الاول، حدس التلميذ الذي احبه يسوع. فبالنسبة إليه، حتى وان لم يكن قد عاين الرب بعدُ، فان مخطط الله ينكشف ويتحقق في تطويبة الايمان.

ترائي القائم وموهبة الروح

(يوحنا ٢٠: ١٩-٢٣)

بقلم دوناسيان مولاّ
(Donatien Mollat)

[19] وفي مَساءِ ذلك اليَومِ،
يومِ الأحد، كانَ
التّلاميذُ في دارٍ أُغلِقَتْ
أبوابُها خَوفاً مِنَ اليَهود،
فجاءَ يسوعُ ووَقَفَ بَينَهم
وقالَ لَهم: "السَّلامُ
علَيكم"!

[20] قالَ ذلك، وأَراهم يَدَيهِ
وجَنبَه ففَرِحَ التّلاميذُ
لِمُشاهَدَتِهم الرَّبّ.

[21] فقالَ لَهم ثانِيَةً: "السَّلامُ
علَيكم! كما أَرسَلَني
الآب أُرسِلُكم أَنا
أَيضاً".

[22] قالَ هذا ونَفَخَ فيهم
وقالَ لَهم: "خُذوا الرُّوحَ
القُدُس.

[23] مَن غَفَرتُم لَهم خَطاياهم
تُغفَرُ لَهم، ومَن
أَمسَكتُم عليهمِ الغُفْران
يُمسَكُ علَيهم".

(يوحنا ٢٠: ١٩-٢٣)

ترائي القائم وموهبة الروح

(يوحنا ٢٠: ١٩-٢٣)

بقلم دوناسيان مولاّ

ان رواية ترائي يسوع القائم للتلاميذ، عشية القيامة، تأتي لتكمل، في الانجيل الرابع، مشهد الترائي لمريم المجدلية. وهي تتواصل، من جهة اخرى، في مشهد الترائي للتلاميذ بحضور توما. انها، بين هذين المشهدين، تشكل وحدة مستقلة، تقابل في معناها الاساسي، مشهد ترائي يسوع للأحد عشر على جبل الجليل في متى ٢٨: ١٦-٢٠، وللترائي في اورشليم في لو ٢٤: ٣٦-٤٩. هذه الرواية القصيرة (يو ٢٠: ١٩-٢٣) -وهي التي حفظها الطقس اللاتيني لأحد العنصرة- تطرح اكثر من مشكلة. وسوف ننكب هنا على بعض هذه المشاكل لا غير.

اولا: بنية النص

تتألف الرواية من مشهدين متوازيين

في الاول (آ ١٩-٢٠) هناك بضع كلمات بمثابة مقدمة تدرج الحدث في الزمن والمكان، وتشير الى الحالة النفسية للتلاميذ. هوذا يسوع يأتي ويتلفظ بامنية سلام. ومن ثم، هناك صيغة انتقالية (**"قال هذا"**) تقدّم الحدث الكبير: يسوع يُري يديه وجنبه. والتلاميذ امتلأوا فرحاً برؤية الرب.

وننتقل الى المشهد الثاني (آ ٢١-٢٣)، عبر صيغة انشائية (**"قال لهم يسوع ثانية"**) بوسعها ان تكون مؤشراً الى رواية من مصدر آخر. فيسوع يجدد تحية السلام وينطق بكلمة تدل على ارسال التلاميذ في بعثة: **"كما ارسلني الآب ارسلكم انا ايضاً"**. حينئذ تعود الصيغة الانتقالية ("قال هذا") التي، كما في المشهد الاول، تشير الى الانتقال الى الحدث الكبير: يسوع ينفخ في وجه تلاميذه ويقول: **"خذوا الروح القدس"**. وتنتهي الرواية بالكلمة التي تمنحهم سلطان مغفرة الخطايا او امساكها: **"من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن امسكتم عليهم الغفران يُمسَك عليهم"**.

والمخطط التالي يُظهر بوضوح التوازي بين المشهدين

الآيات ١٩-٢٠	**الآيات ٢١-٢٣**
١. في مساء ذلك اليوم، الاول من الاسبوع، كان التلاميذ في دار اقفلت ابوابها خوفاً من اليهود	**١. (الاطار ذاته)**
فجاء يسوع ووقف بينهم	**يسوع**
وقال لهم: السلام عليكم!	**قال لهم ثانية: السلام عليكم!**
٢. قال ذلك	**٢. قال ذلك**
٣. وأراهم يديه وجنبه	**٣. ونفخ (فيهم) وقال لهم: خذوا الروح القدس**
٤. ففرح التلاميذ لمشاهدتهم الرب	**٤. من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم؛ ومن امسكتم عليهم الغفران يُمسَك عليهم**

في هذا المخطط نكتشف الشكلين من الترائي الفصحي، وقد عُرضا عبر مشهدين متوازيين. تراءٍ للتعرف: يسوع يأتي نحو تلاميذه، فما ان عرفوه حتى امتلأوا فرحاً؛ وتراءٍ من اجل الرسالة:

يسوع القائم يسلّم تلاميذه مهمة مواصلة عمله على الارض. فكما في متى ٢٨: ١٦-٢٠، ولا سيما في لو ٢٤ :٣٦-٤٩، نرى ان الترائيين متحدين في حدث واحد.

فمن مشهد الى مشهد آخر، لسنا بصدد تواصل حسب، وانما بازاء تقدّم. ففي المشهد الاول، ينتقل التلاميذ من الخوف من اليهود، الى فرح مشاهدة الرب؛ وفي المشهد الثاني، يتم الانتقال من السلام الذي استُعيد، الى بعثة للرسالة بكلمة المسيح الذي أنعشهم بنفحة الروح القدس الخلاّقة.

وتجدر الاشارة الى طابع "مركزية" المسيح في كل الرواية. فالمبادرة تعود برمتها الى يسوع. وكل الحركة والعمل يأتيان منه. فهو الذي **"يأتي"**. وهو الذي **"يُري"** جروح آلامه، بصفتها شهادة لانتصاره على الموت. والتلاميذ يفرحون **"برؤيته"**. انه يعطيهم السلام؛ ويعهد اليهم بالرسالة؛ وينفخ فيهم الروح القدس؛ ومن هؤلاء الرجال الخائفين جعل منهم، بكلمته، "جند الصِدام"، وارسلهم الى العالم، متسلحين بالسلطان على قهر قوة الخطيئة.

اما مشاعر التلاميذ، من خوف وفرح، فقد ذكرت بشكل خفر، بخلاف لوقا الذي ركّز عليهم كل القسم الاول من روايته. وموضوع عدم الايمان ظل تحت السكت؛ ولن يتم التوسع فيه الا في المشهد التالي، بصدد شك توما. وهكذا تكشف بنية الرواية ذاتها عن توجهها المهيمن. فهي، على مثال الانجيل برمته، مركزة على كشف شخص يسوع.

ثانيا: مشهد التعرف (آ ١٩-٢٠)

الاطار الزمني: **"في المساء"**. والصيغة اليونانية توحي بان الحدث جرى خلال السهرة، او حتى، بحسب هوسكينس، على سبيل المثال، في المساء المتأخر[١]. وصيغة **"ذلك اليوم"** -وقد تكون أُضيفت على نص أولي اكثر ايجازاً- توضح باننا بصدد اليوم ذاته الذي فيه اكتُشف القبر فارغاً (آ ١-١٠)، وفيه جرى ترائي يسوع لمريم المجدلية (آ ١١-١٨). وان عبارة **"اليوم الاول من الاسبوع"** التي سبق ان استخدمت في رواية زيارة القبر، تشدد على وحدة الزمن.

اما المكان، فقد حُدد بطريقة هي في منتهى الغموض، عبر الصيغة **"حيث كان التلاميذ"**[٢]. ويشير سياق الفصل الى اننا بصدد اورشليم. ولا يتوقف الانجيلي عند التوضيح الطوبوغرافي بقدر ما يتوقف عند حدث من مستوى نفسي وادبي، لا بل لاهوتي. فما يهمه بالاكثر هو ان **"الابواب**

(١) الانجيل الرابع، لندن ١٩٤٧ (بالانكليزية).

(٢) يضيف بعض شواهد النص كلمة: "مجتمعين".

كانت مغلقة" حيث كان التلاميذ، "**خوفاً من اليهود**". ولدينا هنا تحديد وصفي، لا جغرافي: يسوع سيأتي الى حيث كان التلاميذ الخائفون مختبئين في اعقاب احداث الالام.

فأنْ يشار، بحسب اكثر من مؤلف، الى ان التلاميذ كانوا خائفين من اليهود، فتلك اشارة ادبية لا غير، وليس لها اية قيمة تاريخية، اذ ان الفكرة التي بموجبها هم في خطر لا تستند إلى شيء[٣]. وبحسب رأي آخر، يبين الانجيلي كم ان التلاميذ لم يكن لهم استعداد للاعتقاد بخاتمة سعيدة بشأن موت يسوع[٤]. وفي الواقع، فان هذه الاشارة، في الانجيل الرابع، تواصل موضوع الخوف (phobos) الذي سبّبه "**اليهود**" او "**العالم**" لدى التلاميذ او لدى اصدقاء يسوع (٧: ١٣؛ ١٩: ٣٨؛ راجع ١٢: ١٥؛ ١٩: ٨). وهذا الخوف، ساعة القيامة، تقابله حالة التلاميذ اثناء العشاء الاخير (١٤: ١، ٢٧؛ ١٦: ٣٢)، عبر انباءات يسوع في خطابات الوداع (١٥: ١٨-١٦: ٤).

اما بشأن "الابواب المقفلة"، فهذا التفصيل الذي ينفرد به يوحنا يهدف بالاكثر الى احاطة مجيء يسوع بالطابع الفائق. ويكفي ان نلاحظ مكان العبارة في الجملة: في الرأس، من بعد التحديدات الزمنية، وقبل الاشارة الغامضة الى المكان. فضلاً عن انها تعود، في آ ٢٦، من دون الشرح "**خوفاً من اليهود**". فان النص يقول فقط: "**جاء يسوع والابواب مغلقة**". فمن الواضح في فكر الانجيلي ان هذا الحدث يكشف عن الطريقة الفائقة لحضور يسوع القائم.

اما عبارة "**جاء يسوع**"، فينفرد بها الانجيل الرابع. انها غائبة عن لوقا (٢٤: ٣٨)، ولكنها اساسية لدى يوحنا الذي يقدّم الترائي بصفته **مجيئاً** للمسيح. ففي الآية ٢٤، يوجز هذا "**المجيء**" الحدث بما فيه من خصوصية: "**وتوما لم يكن معهم حين جاء يسوع**". ونجدها بعينها —وهذا امر غريب— في ٢١: ١٣، لدى الحديث عن مشهد الغداء على ضفاف البحيرة: يسوع هنا، في وسط التلاميذ. ومع ذلك، كتب الانجيلي: "**جاء يسوع** واخذ الخبز". فهذه العبارة، يبدو انها جزء من المفردات اليوحنانية في روايات الترائي. وكما سنراه ادناه، قد يكون لها اصل ليتورجي.

"**ووقف في الوسط**" (في وسطهم). ويلتقي لوقا ويوحنا بشكل يكاد يكون تاماً في روايتهما هذا الحدث. وفجأة نرى يسوع هناك، واقفاً، بين تلاميذه. ونرى ان دهشة التلاميذ لدى لوقا مشدّد عليها كثيراً: "فيما كانوا يتحدثون..."، اي في قلب محادثتهم، يحضر يسوع. اما يوحنا، فحين يستخدم صيغة "**جاء يسوع**"، فهو انما يجتذب ويلفت انتباهنا بالاكثر الى شخص المسيح الآتي "والابواب مقفلة".

"**وقال لهم: السلام عليكم!**". في الانجيل الرابع نجد موضوع السلام (eirênê) مرتبطاً بالتضاد مع موضوع الخوف (phobos)، وهو ذاته مرتبط، كما سبق ان قلنا، بموضوع عدم الايمان.

---

(٣) ر. بولتمان: انجيل يوحنا، كوتنكن ١٩٥٣ (بالالمانية).

(٤) ك. هـ. رينكستورف، ١٩٥٢ (بالالمانية).

وهكذا هي الحال في خطابات الوداع (١٤: ٢٧؛ ١٦: ٣٣). فيسوع القائم **يأتي** ليبدد، بحضوره، الاضطراب الذي اثاره لدى تلاميذه ذهابه، إذ تركهم "**يتامى**" (١٤: ١٨+)[٥] ومعرّضين، دون مقاومة، لحقد العالم (١٥: ١٨+). ففي هذه الرؤية اليوحنانية، تتشح كلمة **سلام** بمعنى ذي اتساع، مساوٍ لاتساعها في خطابات العشاء الاخير[٦].

"**قال ذلك**". وهكذا يواصل القديس يوحنا. فهذه الصيغة الانتقالية هي بمثابة مقدمة، كما قلنا اعلاه، للحدث الكبير في الرواية، وبمثابة تتمة ونتيجة للكلمات التي قيلت. فيسوع تمنى لتوّه السلام لتلاميذه. **قال ذلك**، واستناداً الى هذا التمني، **أراهم يديه وجنبه**.

ويوحنا، خلافاً للوقا، لا يشرح، لا سبب حركة يسوع هذه ولا معناها. اما لدى لوقا، فان هذه الحركة تهدف الى تبديد شكوك التلاميذ المتعلقة بحقيقة الترائي. والنبرة هي دفاعية ولا شك: "**انظروا... الروح ليس له لحم ولا عظم...**" (لو ٢٤: ٣٩). إلا ان لرواية يوحنا توجّهاً لاهوتياً. ذلك ان يسوع يقوم بوحي. انه يُري لتلاميذه يديه وجنبه، لا لكي يترع عنهم كل خوف، كونهم ضحايا شبح، وانما، بشكل ايجابي، لكي، اذا ما اكتشفوا في جسده آثار الآلام، "**يرون**" فيه "**الرب**" (١٣: ١٣)، وهكذا يصبح فرحهم كاملاً (راجع ١٧: ١٣).

ذلك يوافق الاستخدام اليوحناني لفعل "**أرى**" في حالة العمل، وفاعله يسوع. فان له دوماً قيمة وحي. وهكذا، فمنذ بداية الانجيل، كان اليهود يطالبون يسوع ان "**يريهم علامة**" تبرّر تصرّفه ضد باعة الهيكل. وكان قد اوضح حينذاك بانه لن يريهم سوى علامة جسده القائم، الهيكل الجديد (٢: ١٨-٢٢؛ راجع ٥: ٢٠؛ ١٠: ٣٢؛ ١٤: ٨+).

وبالفعل، فان حركة يسوع، وهو يُري تلاميذه يديه وجنبه، تمثّل معنى معقداً. كما لو ان يسوع يقول لهم: "كونوا في سلام. انا هو". فكما في مشهد السير على البحر (٦: ٢٠)، وكما في لو ٢٤: ٣٩، فان يسوع يدعهم يعرفونه. وآثار جراح آلامه تثبت هويته. ولكن، فيما كان التشديد لدى لوقا على الواقع الحسي للجسد القائم، نرى التشديد، في يوحنا، يتجه بالاحرى نحو الصلة التي توحّد بين القائم اليوم وبين مصلوب الأمس. انه يسوع نفسه.

لدينا هنا في نظر يوحنا واقع لاهوتي ذو اهمية عظمى. فالمخلص، بالنسبة له، هو الانسان يسوع الذي ثُقبت يداه بالمسامير (آ ٢٥)[٧] وفُتح جنبه بحربة الجندي (١٩: ٣٤)، الانسان يسوع الذي "**اتى بالماء والدم**" (١ يو ٥: ٦)، والذي "**مات وها هو حي ابد الدهور**" (رؤ ١: ١٨).

---

(٥) في ١٤: ١٨+ اعلن يسوع للتلاميذ انه لن يدعهم (بالمستقبل) في هذا الوضع. فسوف يعود اليهم.

(٦) ر. بولتمان: المصدر المذكور؛ ج. أ. بيلي: التقاليد المشتركة بين انجيلي لوقا ويوحنا، ليدن ١٩٦٣ (بالانكليزية)؛ هـ. فان دين بوش: يوحنا، ديكليه دي بروير ١٩٦٧ (بالفرنسية).

(٧) يوحنا هو الانجيلي الوحيد الذي يذكر المسامير.

وكما أجاد في القول ه. فان دين بوش: "القيامة تفترض الصليب. ولا يمكن للصليب ان يُحذف او يُنكر وكأنه حلم مزعج... فالسلام (الذي يحمله يسوع الى التلاميذ في مساء القيامة) يُدرج آثار "الآلام"[٨].

وتترسخ الرغبة في الجمع بين القائم ومصلوب الجلجة بشكل خاص في ذكر جرح الجنب. وينفرد به بيوحنا. بينما لوقا لا يتحدث سوى عن يدي المسيح ورجليه[٩]. وذلك يُفسَّر طالما ان يوحنا هو وحده الذي اورد مشهد ضربة الحربة. الا ان ذكر الجنب يضفي على الحدث، في الانجيل الرابع، عمقاً خاصاً جداً. ونحن نعلم المدى الرمزي والمعنى اللاهوتي لمشهد الطعن (١٩: ٣٤-٣٧). فهو، في نظر الانجيلي، يعني ان يسوع قد مات على مثال خادم الله، حمل الفصح الجديد، المذبوح لاجل خلاص العالم. وهكذا بدا يسوع لتلاميذه في مساء قيامته. فمن جنب الحمل المفتوح بطعنة الجندي تفجّر دم وماء، هما رمزان لموهبة الروح وللعمل الفدائي: الكنيسة والاسرار (راجع ١ يو٥: ٧+). فلكي يمنح يسوع هذه العطايا جاء الى اخصائه.

"وفرح التلاميذ لمشاهدتهم الرب". كان يوحنا المعمذان، في بداية الانجيل، قد فرح حين **سمع صوت العريس** (٣: ٢٩). والتلاميذ، مساء القيامة، يفرحون **لمشاهدتهم الرب**. فلسنا بصدد رؤية حسية مادية، على مثال رؤية يوحنا المعمذان، وانما نحن بازاء رؤية ايمان[١٠]. والرؤية التالية (آ ٢٤-٢٩) تشير الى ذلك بشكل بديهي. فصيغة **"رأيت الرب"** التي استخدمتها مريم المجدلية (آ ١٨) وكررها من ثم التلاميذ (آ ٢٥) تسير بنا الى صرخة توما: **"ربي والهي!"**، وقد فسّرها يسوع في تعليم حول الايمان.

ويستند فرح التلاميذ على الايمان بحضور الرب (١٣: ١٣+) الحي، المعترف به بصفته مصلوب الامس. وان اجتياح هذا الفرح، لدى لوقا، هو من القوة بحيث يضع، بالمفارقة، عقبة بوجه التعبير الايماني (لو ٢٤: ٤١). اما لدى يوحنا، فكل شيء يبدو واضحاً. فلا تردُّدَ البتة يذكر. فمن قلب التلاميذ يرتفع السلام والفرح، وهما علامة المعثرة التي غُلبت (٦: ٦١). وعلى مشهد التأمل في الرب القائم، ينتهي القسم الاول من الرواية.

---

(٨) المصدر المذكور.

(٩) بشأن الهال لو ٢٤: ٤٠ من النص الغربي ومن اغلب الشواهد في الترجمة اللاتينية القديمة، راجع أ. جورج: روايات الترائيات للأحد عشر اعتباراً من لو ٢٤: ٣٦-٥٣، في: قيامة المسيح والتفسير العصري (سلسلة **Lectio Divina**)، باريس ١٩٦٩ (بالفرنسية).

(١٠) س. تريتس: رؤية يسوع والآب فيه بحسب انجيل القديس يوحنا، في **Analecta Gregoriana**، ١٩٦٧ (بالفرنسية)؛ ويشير ه. شليي الى ان معنى "رأى" يتجه نحو فعل "خَبَرَ"... فأن نرى القائم"، معناه ان "نسمعه" وان "نقبله" وان "نشترك معه شخصياً".

ثالثا: البعثة للرسالة وموهبة الروح (آ ٢١-٢٣)

"**قال لهم يسوع ثانية: السلام عليكم!**". قد تكون هذه الصيغة الادبية الانتقالية، كما قلنا اعلاه، مؤشراً للعبور الى رواية من اصل مختلف. لا سيما وأنّ يوحنا، حين وصف هذا المشهد الجديد، ابتعد كثيراً من لوقا، وبشكل ملحوظ، اكثر من ابتعاده عنه في المشهد السابق. فضلاً عن اننا لا نرى لماذا يكرر يسوع السلام: "السلام عليكم!"، في الوقت الذي لم يقل معه اية كلمة، ولم يُسجَّل لدى التلاميذ اي رد فعل، باستثناء فرحهم بمشاهدة الرب.

وصيغة البعثة الى الرسالة: "**كما ارسلني الآب، ارسلكم انا ايضاً**" هي ولا شك من اسلوب يوحناني واضح، سواء على صعيد البنية اللغوية والمفردات، ام على صعيد الرؤية اللاهوتية. وان تقديم يسوع بصفته "**مرسَل الآب**" هو في القلب من كريستولوجيا القديس يوحنا. وبالاضافة الى ذلك، هناك تواز بين عمل الآب تجاه يسوع، وعمل يسوع تجاه تلاميذه، أُفصِحَ عنه بعبارة: "كما الآب... كذلك انا..."، وقد تكررت اكثر من مرة في الانجيل الرابع: كما يحيا يسوع بالآب الذي ارسله، هكذا الذي يأكله يحيا به (٦: ٥٧)؛ كما يعرفه الآب وهو يعرف الآب، كذلك يعرف خرافه، وخرافه تعرفه (١٠: ١٥)؛ كما احبه الآب، هكذا أحب خاصته (١٥: ٩). والصيغة الارسالية في ٢٠: ٢١ تكاد تكون هي ذاتها في الصلاة الكهنوتية: "**كما ارسلتني الى العالم، انا ايضاً ارسلتهم الى العالم**" (١٧: ١٨). وان قوة هذا التوازي لدى القديس يوحنا، لطالما شُدِّد عليه مرات عديدة. وهو يعني اكثر من تشبيه: فيسوع لا يقارن فقط بين حقيقتين، وانما يُشرك تلاميذه في الحياة التي تلقاها من الآب، وفي رباط المعرفة المتبادلة التي توحّده مع الآب، وفي حب الآب له، وفي الرسالة التي تلقاها من الآب[11].

فيسوع لم يحدد هنا، لا لفظة رسالة ولا موضوعها. وان فعل "**ارسل**" مستخدم في المطلق، من دون مفعول به. الا ان نص الصلاة الكهنوتية، من بين نصوص اخرى، يقصد بوضوح **العالم**، بصفته غاية هذه الرسالة. فالى العالم، كما كان يسوع قد أُرسِل، يُرسَل التلاميذ.

اما بشأن موضوع الرسالة، فهناك نصوص يوحنانية كثيرة تتيح لنا ان نوضحه: سيترتب على التلاميذ، على مثال يسوع، ان يكملوا "**ارادة**" الآب ويواصلوا "**العمل**" الذي وضعه الآب بين يديه (٣: ٣٥؛ ٥: ٢٠؛ ٦: ٣٨-٤٠؛ ١٣: ٣؛ ١٧: ٢-٤)، اي مخططه الخلاصي تجاه البشر. وهذا المخطط، يجب عليهم ان يتموه ويبلغوا به الى غايته (٤: ٣٤-٣٨). فعلى مثال يسوع، ينبغي

(١١) ج. كوهل، كالندنكيرشن، ١٩٦٧ (بالالمانية).

عليهم ان يعيشوا منه ويغتذوا به. (٤: ٣٤). وهكذا تُفتتح مرحلة جديدة في تاريخ الخلاص، حيث يتواصل عمل يسوع في "**اعمال تكون اعظم**" (١٤: ١٢) يقوم بها تلاميذه[١٢].

هذه المساواة بين رسالة التلاميذ ورسالة المسيح، يجب ان تؤخذ بالمعنى الحصري. فرسالة التلاميذ هي رسالة يسوع تتواصل. وكما كتبها جيداً ف. كوديه: "لا توجد سوى رسالة واحدة من السماء الى الارض، هي رسالة يسوع... ورسالة التلاميذ متضمنة في رسالته وتكمل تحقيقها من اجل العالم[١٣].

وان حضور يسوع القائم وكلامه اللذان هما في اصل رسالة الكنيسة، يمثلان فكرة مشتركة بين الاناجيل الاربعة. إلا ان انجيل يوحنا، فيما ربط بشكل دقيق رسالة التلاميذ برسالة ابن الله، فقد اضفى عليها كل عمقها. وعبر الرباط بين رسالتهم والتجسد، فكل شيء يرقى الى الآب الذي "**ارسل ابنه الى العالم... لكي يخلص به العالم**" (٣: ١٧؛ ٨: ٢٦؛ ١٢: ٤٩+).

وهكذا تبقى بشرى التلاميذ مركزة على المسيح، ويسوع هو موضوعها المباشر (٢٠: ٣٠+؛ ١ يو ١: ١+). فكما كان على يسوع ان يكشف عن وجه الله الذي ارسله (١٧: ٦، ٢٦)، كذلك يترتب على التلاميذ ان يعلنوا للعالم يسوع القائم، الذي انتقل من هذا العالم الى الآب ١٣: ١)، وهو الذي ارسلهم. وسيكررون البشرى الملقاة على عاتق مريم المجدلية: "**اذهبي الى اخوتي وقولي لهم: اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم**" (٢٠: ١٧). وتوجَز هذه البشرى الفصحية في هذه الصيغة المقتضبة: "**رأينا الرب**" (٢٠: ١٨، ٢٥؛ راجع ١ قور ٩: ١).

ستكمّل حركة من يسوع الكشف عن البعد الثالوثي للرسالة: "**قال ذلك، ثم نفخ**" في التلاميذ. وكما اشرنا اليه اعلاه، فان صيغة "قال ذلك" هي بمثابة مقدمة للحدث الكبير بصفتها نتيجة للاقوال السابقة وتوضيحا لها. وحركة النفخ تفسّر وتسند كلمة البعثة إلى الرسالة. ويسوع، من جهة اخرى، هو الذي فسّر حركته حين قرنها بهذه الكلمات: "**خذوا الروح القدس**".

والفعل الذي استخدمه يوحنا للدلالة على نقل الروح الى التلاميذ (emphusân) يلفت نظرنا. فنحن لا نجده في اي مكان آخر في العهد الجديد، ووجوده في الانجيل الرابع مدهش جداً. كان من المعتاد ان يقال عن الروح انه **أُعطي**، او **أُرسل** او **أُفيض** الخ... ولا يرد البتة بصيغة نُفخ. وفي العهد الجديد ذاته، نادرة هي هذه الكلمة. انها ترد في تك ٢: ٧ للتعبير عن نفخ نسمة الحياة في مناخير الانسان، يوم خلقته؛ وفي حك ١٥: ١١ ايضاً، نجدها مقترنة، هذه المرة، بالروح. ولدى حزقيال (٣٧: ٩)، فهي، فيما تقترن بالروح، تصف اعادة الحياة الى العظام اليابسة، بصفتها صورة

(١٢) س. تريتس: المصدر المذكور.

(١٣) تفسير انجيل القديس يوحنا، ج٣، نيشاتيل ١٨٨٥ (بالفرنسية).

لتجديد اسرائيل في ختام محنة. اما التلميح الى فعل خلاق يوحي به الاستخدام البيبلي لهذا الفعل، فيبدو محتملاً جداً في يو ٢٠: ٢٢. ذلك ان حركة يسوع هي علامة خلقة جديدة. فبقوة الروح القدس "المنبثق" من المسيح القائم، هوذا عالم جديد قد بدأ؛ وهوذا اسرائيل جديد يُدشّن عبر رسالة تلاميذه في العالم. هذا ما كانت تعنيه مسبقاً، وبشكل خافر، في بدء الرواية، صيغة **"اليوم الاول من الاسبوع"**، بصفتها مؤشراً لزمن جديد (راجع ٢٠: ١)، كما بصفتها انفصال التلاميذ تجاه العالم اليهودي.

بقي علينا ان نشدد على الصلة الوثيقة بين موهبة الروح القدس والرسالة. فالرسالة تفترض، بالفعل، ان يكون قد تمّ في التلاميذ تحوّل جذري يرفعهم إلى مستوى **"عمل"** فوق البشري وكله اليهم يسوع. والروح القدس وحده قادر ان يحقق هذه الخليقة الجديدة. فبواسطة عمله **كُرّس** التلاميذ من اجل الرسالة، كما كان يسوع ذاته قد **"كُرِّس وأُرسل في العالم"** (١٠: ٣٦؛ راجع ١: ٣٣؛ ١٧: ١٧-١٩)[١٤].

هناك سوابق لهذه الصلة بين الروح والرسالة، في الانجيل الرابع. ففي ٣: ٣٤، قيل عن يسوع: **"فان الذي ارسله الله يتكلم بكلام الله. ذلك بأنه** (الله؟ ام مُرسَل الله؟) **يهب الروح بغير حساب"**. واياً كان الفاعل في هذا الطرح الاخير، هناك سلسلة متواصلة تربط بينهم: الله (الآب) الذي يُرسل، المرسَل (المسيح) الذي يتكلم بكلام الله، موهبة الروح —وفي الآيات التالية: الايمان والحياة الابدية (٣: ٣٦). فبالاتحاد الوثيق مع الروح المعطى من دون حساب، يكون بوسع كلمات المرسَل أن توقظ الايمان الذي يعطي الحياة الابدية. وتلاميذ المسيح، وقد أُعيد خلقهم وتحرّكوا بالروح عينه، اصبحوا قادرين بدورهم على نقل الكلمات التي تقود البشر الى الحياة (٢٠: ٣١)، لأن الكلمات هي ايضاً **"روح وحياة"** (٦: ٦٣).

وتُختم الرواية على مشهد الموهبة التي اعطيت للتلاميذ عبر سلطان مغفرة الخطايا: **"من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن امسكتم عليهم الغفران يُمسك عليهم"**. كان اختصاص يسوع لنفسه هذا السلطان قد صدم في العمق الكتبة اليهود (مر ٢: ٥-٧). وهوذا يسوع يمنحه لتلاميذه من دون حدود. انه يمنحه لهم بشكل خافر؛ وسيكونون هم انفسهم قضاة.

لا يمكن ان نجعل سلطانهم مقتصراً على مهمة تحريض الناس على التوبة، بتبشيرهم بالخلاص في يسوع المسيح. فالتلاميذ تلقوا قدرة على مغفرة الخطايا للخاطئ النادم. كما انهم تلقوا ايضاً السلطان على **امساك** الخطايا، اي ان يلفظوا على الخاطئ غير التائب الحكم الذي يعلن انه، بخطيئته، وحتى قضاء جزائه، مفصول عن الشركة مع الله ومع اخوته (راجع ١ يو ١: ٣، ٦-١٠؛ ٥: ١٦).

(١٤) ج. كوهل: المصدر المذكور.

انه سلطان ذو طابع كنسي يمنح سلطة وقدرة، لا للقبول في العماذ حسب، بل ايضاً لمغفرة الخطايا في حضن جماعة التلاميذ، او لامساكها[١٥].

واذا ما وضع هذا السلطان في السياق اليوحناني، يصبح السلطان على قيادة الناس الى ينبوع الحياة، وقد طُهّروا من ادرانهم، بحيث اذا ما اتحدوا بالكرمة الحقيقية، يكوّنون شعب الله المقدس في الايمان والمحبة (١٥: ١-١٧). وهكذا سيعرف العالم، عبر رسالة التلاميذ، مهمة الابن الذي ارسله الآب (١٧: ١٩-٢١).

هل ينبغي ان نربط مباشرة، وبشكل مطلق، عمل الروح القدس المسلّم الى التلاميذ، بعمل مغفرة الخطايا هذا؟ لا يسمح لنا حصراً نص الانجيل بذلك؛ اذ ان موهبة الروح مرتبطة بشكل مباشر بالبعثة الرسولية. فالتلاميذ قد خُلقوا من الروح لمواصلة رسالة المسيح في حد ذاتها، وبشكل تام. والروح لا يوصف مباشرة بصفته فاعل التطهير، وانما بصفته مبدأ الرسالة الخلاّق.

ومع ذلك، فان من الاهمية بمكان ان هذه الميزة لرسالتهم قد أوضحت جيداً: سلطان سحق الخطيئة. ولا سيما حين نعلم ان انجيل يوحنا قد أُفتُتح على مشهد الكشف عن المسيح بصفته **"حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم"** (١: ٢٩) وهو الذي **"يعمذ بالروح القدس"** (١: ٣٣). ولذا فقد تحدث البيبليون بهذا الصدد، بحق، بان هناك "تطويقاً" ساميًّا واسعاً يحتضن الانجيل الرابع برمته ويحدد بالتالي احد أوجهه الاساسية[١٦].

رابعا: خلاصة

في هذه الرواية، عبر لغة مطبوعة بطابع اللاهوت اليوحناني، يترسخ الوعي الذي كان لدى الجماعة المسيحية الاولى من انها جماعة المسيح القائم، وامتداده في العالم -ويقول بولس: "جسده" الذي يعيش منه، خلقة روحه الدائمة؛ وهذا الوعي يستند إلى خبرة الرسل الفصحية: "رأينا الرب!" (٢٠: ٢٥). وفي الواقع، من تجلي المسيح القائم للرسل، ينبثق ايمان الكنيسة برمته برسالتها في العالم وبحضور ديناميكية الروح القدس اللامتناهية فيها.

(١٥) أ. فوكنل، **Sacra Pagina**، باريس-جامبلو ١٩٥٩ (بالالمانية)، يبين ان المكان التاريخي لكلام يسوع هذا هو حقاً مشهد من الارسال للتبشير من بعد القيامة. ففيما يتعلق بمتى ١٨: ١٨، يكون نص يو ٢٠: ٢٣ بمثابة رتوش ذات خصوصية، من نتاج تقليد يسبق التقليد اليوحناني. راجع في الاتجاه ذاته س. هـ. دود (١٩٥٤) (بالانكليزية)؛ هـ. فوركرايملر: متى ١٦: ١٨+ وسر التوبة في **L'Homme devant Dieu** (١٩٦٣) (بالفرنسية).

(١٦) ج. شميت: ملاحظات حول مقطع يو ٢٠: ٢٢-٢٣ (١٩٥٦) (بالفرنسية).

١. الفصح والعنصرة

لقد طرح السؤال منذ القدم بشأن العلاقة بين رواية يو ٢٠ ورواية لوقا في الفصل ٢ من سفر أعمال الرسل. هل موهبة الروح القدس للتلاميذ، مساء الفصح، هي ذاتها موهبة العنصرة. وبخلافه، بأي شيء يتميز الحدثان الواحد عن الآخر؟ كثيرون هم المفسرون الذين يعتقدون ان يوحنا استبق حدث العنصرة. فحين جمع بين موهبة الروح القدس وترائي المسيح القائم، مساء الفصح، فهو انما شاء ان يعبّر، في مشهد واحد، عن "السر الفصحي برمته"[١٧]. وتحدث البعض بهذا الصدد عن "عنصرة يوحنانية"[١٨]. فيما يحرص آخرون، على العكس، على التمييز بين الحدثين[١٩].

هناك ملاحظة اولى يمكن ان تطرح بهذا الصدد، وهي ان لوقا ذاته لم يكن ينتظر رواية العنصرة لكي يشير إلى علاقة مع الروح القدس، اقله في اختيار الرسل. فمنذ بداية سفر الاعمال، نراه يعتبرهم بصفتهم اولئك الذين "**اختارهم**" يسوع، بدافع من الروح القدس" (١: ٢)[٢٠].

ويتعلّق حلّ المشكلة، الى حد ما، بالعلاقة التي نقيمها او لا نقيمها بين الترائي للتلاميذ واقوال يسوع لمريم المجدلية. وتساءل أباء الكنيسة فيما اذا كان هذا الترائي يفترض ان يكون صعود يسوع نحو الآب قد اكتمل، بعد ان كشفه لمريم صباح اليوم ذاته عبر هذه الكلمات: "**اذهبي الى اخوتي وقولي لهم: اني صاعد الى ابي...**"(٢٠: ١٧). واذا كان الامر كذلك، فيكون يسوع الذي يتراءى للتلاميذ، في فكر الانجيلي، لا فقط يسوع القائم، الحي، وانما يسوع الذي "**انتقل الى الآب**" (١٣: ١)، والآتي ليحقق المواعيد التي تضمنتها خطابات الوداع، حاملاً الى التلاميذ الخيرات المعلنة: السلام والفرح (راجع ١٤: ٣، ٨+؛ ١٦: ١٦)، والتبشير (راجع ١٧: ١٨)، والروح (راجع ١٥: ٢٦؛ ١٦: ٧).

هناك اسباب وجيهة تحملنا على التفكير، بالأحرى، بأن الوضع، في نظر الانجيلي، هو ذاته في الترائي للتلاميذ، مساء القيامة، و"**بعد ثمانية ايام**" (٢٠: ١٩، ٢٦)، كما في الترائي لمريم المجدلية، صباح القيامة: فيسوع هذا الذي نراه ونلمسه (٢٠: ١٧، ٢٠، ٢٧) هو هنا، كما هو هناك، يسوع اللقاء مع مريم، الذي "**لم يصعد بعد نحو الآب**" (٢٠: ١٧). اما بصدد موهبة الروح، فلا يمكن ان نماثلها قط، لا مع **مجيء** الروح المعلن عنه في خطابات الوداع، -مجيء يفترض ان يكون يسوع قد "**ذهب**" (١٦: ٧) وصعد نحو الآب (١٥: ٢٦)، وهو فوق متناول كل ما هو حسي-

---

(١٧) أ. جورج: المصدر المذكور.

(١٨) الارشمندريت كاسيان: العنصرة اليوحنانية (يو ٢٠: ١٩-٢٣)، باريس ١٩٣٩.

(١٩) ذلك هو رأي ب. هـ. مينو: العنصرة اللوقاوية والتاريخ، في مجلة التاريخ والفلسفة الدينية (١٩٦٢).

(٢٠) هناك ترجمة اخرى لنص رسل ١: ٢: "بعد ان اعطى، بدافع من الروح القدس، وصاياه للرسل الذين اختارهم". ويعتبرها ج. ديبون "اقل جودة"، في: اعمال الرسل، باريس ١٩٥٨.

ولا مع حدث العنصرة الذي يفترض، هو الآخر، ان يكون يسوع قد اختفى في الغمام الالهي حتى عودته في آخر الازمان، لانه "**صعد الى السماوات**" و"جلس عن يمين الله" (رسل ١: ٩-١١؛ ٢: ٣٣-٣٥).

هذا لا يعني ان المسيح القائم الذي يتراءى للتلاميذ ما زال ملتزماً بالزمن وانه يحتاج الى وقت كي يصعد الى الآب ويتخذ مكانه عن يمينه. فالمسيح قد عبر بالموت الى ما فوق الزمن. ولا نستطيع ان نقول شيئاً عن ما هو فوق الزمن. وانما نعرف فقط ان الكتاب، من اجل تعليمنا، يميّز حقبات ويضع تدرّجاً في الكشف عن سر تمجيد المسيح. فمشهد يوم الفصح، مع التراثي بعد ثمانية ايام، يمثل، في انجيل يوحنا، المرحلة الحاسمة لهذا الوحي المتدرّج. انه التجلي الاخير المرئي للمسيح **الصاعد الى الآب** (٢٠: ٧)، والذي بالاتحاد معه، **سيرسل** (١٥: ٢٦) الروح الفارقليط الموعود به في العشاء الاخير (١٤: ٢٦؛ ١٦: ٧-١٤).

هذا المشهد، بالمعنى الواضح، لا يستبق، اذن، العنصرة؛ ولا يكررها؛ فبقدر ما تدخل العنصرة في تصوّر يوحنا، فهي تسبقه، كما تسبق حياة الكنيسة كلها، وتربطها بمن هو مبدأها: يسوع المائت والقائم. انها تضمن تحقيق الوعود المبرمة في العشاء الاخير. فيسوع القائم الذي "**يصعد نحو الآب**" سيعود الى اخصائه (١٤: ١٨+)؛ وسوف "يعتلن" لهم (١٤: ٢١-٢٣)؛ "**والروح الفارقليط** (ايضاً) **سيأتي... روح الحق** (الذي) **يقودهم الى الحقيقة كلها**" (١٦: ٧+، ١٣-١٥). ذلك ان زمن التراثيات الفصحية يصوِّر مسبقاً، ويُعد، ويؤسس هذا المستقبل الذي سيكون بالفعل زمن الكنيسة والروح القدس[٢١].

هذا التمييز بين مشهد مساء القيامة والعنصرة هو ذو اهمية. انه يسلط الضوء على هذا الحدث الرئيس الذي هو التحوّل الروحي، ومنه خرجت الجماعة المسيحية، وهو يرتقي الى يسوع القائم ذاته. فالجماعة الاولى لم تكن تنسبه الى فيض الروح في العنصرة. كما انها لم تكن تعتبر أنها ولدت من حدث بسيط ذي طابع "روحي" (نسبة إلى الروح القدس) (pneumatique)؛ ولكنها كانت تعلم انها من الفعل الشخصي ليسوع القائم، هو الذي تراءى لتلاميذه لكي ينقل اليهم رسالته وينفحهم بروحه. فلقد كانت الجماعة المسيحية على وعي من انها، اولاً، جماعة فصحية، وذلك هو الشرط الضروري كي تصبح جماعة تعيش العنصرة. وقد قالها لوقا ايضاً بوضوح، سواء في الانجيل (٢٤: ٤٨+) ام في سفر الاعمال (١: ١-٢٦)[٢٢].

---

(٢١) هذا التوسع مدين كثيراً الى الدراسة (بالالمانية) التي قام بها فيلكس بورش بشأن علم الروح لدى القديس يوحنا. راجع ايضاً ج. هارتمان (١٩٦٣) (بالالمانية).

(٢٢) راجع ر. ه. رينكستورف: المصدر المذكور.

ومع ذلك، فان رؤية يوحنا للأمور تختلف كثيراً عن رؤية لوقا. فلوقا يربط موهبة الروح بالجلوس الممجَّد ليسوع عن يمين الآب (رسل ٢: ٣٣). اما في فكر يوحنا، فان موهبة الروح، مساء القيامة، لا يفسَّر إلا عبر امتداد مشهد الجلجلة الذي يشكل معه حدثاً واحداً. وان حركة المسيح القائم، وهو يُري تلاميذه جرح جنبه، يوضح ذلك باجلى بيان. ففي النفَس الاخير (pneuma) ليسوع على الصليب، كما في الماء والدم الخارجين من جنبه عند موته (١٩: ٣٠، ٣٤)، كان يوحنا قد استشف "**علامة**": فبشرية المسيح، وذبيحته الدموية، **وجسده** المصلوب، كشفت له بانها نبع الخلاص الذي منه تولد الكنيسة لكي تنمو في نعمة الروح. وهكذا، فان الترائي، مساء القيامة، انما يكرر هذا الوحي، وينيره بنهار جديد وحاسم. وهذا الترائي، يمثل، من وراء الموت، الوجه الآخر لهذه الحقيقة: حقيقة "**ساعة**" يسوع (١٢: ٢٣؛ ١٣: ١، ٣٢، ١٧: ١).

٢. الوجه الليتورجي

هناك وجه آخر يجب ان نشير اليه. انه يتعلق بملامح الليتورجيا الفصحية والافخارستية التي تمتاز بها رواية يوحنا.

التلاميذ مجتمعون مساءً، في اليوم الاول من الاسبوع، والابواب مغلقة. وجاء يسوع. انه يتراءى حاملاً جروح آلامه. ويوجه تحية السلام لتلاميذه. ويملأ الفرح قلبهم. وهوذا يسوع يقوم بحركة النفخ الطقسية، وهي تمنحهم، مع الروح القدس، السلطان على مغفرة الخطايا لاخوتهم. ولا نجد لدى لوقا مثل هذه السمات التي تلوّن الرواية اليوحنانية (٢٤: ٣٦-٤٩). فقد يمكننا تفسيرها عبر اصل ليتورجي وفصحي.

"**اليوم الاول من الاسبوع**"، كان قد اصبح، في زمن مبكر، كما نعلم، يوم التجمع المسيحي (رسل ٢٠: ٧؛ ١ قور ١٦: ٢). وكانت السهرة الليلية -وهو الزمن المميز للاحتفال الفصحي[٢٣]- الاطار لتجمع المسيحيين للعبادة ايضاً. وكان اليهود قد ربطوا بالليلة الفصحية انتظار مجيء المشيح. فالمسيحيون، بشهادة القديس هيرونيمس، كانوا قد ورثوا هذا التقليد من الرسل: "انه تقليد يهودي بان المشيح سيأتي في منتصف الليل، على صورة احتفال الفصح في مصر... واظن انه لهذا السبب حُفظ، في السهرة الفصحية، التقليد الرسولي الذي بموجبه لم يكن يُطلَق المؤمنون قبل منتصف الليل، هم الذين ينتظرون مجيء المشيح"[٢٤].

---

(٢٣) راجع ر. ديوث: الليلة الفصحية، في **Analecta Biblica** (١٩٦١) (بالفرنسية).

(٢٤) تفسير لانجيل متى (٤: ٢٥) اورده ب. بريكان: الرؤيا والليتورجيا، نيشاتيل ١٩٦٤ (بالفرنسية).

نحن نعلم المكانة التي كان يحتلها، في الاحتفال الافخارستي المسيحي، موضوع **"مجيء"** الرب. وصلاة **مارانا تا** (١ قور ١٦: ٢٢؛ راجع ديداكيه ١٠: ٦؛ رؤ ٢٢: ٢٠)، هي المناداة التي تتحقق في الاحتفال وتُنتظر فيه بشوق. فالروايات اليوحنانية، حين قدّمت ترائي يسوع القائم بصفته **"مجيئاً"** (٢٠: ١٩، ٢٤، ٢٦؛ ٢١: ١٣)، قد تكون عكست هذا المفهوم الليتورجي.

وان جرح الجنب الظاهر على جسد القائم يوحي بالحمل، وهو ضحية الذبيحة الفصحية، والذي **"لم يُكسر له عظم"** (١٩: ٣٦؛ راجع خر ١٢: ٤٦؛ عد ٩: ١٢، رؤ ٥: ٦). و"الابواب المغلقة"، بوسعها ان تذكّر بالفصح الذي احتفل به اليهود وراء الابواب الملطخة بالدم (خر ١٢: ٢٢). ولكن باستثناء الخوف من اليهود الذي عرفه التلاميذ، وهو لا يُضفي على المشهد تلك السمة المأساوية التي تميز الليلة الفصحية بصفتها ليلة تحرير. وان تمنّي السلام، الى جانب الفرح، والخلقة الجديدة في قوة الروح القدس، فهي تندرج كلها بدورها في الاطار عينه[٢٥].

كل هذا يوحي، في خلفية الرواية اليوحنانية، كما في رواية تلميذي عماوس (لو ٢٤: ١٣-٢٥) باننا ازاء الاحتفال الافخارستي المسيحي. وان ترائي يسوع القائم، مساء الفصح، سيكون قد اعتُبر بمثابة النموذج لهذا الاحتفال، وهو يؤوّنه بالفعل من اجل الايمان.

اما الترائي بمحضر من توما (٢٠: ٢٤-٢٩)، فمن الممكن ان يندرج في هذه الرؤية عينها. فان ذكر **"بعد ثمانية ايام"** (٢٠: ٢٦) قد يوحي بالوحدة بين التجمع الليتورجي المسيحي و**"مجيء"** يسوع في مساء القيامة[٢٦]. ففي كل احتفال يتجدد الحدث الفصحي. والمسيح القائم **"يأتي"** ليحمل الى مؤمنيه المواهب عينها التي منحها مساء القيامة: الفرح بحضوره، السلام، مغفرة الخطايا، قدرة روحه من اجل مواصلة رسالته في العالم. ولذلك نرى يسوع يعلن الطوبى للمؤمنين الذين، وان لم يروا اثر المسامير في يديه ولا الجرح في جنبه، آمنوا بقيامته، على ايمان شهود مجيئه، مساء القيامة، معترفين به مع توما وجميع اخوتهم انه "ربهم" و"الههم" (٢٠: ٢٨+).

(٢٥) ويجب ان نقول الشيء عينه عن الصيغة التوبوية التي أُشير الى طابعها الكنسي اعلاه. راجع ج. شميت: المقال المذكور.
(٢٦) راجع ج. ويليمس (١٩٦٥) (بالالمانية).

من الخبرة الى الايمان

(يوحنا ٢٠: ٢٤-٣١)

بقلم جاك سابنيف
(Jacques Seynaeve)

٢٤على أَنَّ توما أَحَدَ الاثني عَشَر، ويُقالُ له التَّوأَم، لم يَكُنْ مَعَهم حِينَ جاءَ يسوع.

٢٥فقالَ لَه سائِرُ التَّلاميذ: "رأَينا الرَّبّ". فقالَ لَهم: "إِذا لم أُبصِرْ أَثَرَ المِسمارَينِ في يَدَيهِ، وأَضَعْ إِصبَعي في مَكانِ المِسمارَين، ويدي في جَنْبِه، لن أُومِن."

٢٦وبَعدَ ثَمانِيَةِ أَيَّامٍ كانَ التَّلاميذُ في البَيتِ مَرَّةً أُخْرى، وكانَ توما معَهم. فجاءَ يسوعُ والأبوابُ مُغلَقَة، فوَقَفَ بَينَهم وقال: "السَّلامُ علَيكم!"

٢٧ثُمَّ قالَ لِتوما: "هَاتِ إِصبَعَكَ إِلى هُنا فَانظُرْ يَدَيَّ، وهاتِ يَدَكَ فضَعْها في جَنْبي، ولا تكُنْ غَيرَ مُؤمِنٍ بل كُنْ مُؤمِناً".

٢٨أَجابَه توما: "رَبِّي وإِلهي!"

٢٩فقالَ له يسوع: "أَلِأَنَّكَ رَأَيتَني آمَنتَ؟ طوبى لِلَّذينَ يؤمِنونَ ولَم يَرَوا".

٣٠وأتى يسوعُ أَمامَ التَّلاميذ بِآياتٍ أُخرى كثيرة لم تُكتَبْ في هذا الكِتاب،

٣١وإِنَّما كُتِبَت هذه لِتُؤمِنوا بِأَنَّ يسوعَ هو المسيحُ ابنُ اللهِ، ولِتَكونَ لَكم إِذا آمَنتُمُ الحياةُ بِاسمِه.

(يوحنا ٢٠: ٢٤-٣١)

من الخبرة الى الايمان

(يوحنا ٢٠: ٢٤-٣١)

بقلم جاك سانيف

ان رواية ترائي المسيح القائم لتوما (آ ٢٤-٢٩) [١]. نجدها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالرواية التي تسبقها بشأن الترائي للتلاميذ (آ ١٩-٢٣) [٢]. وبالفعل، فانهما تشكلان نافذتين للّوحة ذاتها. وان قراءة الاحد الثاني بعد القيامة (بحسب الطقس اللاتيني) تشمل ايضاً الايتين ٣٠-٣١، وهما تشكلان مقطعاً صغيراً هو بمثابة خاتمة للانجيل الرابع. لذا، فقبل ان ننكب على تفسير نصنا، يترتب علينا ان نضعه في سياقه المباشر. وسيُحاول قسم ثالث وأخير ان يجمع، في شبه خلاصة، القيم اللاهوتية.

---

(١) لدراسة هذا المقطع راجع س. ك. بارّيت: الانجيل بحسب القديس يوحنا، لندن ١٩٥٦ (بالانكليزية)؛ ر. بولتمان: انجيل يوحنا، كوتنكن ١٩٥٠ (بالالمانية)؛ س.ه. دود: تفسير الانجيل الرابع، كامبرج ١٩٥٥ (بالانكليزية)؛ ي. س. هوسكينس: الانجيل الرابع، لندن ١٩٤٧ (بالانكليزية)؛ م. ج. لاكرانج: الانجيل بحسب القديس يوحنا، باريس ١٩٢٧ (بالفرنسية). ومن بعد كتابتنا هذه استطعنا ان نرجع الى دراسة حديثة لريمون بروان: الانجيل بحسب يوحنا، نيويورك ١٩٧٠ (بالانكليزية).

(٢) انجيل عيد العنصرة. راجع د. مولاّ: ترائـــي يسوع القائم وموهبة الروح (يو ٢٠: ١٩-٢٣) في مجلة Assemblées du Seigneur.

أولا: السياق

الفصل ٢٠ -ويعتبر في نظر الجميع الفصل الاخير من يد يوحنا الانجيلي- يقدم وحدة ذات بنية متراصة من وجهة النظر الادبية والموضوعية. انه ينقل بعض الترائيات للمسيح القائم، في اورشليم. هناك فكرة رئيسة تبان لنا محوراً للمقطع: الانتقال، في الحياة المسيحية، من الخبرة الحسية الى الايمان الروحي.

بعد اعتبار عناصر الاسلوب والتعليم، فان البنية التالية تفرض نفسها:

قسم اول: صباح القيامة (٢٠: ١-١٨)

- مقطع اول: الحجر المرفوع والقبر الفارغ (آ ١-١٠؛ راجع متى ٢٨: ١-١٠؛ مر ١٦: ١-٨؛ لو ١٤: ١-١٠).
- مقطع ثان: ترائي المسيح القائم لمريم المجدلية (آ ١-١٨؛ راجع متى ٢٨: ٩+؛ مر ١٦: ٩).

قسم ثان: الترائي للتلاميذ (٢٠: ١٩-٢٩)

- مقطع اول: ترائي المسيح القائم للتلاميذ يوم الفصح (آ ١٩-٢٣؛ راجع مر ١٦: ١٤؛ لو ٢٤: ٣٦-٤٩؛ ١ قور ١٥: ٥).
- مقطع ثان: الترائي لتوما غير المؤمن في اليوم الثامن من الفصح.

خاتمة الانجيل برمته (٢٠: ٣٠-٣١)

قراءة سريعة للنص ترينا للحال بان القسمين الاولين ليسا متجاورين فقط، وانما هما مبنيان بطريقة مماثلة تقريباً.

توما، على مثال مريم المجدلية في القسم الاول، يحتل مكانة هامة في القسم الثاني. فبينما مريم المجدلية، في زمن اول من الدهشة، نراها تبكي لرؤية القبر فارغاً، هوذا توما، وبطريقة عفوية، ولكن ينقصها الصبر، يشك في حقيقة المسيح القائم. ومريم المجدلية، -وهي غائبة حين اكتشف بطرس والتلميذ الحبيب القبر فارغاً، وحين عبّر يوحنا عن ايمانه بقيامة الرب (آ ٨-٩)- ها هي تعلن ايمانها حين يكشف لها الرب عن ذاته (آ ١٨). وكذلك توما -وقد كان غائباً عن فريق التلاميذ لدى الترائي يوم القيامة- ها هو يؤمن، وبشكل حماسي وديناميكي، حين ارتضى الرب ان يتراءى له في الاحد التالي.

وفي القسمين، نرى الضوء مسلّطاً على ضرورة لمس الرب بشكل محسوس (بالنسبة الى مريم، انظر آ ١٧)؛ وبالنسبة الى توما، انظر الآيتين ٢٥ و٢٧)، مع لمسة من الحساسية البشرية في الحالتين. بالاضافة الى ذلك، فان ايمان مريم، نتجت عنه مهمة اعلان القيامة للتلاميذ (آ ١٨)، بينما استبق اعتراف توما ايمان كل الذين لم يروا وآمنوا (آ ٢٩).

واخيراً، نحن في كل مقطع، بصدد العبور من الخبرة الحسية الى الايمان الروحي: فالتلميذ الحبيب يؤمن حين يرى المنديل واللفائف (آ ٨)، ومريم حين يناديها صوت المعلم باسمها (آ ١٦)، والتلاميذ حين يتأملون في يدي المسيح الرب وجنبه (آ ٢٠). وتوما، آخراً، يعلن فعل ايمان كامل تماماً بالمسيح القائم (آ ٢٩) حين أُعطي له ان يشاهد يدي الرب ويضع يده في جنبه (آ ٢٥ و٢٧). هذه التلاقيات تسجّل وحدة رائعة في تركيبة الفصل ٢٠ برمته وتوسُّعِه. ومع ذلك تجب الملاحظة بان الايمان بالمسيح القائم، اعتباراً من القسم الثاني، يتخذ ابعاداً واسعة جداً. وبالفعل، فالكنيسة كلها، من وراء الرسل (آ ٢٢)، ترتسم بفعل البعثة للرسالة وحلول الروح القدس. كما يوحي ايمان توما المرتاب والمهتدي بايمان كل مسيحيي الازمان المقبلة (آ ٢٩ ب).

وما هو اكثر من التشابهات الادبية والموضوعية بين القسمين اللذين يؤلفان الفصل ٢٠: العلاقات المدهشة بين المقطعين من القسم الثاني (آ ١٩-٢٣ و٢٤-٢٩) وهي تستحق ان تلفت انتباهنا. ونكتفي ان نضع النصين في توازٍ.

الترائي للتلاميذ

٢٠. حين رأوا الرب
اراهم يديه وجنبه

١٩. في مساء ذلك اليوم
الاول من الاسبوع...
حيث كان التلاميذ
جاء يسوع...
والابواب مغلقة ...
ووقف في وسطهم
وقال لهم:
السلام عليكم!
٢٠. قال ذلك
واراهم يديه
وجنبه...

الترائي لتوما

٢٥. رأينا الرب
اذا لم ابصر في يديه
٢٧. ... انظر يديّ، هات يدك
فضعها في جنبي ...
٢٦. بعد ثمانية ايام

كان التلاميذ مرة اخرى...
جاء يسوع...
والابواب مغلقة
ووقف في وسطهم
وقال لهم:
السلام عليكم!
ثم قال لتوما...
انظر يديّ...
ضع (يدك) في جنبي...

اما الآيتان ٣٠-٣١، فهما كما سبق أن اشرنا، تؤلفان وحدة صغيرة على حدا، وكلتاهما تطرحان في الواقع مشاكل من مستوى نقدي وأدبي تتجاوز بكثير حدود هذا المقال.

يتفق المفسرون جميعاً حين يرون فيهما خاتمة. الا ان عدم اتفاقهم يصبح تاماً حين يترتب عليهم ان يحددوا في ما اذا كانت خاتمة الفصل ٢٠ او خاتمة الانجيل الرابع برمته. وبالتالي، فان هذه المشكلة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمشكلة التي يطرحها الفصل ٢١، وهو الذي تعتبره غالبية المفسرين اليوم ملحقاً اضيف في وقت لاحق[٣].

بوسعنا، دون ان ندخل في التفاصيل، ان نوجز فكرتنا. من جهة، يبدو الفصل ٢١ ولا شك اضافة تكاد تكون معاصرة للانجيلي، وترقى الى احد تلاميذه. وهذا التلميذ، فيما حاول ان يقتدي باسلوب معلمه، شاء ان يُدخل رواية ترائيات المسيح القائم التي تمت في الجليل، لكي يجعلها موازية لرواية الترائيات في اورشليم (راجع متى ٢٨: ٧، ١٦-٢٠؛ مر ١٦: ٧). وترقى الى قلم هذا التلميذ ايضاً الايتان ٢٤-٢٥ اللتان تؤلفان خاتمة الفصل ٢١. وعلى العكس، فان الايتين ٣٠-٣١ اللتين نقرأهما في نهاية الفصل ٢٠، وهما، في رأينا، من يد الانجيلي ذاته، يجب ان نعتبرهما بمثابة خاتمة الانجيل في حد ذاته (انظر آ ٣٠). وبالفعل، فان هاتين الايتين تعبران بشكل مدهش عن الهدف واللاهوت اللذين تابعهما الانجيلي يوحنا حين عمد الى كتابة انجيله. وبالتالي تنتفي، في رأينا، مسألة تحويل الآيتين ٣٠-٣١[٤] من مكانهما.

وفي الختام: لا يمكن للآيات ٢٤-٣١ ان تُفهم فهماً جيداً الا اذا أدرجت في سياقها الطبيعي، في الفصل ٢٠. وحينذاك، وبسبب اعتراف ايمان توما الرائع، تصبح الايات ٢٤-٢٩ بمثابة الذروة من الانجيل الرابع برمته. ونعتقد، مع لوازي[٥]، بان الكتاب قد انتهى، وانتهى جيداً، مع الايتين ٣٠-٣١ (الخاتمة).

ثانيا: التفسير

١. ترائي المسيح القائم لتوما (آ ٢٤-٢٩)

"وتوما، احد الاثني عشر، ويقال له التوأم، لم يكن معهم حين جاء يسوع" (آ ٢٤).

(٣) لاكرانج (في المصدر المذكور) يدعم نظرية تقليدية يصعب الدفاع عنها اليوم. وهوسكينس (المصدر المذكور) يلحق الى حدّ ما برأي لاكرانج.

(٤) كما فعل، على سبيل المثال، م. فور (١٩٢٩).

(٥) أ. لوازي: الانجيل الرابع، باريس ١٩٠٣ (بالفرنسية).

توما، احد "الاثني عشر"، على ثلاث دفعات في انجيل يوحنا (١١: ١٦؛ ٢١: ٢ وهنا)، يدعى التوأم، بينما الاناجيل الازائية وسفر الاعمال تذكر فقط اسمه. واوريجانس من قبل، وتبعه في ايامنا زاهن وبوير، شاءوا ان يروا في هذا اللقب معنى رمزياً يكون توما بموجبه قد شُخص بصفته التلميذ المرتاب: "ذاك الذي هو مُقَسَّم الى اثنين، شخص منقسم على ذاته، ذاك الذي لا يؤمن بسهولة". ونحن، مع لاكرانج، نعتبر ان لفظة "توأم" تعني فقط انه احد التوأمين[٦].

ويبدو توما، في الانجيل الرابع، وكأن لا مرونة له، يحكم على الامور بطريقة خاصة، ولا يدخل بسهولة في فكر الاخرين: "يا رب، اننا لا نعرف الى اين تذهب، فكيف نعرف الطريق؟" (١٤: ٥). من جانب آخر، فاذا بدا مزاجياً لكنه كله سخاء وولاء تجاه معلمه. فلدى الاعلان عن موت لعازر، هو الذي هتف: "لنمض نحن ايضاً لنموت معه" (١١: ١٦).

وبحسب التقليد الازائي، كان الكثير من الرسل عرضة للشك، ولا سيما بصدد شهادة مريم المجدلية او النسوة (انظر متى ٢٨: ١٧؛ مر ١٦: ١١، ١٣، ١٤؛ لو ٢٤: ١١، ٥، ٣٨، ٤١). الا ان هذه المؤشرات العامة نجدها في الانجيل الرابع موضحة ومنسوبة الى توما. وان موقف الشك الذي يبرهن عليه توما، قد يمكننا مقارنته، في الانجيل الرابع، بموقف شهود آخرين "للايات" التي صنعها المسيح (راجع ٢: ٩؛ ٣: ٤؛ ٤: ٤٨؛ ٦: ٢٦ الخ...). أليسنا بازاء سمة لطريقة يوحنا تجعله يحتفظ بحالة مميزة يستخرج منها درساً عميقاً؟ وهكذا، حين الحّ يوحنا، من بين امور اخرى، على ارتياب توما وحده، فقد شاء اولاً ان يبيّن الطبيعة المضاعفة لجسد المسيح القائم، الجسدية والروحية، ويفهمنا من ثم كيف يمكن ان ننتقل من الخبرة الحسية الى الايمان الروحي. ولكنه يفكر بالاكثر بوضع اولئك الذين، مع انهم لم يكونوا شهود عيان لحضور المسيح الجسدي، يترتب عليهم مع ذلك ان يؤمنوا به ويعيشوا منه. وهكذا تتطلع نظرته منذئذ الى مستقبل الكنيسة برمتها.

لقد حظي توما بـــ "آية" (علامة) كثيراً ما أغلقها يسوع على الفريسيين (على سبيل المثال: ٨: ١١-١٢). الا ان كل مقارنة في مجال الايمان، تعتبر مجازفة. وبالفعل، فمن جهة، لا يبدي الفريسيون اية رغبة صادقة في ان يؤمنوا؛ وكانت اسئلتهم تنمّ عن ارادة سيئة، ولا يعتبرون انفسهم تلاميذ للمسيح. ومن جهة اخرى، فان الشك الذي كان يخيّم على قلب توما، متأتٍ من روح عنيدة (١٤: ٥)، ولكنه في الوقت ذاته متأتٍّ من روح مستقيمة وسخية (١١: ١٦). ونعلم، من جانب آخر، ان توما الذي لم يكن حاضراً ابان ترائي المسيح الاول يوم الفصح، أما كان من الطبيعي، الشخص من مثل هذه الطباع، ان يطالب بمزيد من اليقين قبل ان يلتزم؟

(٦) "التوأمان" في بارّيت: المصدر المذكور (بالانكليزية).

"اذا لا أرى في يديه اثر المسامير، واذا لا اضع اصبعي في مكان المسامير، واذا لا اضع يدي في جنبه، لن اؤمن"[٧]. انها عبارات تتوافق مع طباع توما، ولكنها لا تخلو من الادّعاء. فتوما يرفض الايمان على شهادة اخوته. لا بل نراه يجيب الى روايتهم الحماسية برفض بارد. فهو لا يثق الا ببداهة حواسّه فقط. انه يريد ان يتأكد، عبر النظر واللمس، من حقيقة جسد يسوع القائم. ومن الواضح ان هذا الشك الجذري يتشح بقيمة دفاعية كبرى. ويجب ان نلاحظ ايضاً بان يوحنا، قبل ان يختم انجيله، شاء ان يلفت، مرة اخرى، نظر المؤمن باتجاه جرح جنب المسيح[٨].

"**وبعد ثمانية ايام**، اعني في الاحد الاول بعد القيامة (راجع آ ١٩: لنلاحظ الاشارة الزمنية الدقيقة عوضاً عن العبارة الغامضة: "وبعدئذ")، **كان التلاميذ من جديد في اورشليم**[٩] **وتوما معهم. فجاء يسوع والابواب مغلقة، فوقف بينهم وقال: السلام عليكم!**".

"والتلاميذ"، هل المقصود فقط الرسل العشرة ("الاثنا عشر" دون يهوذا الخائن وتوما)، او انه كان هناك آخرون؟ نحن نعلم ان يوحنا، خلافاً للازائيين، نادراً ما يستخدم عبارة "الاثني عشر" (انظر بشكل خاص ٦: ٧٠). من جهة اخرى، فان لفظة "تلاميذ" التي يفضّلها، غالباً ما تترك غموضاً، وان كان يستخدمها غالباً، وهو يقصد فريق الرسل[١٠]. وهنا، وبسبب الموازاة بين الآية ١٩ ولو ٢٤: ٣٣، نعتقد بانه ينبغي تفسير اللفظة بالمعنى الحصري: الاثنا عشر فقط هم الذين، في رأينا، تقصدهم الآية ٢١ (الارسال) والآية ٢٢ (قبول الروح القدس).

وان الالحاح على "**الابواب المغلقة**" (كما في آ ١٩) لا يمكنه الا ان يكون مقصوداً. فالمؤلف اراد ان يبيّن الوضع الخاص والسّري للمسيح القائم، وهو جسدي، بالكفاية، بحيث يمكن رؤية جراحه وجنبه؛ وفي الوقت ذاته غير مادّي، بما فيه الكفاية، لكي يمكّنه من العبور من خلال الابواب المغلقة.

"السلام عليكم!" (راجع ايضاً آ ١٩). في زمن يسوع، كانت تلك صيغة للتحية التقليدية التي تعني بكل بساطة "كونوا بخير". ولكن، في الزمن الذي يكتب فيه يوحنا انجيله، كان استخدامها المتواتر قد اضفى عليها معنى هو في الوقت ذاته اكثر عمقاً وذو سمة مسيحية أكثر، مع انعكاسات روحية ومادية معاً.

---

(٧) "اثر المسامير": نحتفظ بكلمة **typos** التي يؤدي معناها الاصلي "الاثر الذي تخلّفه ضربة ما". –"اذا لم اضع اصبعي في مكان المسامير ...": وهنا نقرأ كلمة **topos** (بالجمع) بحسب بعض الترجمات خلافاً لترجمة طبعة اورشليم.

(٨) راجع ٧: ٣٧–٣٨ و١٩: ٣١–٣٧ – ف. م. براون: الماء والروح في المجلة التوماوية (١٩٤٩) (بالفرنسية).

(٩) في المكان الذي كانوا قد اجتمعوا فيه قبلاً مساء القيامة (آ ١٩). وعبارة "من جديد" (او مرة أخرى) توحي بانهم كانوا يجتمعون كل يوم.

(١٠) راجع ر. شناكنبورغ، فرايبورغ ١٩٦٥ (بالالمانية).

"ثم قال لتوما: هات اصبعك الى هنا فانظر يديّ، وهات يدك فضعها في جنبي، ولا تكن (لا تبقَ) غير مؤمن بل كن مؤمناً" (آ ٢٧).

يبدو القسم الاول من كلام يسوع هذا تنازلاً يكاد يكون معثّراً تجاه توما. فيسوع يقبل الامتحان الذي علّقَ عليه توما قيمة كبرى: ألمس كي اتيقن من اني لست بازاء كائن خيالي، بل امام جسد حقيقي حي. وبالمقابل، يتضمن القسم الثاني تحذيراً يستحقه جيداً[١١]. فعلى توما ان يصبح "مؤمناً" حقيقياً بحقيقة المسيح الذي عاد حياً.

لا شيء في النص يشير الى ان الرسول التزم حرفياً ونفّذ ما طلب المعلم منه ان يفعله. فقد كانت كلمة يسوع من القوة بحيث اكتفى بها. لذا هوذا توما يقول: **"ربي والهي"**. وهذا الاعلان الباهر للايمان المسيحي، وهذا التأكيد المثقل بالمعنى من وجهة النظر الكريستولوجية، تفجّر من شفتي المرتاب توما تجاه "بديهية القيامة"[١٢].

لم يسبق لاحد، الى حد الان، في انجيل يوحنا، ان اعطى هذا اللقب للمسيح يسوع. وتوما، بطريقة عفوية، لا بل حماسية، عبّر عن ايمانه التام بلاهوت المسيح. وهكذا فان اعلان ايمان توما هو بمثابة الذروة والقمة للانجيل الرابع برمته، اذ بهذه النبرة كان بوسعه ان يُختم وختم بالفعل بمنتهى الروعة[١٣]. وان عبارة **"ربي والهي"**، وبسبب كثافتها العقائدية، اجتذبت بحق انتباه المفسرين. المفسرين. فان لقب "رب" (kyrios) بالاخص، كان موضوع دراسات عديدة واكثرها عمقاً[١٤]. ويكفي ان نذكّر هنا بان اسفار العهد الجديد، وعلى دفعات كثيرة، اضفت لقب Kyrios على المسيح، ولكن ينبغي، في كل حالة، القيام بتخصيص كي يُحدَّد المضمون الكريستولوجي بشكل دقيق.

ويدعى المسيح ايضاً الله ولا سيما في الرسائل الراعوية (وقد يكون ايضاً في روم ٩: ٥)، بينما يوحنا لا يسميه هكذا الا في ١: ١، ١٨ (راجع ٥: ١٨؛ ١٠: ٣٣). وفي الحالة التي نحن بصددها، نجد، مع ذلك، اللقبين "الرب" و"الله" مرتبطين بشكل وثيق في قلب صيغة واحدة. ولكي

---

(١١) ترجمنا بقصد "mé ginou" بعبارة "لا تبقَ غير مؤمن". ففي اليونانية البيبلية تعني عبارة "mé" مع الامر: الامتناع عن متابعة عمل في حال التنفيذ. وبوسعنا ايضاً ان نترجم: توقف من ان تكون غير مؤمن. ولنلاحظ ايضاً بان كلمة "apistos" و "pistos" (غير مؤمن، مؤمن) لا نجدها في مكان آخر من المؤلفات اليوحنانية، في حين نراها تتكرر مراراً في ١ قورنتس (ولا سيما كلمة (apistos).

(١٢) لاكرانج: المصدر المذكور؛ بارّيت: المصدر المذكور.

(١٣) لوازي: المصدر المذكور: "... اعلان الايمان الذي اراد المؤلف ان يضع فيه مفتاح كتابه وخلاصته". ويمكننا ان نتساءل، من وجهة النظر اللغوية، اذا ما كان المقصود: "انت ربي والهي"، كما هي الحال في اليونانية البيبلية؟ نحن نعتقد مع لاكرانج اننا بازاء "اعلان ايمان كامل كان ينبغي ان تلحق به جملة اخرى".

(١٤) على سبيل المثال راجع ل. سيرفو: المسيح في لاهوت القديس يوحنا، (Lectio Divina)، باريس ١٩٥١ (بالفرنسية) –ومعروفة ردود الفعل التي اثارها و. بوسّيه: kyrios christos (المسيح الرب)، كوتنكن ١٩١٣ (بالالمانية).

يُحدَّد المعنى الدقيق لهذا اللقب المضاعف، لم يتردد بعض المؤلفين من البحث عن استخداماتها في الادب الديني الوثني (ديسمان)، وبشكل ادق، في ما يسمى عادة العبادة الامبراطورية في زمن المسيحية الاولى (بوير)[١٥]. ومع ذلك، نحن نعتقد بان صيغة "ربي والهي" يجب ان نبحث عنها اولاً في الادب اليهودي والبيبلي. وبالفعل، نجد ان هذه الصيغة تتردد مراراً في الترجمة اليونانية السبعينية (انظر خصوصاً ٢ صم ٧: ٢٨؛ ١ مل ١٨: ٣٩؛ مز ٣٠: ٢؛ ٣٥: ٥، ٢٤؛ ١٢٥: ١٥؛ ١٣٨: ١؛ يو ١٨: ١٧). وهذا يعني ان توما يكرّم المسيح، الابن، بالمفردات عينها التي كان اليهود، وهم الموحّدون الاقحاح، قد اعتادوا ان يكرموا الله. وهكذا يكون توما قد سبق القديس اسطفانس الذي، حين كان على اهبة الاستشهاد، استودع روحه بين يدي الرب يسوع، كما يستودعها بين يدي الله[١٦].

وكما كنا قد اشرنا الى ذلك سابقاً، من الضروري جداً ان نميّز قسمين في الآية ٢٩. يتعلق الاول بتوما: **لانك رأيت ... فقد آمنت...** والثاني يتوجه الى مؤمني كل الازمان: **طوبى للذين يؤمنون ولم يروا**[١٧].

ومع ذلك، ينطبق القسم الاول من الاية ٢٩ على سائر الرسل. فهم ايضاً، ومن دون ان يكونوا قد رفضوا الايمان من قبل، "رأوا وآمنوا". فعن كل منهم يمكننا ان نقول ما كتبه القديس توما الاكويني عن سميّه، في اثر القديس غريغوريوس: "هو الذي رأى، وهو الذي آمن. رأى الانسان وآثار الجروح، وللحال آمن بالوهية القائم"[١٨].

ويجب ايضاً ان نشير الى تجاور الفعلين "رأى = oraô" و آمن = pisteuô"، وهما من ميزات مفردات يوحنا ولاهوته. فبالنسبة الى مؤلف الانجيل الرابع (وهو يستخدمها بتواتر واضح: ١: ١٨، ٥٠؛ ٢: ١١؛ ٤: ٤٥؛ ٦: ٢، ٩، ٣٧؛ ١٤: ٧، ٩؛ ٢٩: ٣٥)، يولد الايمان المسيحي من الرؤية، من لقاء الخبرة مع المسيح. ولذلك، فان لفعل "شهد" (martureô) اهمية كبرى في مفردات القديس يوحنا ولاهوته. فان المسيحية، بالنسبة اليه، تجد انطلاقتها في الاحداث التاريخية التي استطعنا ان نتحقق منها نراقبها ونثبتها، وقد شهد لها شهود مختارون: ذلك ان مسيح الايمان المسيحي يفترض ويتضمن يسوع التاريخ. وهذا يعني ان القديس يوحنا، في انجيله، لا يقدم لنا مجرد معرفة (gnose) من دون تجذر في التاريخ، وهو ليس لاهوتياً

---

(١٥) ديسمان يحيلنا الى كتابة مصرية من عام ٢٤ ق.م.: "**tô theô kai kyriô Soknopaiô**" تضفي على الفرعون صفة الله والسيد؛ اما بوير، فقد اكتشف لدى سويتون عبارة "**Dominus et Deus noster**" اي (ربنا والهنا) (دوميسيان ١٣).

(١٦) رسل ٧: ٥٩.

(١٧) في القسم الاول من الآية، واعتماداً على مخطوطة W.H. وعدد كبير من المخطوطات الصغيرة، نؤثر الصيغة الاستفهامية. وهي في الواقع اكثر تعبيراً، وتكشف عن لعبة سيكولوجية دقيقة. فكما لو ان يسوع يقول: "هكذا تكون رأيت الان؟" وبالاكثر، بالرغم من ان الحركة تجري في الماضي (**eôrakas, pepiteukas**) (رايت، آمنت)، الا ان مفعولها يتواصل في الحاضر. فبالنسبة الى توما، كما الى سائر التلاميذ (آ ٢٥: "رأينا الرب")، لم تكن رؤية المسيح القائم اموراً عابراً.

(١٨) هذا القول ورد لدى لاكرانج: المصدر المذكور.

نظرياً لا غير، او نفساً تصوفية ضائعة في الغيوم. بل، بالعكس، انه يثبت قدميه متجذرتين في التاريخ، هذا التاريخ الذي يصادق عليه شهود. فان اللاهوت والتاريخ، لديه، لا يتعارضان، وانما هما متداخلان الواحد في الاخر. وهكذا، فان يوحنا اللاهوتي، بطبعه وبدعوته وبعمل الروح، يغرس جذوره في عمق التاريخ[١٩].

"طوبى للذين يؤمنون ولم يروا". مع هذا القسم الثاني من الاية ٢٩، نرى ان الافق يتسع بغتة. فمن وراء الرسول توما، الكنيسة المؤمنة للاجيال اللاحقة هي المقصودة. ذلك ان الطوبى، السعادة، الخير –بالمعنى البيبلي الاكثر غنى للكلمة، وبالمعنى الكريستولوجي الكامل خصوصاً[٢٠]– قد وُعد بها كل المؤمنين الذين لم يكونوا شهود عيان للاحداث المروية، وكل المسيحيين الذين، من جيل الى جيل، سيعوّضون، بحرارة ايمانهم، ما نقصهم من حضور المسيح المنظور. فاليهم جميعاً تتوجه هذه "الطوبى". الا انه من الممكن، لا بل من المحتمل ايضاً، ان يكون يوحنا، وهو يكتب في نهاية القرن الاول، قد فكر، بشكل خاص، في مسيحيي زمانه. وحين كان يدبج انجيله، كانت الكنيسة مؤلفة، في قسم كبير منها، من رجال ونساء لم يكونوا شهوداً على ترائيات المسيح الممجد، ولكنهم كانوا يؤمنون بحضوره ويعيشون منه بحرارة.

وهكذا عُبّر من جديد، في الانجيل الرابع، من خلال الترائي الاخير، عن الوحدة والتواصل بين يسوع الناصري، اي يسوع التاريخ، وبين مسيح الجماعة الاولى المؤمنة[٢١].

٢. الخاتمة (آ ٣٠-٣١)

سبق ان قلنا اعلاه، انه يستحيل، كما يبدو، ان نعتبر الايتين ٣٠-٣١ وكأنهما خلاصة للفصل ٢٠ وحده. وانما المقصود هو الكتاب برمته. فالمؤلف حين كتب انجيله، لم يكن هدفه ان يروي لنا كل "الايات" التي أتمها يسوع، او ان يقدّم لنا سيرة ذاتية كاملة. ونحن نعلم، من مكان آخر، ان يوحنا استطاع ان يتعرف على الاناجيل الازائية. وهكذا، اذن، فبسابق تصميم، قام بعملية فرز واختيار بين "الايات" التي صنعها يسوع، محتفظاً بما بدا له مناسباً لان يزرع الايمان ويغذيه:

(١٩) للحصول على مصادر اكثر حول هذه النقطة التي تتخذ اهمية خاصة في الانجيل الرابع، انظر ريمون بروان: المصدر المذكور؛ ر. شناكنبورغ: المصدر المذكور.

(٢٠) ج. ديبون (التطويبات/ج٢: البشرى، باريس ١٩٦٩ (بالفرنسية)) يوجز بشكل رائع المواقف المتخذة بصدد اصل التوليفات البيبلية.

(٢١) ان اسم المصدرين في الحاضر الدائم اليوناني (**aoriste**) لعبارة "دون ان يروا، يؤمنون" والتي تصعب ترجمتها، يوضحان جيداً ان المقصود هي كنيسة المستقبل. ويتحدث بارّيت (المصدر المذكور) عن الحاضر الدائم الذي لا زمن له (**timeless aorists**). فان الطابع العام وغير المباشر لعبارة "طوبى للذين يؤمنون من دون ان يروا" (وهي على العكس من العبارة السابقة: "لانك تراني، تؤمن") وعدم التحديد الزمني للفعلين، يمنعاننا من ان نطبق الطوبى على معاصري المسيح فقط.

"لكي تؤمنوا..."[٢٢]. وبعبارات اخرى، يكون يوحنا، في انجيله الذي يفترض اختياراً بين الاحداث والاقوال التي طبعت حياة يسوع، قد توجّه الى الذين سبق لهم ان آمنوا بالمسيح، ويترتب عليهم من ثم ان ينموا دوماً، اكثر فاكثر، في حياة الايمان هذه[٢٣]. وبالاضافة الى ذلك، نجد في هذه الخاتمة عدداً من المفردات والمواضيع الاكثر اهمية في اللاهوت اليوحناني: آية، آمن، المسيح، ابن الله، الحياة.

نحن نعلم الاهمية الكبرى المعلّقة على كلمة "آية" في القسم الاول من الانجيل (١: ١٩-١٢: ٥٠)، حيث نقل يوحنا حركات واقوالاً للمسيح خلال حياته العلنية، وهي ليست سوى اعتلان خفي لمجد المسيح[٢٤]. واذا كانت كلمة "آية" لفظة تقنية تنطبق بالاكثر على المعجزات وحدها (ولا سيما في الفصول ١-٥)، فان كثيراً من المفسرين يذهبون الى حدّ اطلاق صفة "كتاب الآيات" على القسم الاول من الانجيل الرابع. كما نعلم ايضاً بان رسالة المسيح برمتها، ابان حياته العلنية، تتجه نحو "الآية بامتياز"، وهي "الساعة الاخيرة"، ساعة آلام المسيح الرب وقيامته، وهما التجلّي الحاسم والكامل لمجده[٢٥]. ومنذئذ يكون من الطبيعي جداً ان تتكرر هذه المفردة اليوحنانية تماماً في خاتمة الانجيل.

لا نستطيع ان نقول الشيء ذاته عن عبارة **"باسمه"** (en tô onoati) التي لا نجد لها اية موازاة حقيقية في متن الانجيل. فالعبارة التقنية التي يستخدمها يوحنا هي بالاحرى: الايمان "باسم" (راجع ١٤: ١٣؛ ١٥: ١٦؛ ٦: ٢٦). الا ان معنى العبارة في هذه الخاتمة لا يمكن ان يثير سوء التفاهم: **"لكي تكون لكم، اذا آمنتم، الحياة باسمه"**، بمعنى: بواسطته —وهنا نجد اللاهوت اليهودي بشأن الاسم قد ارتسم[٢٦]– بعمله، وبه، وبالاتحاد معه (٣: ١٥؛ ٦: ٣٣).

وهكذا يشير الكاتب بشكل منطقي ومقتضب الى موضوع الايمان المسيحي. ينبغي الايمان اولاً بان **"يسوع هو المسيح"**، المشيح الموعود به في الكتب، هو الذي نحو مجيئه كان متجهاً العهد القديم برمته. كما يجب ايضاً ان نؤمن بانه **"ابن الله"** بالمعنى الخاص الذي اكّده الانجيلي في المطلع (١: ١: "والكلمة كان الله"؛ ١: ١٤: المجد من لدن الآب لابن وحيد"). فهو حقاً إله كما اعترف به الرسول توما في المشهد الاخير من الانجيل: **"ربي والهي"** (آ ٢٩). وهكذا، ترتبط خاتمة الانجيل ببدايته. فالمطلع والخاتمة هما نافذتان للوحة واحدة (تطويق).

---

(٢٢) مع المخطوطات السينائية والفاتيكانية ومخطوطة تتودوريت، نثبت فعل **"pisteuète"** (فعل آمن بالحاضر) كقراءة محتملة بالاكثر. فالحاضر يشير الفضل من "الماضي الحاضر" (**aoriste**) الى حالة "نمو الايمان، مما الى بدايته" (لاكرانج: المصدر المذكور).

(٢٣) تثير هذه الاية مسألة قراءة الانجيل الرابع. هل كُتب انجيل يوحنا بهدف تثبيت المسيحيين في ايمانهم، ام نحن بالاحرى بصدد مؤلّف تبشيري يهدف الى هداية العالم الهيلّليني الوثني الى رسالة المسيح؟ وتفسيرنا يدافع عن وجهة نظر الحل الاول.

(٢٤) انظر على سبيل المثال التقسيم الذي تبناه بولتمان في تفسيره الكبير.

(٢٥) راجع أ. فيبي: ساعة يسوع وآية قانا، في دراسات يوحنانية، بروج ١٩٦٢ (بالفرنسية).

(٢٦) أ. م. بينارد: سر الاسم (**Lectio Divina**)، باريس ١٩٦٢ (بالفرنسية).

وايمان مثل هذا، له موضوع كهذا، انما هو "**الحياة**": "**لكي تكون لكم، اذا آمنتم الحياة...**"، حياة روحية، كما تحققت منذ الان، تبقى متجهة نحو كمال اكثر فاكثر، ونحو تجذّر اكثر فاكثر قوة في المسيح ("**الحياة باسمه**")؛ حياة حاضرة في المسيح الذي هو، في الوقت ذاته، اسكاتولوجية مسبقة، هي معاً امتلاك حاليّ وحركة نحو مستقبل حاسم[٢٧].

ثالثاً: وجهات لاهوتية

ان رواية ترائي المسيح القائم لتوما، وعلى غرارها الخاتمة التي تغلق الانجيل الرابع في حد ذاته، تفتحان رؤى في اللاهوت اليوحناني. فليس العرض الادبي لمقاطعنا يكشف وحده عن قلم يوحنا، وانما الطروحات كلها هي يوحنانية. وهذه الطروحات هي التي تهمنا هنا. نقطتان بالاخص تلفتان انتباهنا.

١. ان نرى ونؤمن

بموجب عبارة اوريجانس التي اصبحت معروفة، يبدو الانجيل الرابع بصفته "الانجيل الروحي"[٢٨]. فالقديس يوحنا، اكثر من الانجيليين الازائيين، هو لاهوتي شدد على الحقائق الاكثر سموًّا في الحياة المسيحية: الايمان، الحياة الالهية، النعمة، النور. ان له موهبة اكتناه المعنى الروحي للاحداث والوقائع، واكتشاف الاسرار الالهية فيها. فكل شيء يجري على مستوى النفس العلوي، كما على مستوى مشاركتنا في النعمة، بالمسيح مع الآب. الا ان هذه الحياة الالهية فينا، اياً كان سموّها، لا تحذف الطبيعة والحقائق الحسية او حتى دور الحواس الجسدية. وينبغي ان نردد ذلك دون انقطاع: ذلك ان يوحنا لا يتبنى "معرفة" (gnose) روحية لا صلات تاريخية لها، وانما تفترض رسالته الروحية وتتطلب شهود عيان. فيسوع من الناصرة يسبق مسيح الايمان. وكذلك، فان "الرؤية" و"اللمس" يقودان الى "الايمان". فالتلميذ الحبيب، حين رأى، صباح القيامة، اللفائف في القبر الفارغ، "رأى فآمن". ومريم المجدلية، حين سمعت صوتاً تعرفه يناديها باسمها، آمنت. والتلاميذ بدورهم آمنوا حين تفرسوا في جروح الرب القائم في يوم القيامة ذاته. وتوما اخيراً الذي دُعي الى "النظر"، لا بل الى "لمس" جسد المسيح الممجد، في الاحد الاول بعد القيامة، صرخ وقال: "ربي والهي".

---

(٢٧) بشأن هذه النقطة الهامة من الاسكاتولوجيا اليوحنانية، راجع المصادر التي اعتمدها ريمون بروان (المصدر المذكور).

(٢٨) وفق ما جاء على لسان كليمنضس الاسكندري في مقطع بشأن **Hypotyposes** نقله اوسابيوس القيصري في التاريخ الكنسي ٦: ١٤، ٧.

لقد طلب المسيح منهم جميعاً الانتقال من الرؤية الى الايمان، وفي حالة توما الرسول، بلغ الايمان مضمونه الكريستولوجي الاكثر كمالاً. وبطرس، لدى اعترافه في قيصرية فيلبس، كان قد اعلن ايمانه: "انت المسيح ابن الله الحي"(٢٩). ومرتا بدورها، لدى قيامة لعازر اخيها، كانت قد اعترفت: اؤمن بانك المسيح ابن الله الاتي الى العالم"(٣٠). الا ان هذا الايمان بالمسيح، في روايات ترائيات المسيح الممجد، في الفصل ٢٠ من الانجيل، يصبح في الوقت ذاته اكثر كمالاً واكثر واقعية، نظراً الى موضوعه. فمريم المجدلية ينبغي عليها ان تتعلق، لا بـــ "رابوني" الذي ناداها بكلمات بشرية، بل بالرب القائم الذي "يصعد الى ابيه". والتلاميذ، بعد ان شاهدوا "اليدين والجنب"، هم مرسَلون بقوة الروح القدس الذي تلقوه للحال. واخيراً، توما السول، بعد ان دُعي الى ان ينظر ويلمس جسد المسيح القائم شبه الطبيعي، لم ينجح فقط في التعبير عن ايمانه بالمسيح ذاته، وبطريقة واضحة جداً، ولكنه، بفعل كلمة المسيح، استشف ان هناك امكانية للوصول الى الحقيقة الالهية بطريقة مستقلة عن كل بداهة خارجية: **"طوبى للذين يؤمنون ولم يروا"!** أليست تلك دعوة الى الانتقال من حياة مسيحية تتمتع بحضور المسيح الجسدي الى شركة اكثر روحية مع المسيح ذاته الذي هو منذ الان غائب بالجسد؟ وينتج عن ذلك باننا، من وجهة نظر المضمون الكريستولوجي، بلغنا الى ذروة الوحي وذروة ايمان العهد الجديد.

وهكذا، وبعد الاخذ بعين الاعتبار الابحاث الحالية عن "الصيغ" (Formgeschichte)، وخارجاً عن كل جدال حول القيامة بصفتها حدثاً تاريخياً، فان الانجيلي يوحنا ذاته يقف ولا شك موقفاً جادًّا من الشهادات المتعلقة بترائيات المسيح. ذلك ان ترائيات المسيح يوم القيامة، وثمانية ايام بعدها، والالحاح الخاص على ان المسيح اظهر جروحه وجنبه للتلاميذ ولتوما، تشهد كلها جيداً على ان ليس هناك، بالنسبة الى يوحنا، اي شك يحوم حول امكانية المطابقة بين الرب يسوع الممجد وبين يسوع المصلوب والمائت.

فأنْ نعطي للروايات اليوحنانية بشأن الترائيات معنى رمزياً فقط، فذلك تجاوزٌ على النصوص. وهكذا ليس بوسعنا ان نؤيد اقوال بولتمان في تفسيره الشهير: "ان رواية توما، كما هي رواية مريم المجدلية... لا يمكن منحهما سوى قيمة نسبية... (بل ينبغي ان نعتبرهما) بالاحرى بمثابة كلام معلن اصبحت معه الاحداث المروية صوراً رمزية من اجل الجماعة..."(٣١).

هذا التأكيد هو من الدهشة، لا بل من الغرابة بمكان، لا سيما حين نعلم ان مؤلف الانجيل الرابع، اكثر من الازائيين، يبرز الطابع شبه الطبيعي لجسد المسيح ابان الترائيات. لماذا يشهد كثيراً

(٢٩) متى ١٦: ١٦.
(٣٠) يو ١١: ٢٧.
(٣١) النص الاصلي في ر. بولتمان: المصدر المذكور.

يوحنا، وهو اللاهوتي، مؤلف الانجيل الاكثر روحانية، على هذا الطابع البشري بالكامل للمسيح الذي عاد حياً؟ ويترتب علينا إذّاك، مع دود[٣٢]، ان نتساءل بتراهة: لماذا يتجنب يوحنا، في روايات الترائيات –وهو يُظهر على مدى انجيله اهتماماً واضحاً بمجد المسيح السماوي والالهي– اي تلميح الى هذا المجد ذاته، خلافاً لمتى على سبيل المثال؟ عن هذا السؤال، من الصعب علينا ان نعطي جواباً يسير في الخط الذي تقدّم به بولتمان. فالجواب الذي يفرض نفسه: أليس لأن يوحنا، وهو مؤلف الانجيل الروحي بامتياز، شعر انه مُلزَم على التشديد، لا على كون المسيح عاد في المجد الالهي بالقرب من ابيه، وانما على الحدث الذي هزّه الى حد كبير، بصفته شاهد عيان: فالمسيح الرب يستعيد ويواصل، كما قبل آلامه وموته، علاقاته الشخصية مع التلاميذ ومع الرسول توما.

٢. ايمان شخصي وجماعي

قد نتعرض، لاول وهلة، لتجربة الاعتقاد بان هذا الانتقال من الخبرة الحسية الى الايمان الروحي، في حالة التلميذ الحبيب ومريم المجدلية والتلاميذ وتوما، انه مسألة شخصية بحدّها، يختفي منها البعد الجماعي. وبهذه الطريقة سنصل الى تفسير "انفرادي" بالكامل للاحداث. لا شك ان المسيح الشخصي العائد الى الحياة "**مساء ذلك اليوم، اليوم الاول من الاسبوع**" (اعني يوم القيامة: آ ١٩) و"**بعد ثمانية ايام**" (آ ٢٦)، استعاد علاقاته مع اشخاص احياء، ولكن كل شيء يجري، في الوقت ذاته، في اطار جماعي وعلى مستوى جماعي. وفوق ذلك، من الممكن، لا بل من المحتمل، ان تكون روايتنا، ولا سيما اعتباراً من الاية ١٩، قد صيغت، الى حد ما، في اطار الصلاة المسيحية الجماعية في الليتورجيا، وهي تماثل المشاعر والقناعات الايمانية التي طبعت الكنيسة وعاش فيها الانجيلي وعمل. ونفكر بالتحديد في احتفال عيد الفصح في الجماعات المسيحية الاولى.

لنذكر عدداً من السمات التي قد توحي بهذا التجذّر الليتورجي، او بالاحرى الفصحي لمقطعنا. هل ان وجود التلاميذ مجتمعين "**مساء ذلك اليوم، اليوم الاول من الاسبوع**" (آ ١٩) و"**بعد ذلك بثمانية ايام**" (آ ٢٦) مجرد صدفة، ام تلك لمسة ليتورجية، اي انهم، في الحالتين اجتمعوا، يوم الاحد، "يوم الرب"، وقد اصبح باكراً جداً يوم التجمع المسيحي (رسل ٢٠: ٧)؟[٣٣]. كما ان عبارة "من جديد" (مرة اخرى) (palin)، في الاية ٢٦، تدَعنا نستشف ان المسيحيين لا يجتمعون كل الايام.

---

(٣٢) س. هـ. دود: المصدر المذكور. راجع متى ٢٨: ١٦–٢٠.

(٣٣) نجد تحليلاً جيداً للمسألة يأخذ بعين الاعتبار آخر معطيات العلم، في و. رودورف، الاحد: تاريخ يوم الراحة والسجود في اقدم الاجيال للكنيسة المسيحية، لندن ١٩٦٨ (بالانكليزية).

فمن جهة، كان تسليط الضوء على يوم الاحد، لمسيحيي زمن يوحنا، كما لنا نحن ايضاً، تذكيراً بمعناه الكريستولوجي، بصفته الذكرى الاولى للاحداث التي طبعت الفصح المسيحي الاول. وفضلاً عن ذلك، فان ابراز يوم الاحد يوضح مدى الاهتمام الذي اولاه المسيحيون الاولون للاحتفال به. ومن ثم، وعلى دفعتين، في اول تراءٍ للتلاميذ، كما في الترائي لتوما وحده، نرى يسوع يبارك الجماعة ويعلن تمنياً بالسلام والسعادة (آ ١٩ و آ ٢٦) يوحي بذلك التمني الذي اصبح مألوفاً في اجتماعات المسيحيين الاولين. وبالاكثر، في المقطع الذي يخصنا مباشرة، نرى المسيح القائم يعرض على توما جروحه، وبشكل خاص جنبه المفتوح، مما يثير لدى الرسول تلك الصرخة التي رافقها الإعجاب: "**ربي والهي**". يُحتَمل ان هذه العبارة توحي بالافخارستيا كما كان يُحتفل بها في زمن يوحنا، بصفتها تذكاراً لآلام الرب وموته. وقد يوحي اعتراف توما الايماني بحياة الصلاة، وبشكل خاص بالمجدلات التي كانت مستخدمة في الكنيسة المسيحية في زمن يوحنا. وهل يكون مدهشاً جداً لو عرفنا ان رواية ترائي المسيح القائم للرسول توما كانت تُقرأ في الاحتفالات الافخارستية في زمن الانجيل الرابع؟ فالمسيح المصلوب والممجد، في كل احتفال افخارستي "يأتي"، كما "كان قد اتى" من اجل التلاميذ ومن اجل توما. وهكذا يظهر من جديد، مرة اخرى، الرباط المميز في انجيل القديس يوحنا، بين المسيح التاريخي وبين مسيح الصلاة المؤمنة.

واخيراً، في القسم الثاني من الآية ٢٩، يتسع أفق الفكر حتى يعانق، في تطويبه واحدة، كل المسيحيين من كل الازمان. وسيكون من الصعب جداً ان نكتشف، في الانجيل الرابع، قولاً ذا رنة جماعية يعبر بالاكثر عن الايمان الجماعي.

خلاصة

في هذا الاحد الثاني بعد القيامة، وعبر قراءة رواية ترائي المسيح القائم للرسول توما، وعبر خاتمة انجيل القديس يوحنا، تدعونا الكنيسة الى ان نقوم ونجدد القيام بدورنا بالطريق الذي يقود من رؤية الايمان وسماع الكلمة الى اعتراف الايمان. فنحن ايضاً، على مثال توما، قد نكون عرفنا او نعرف اوقات عدم الايمان والارتياب؛ ونحن ايضاً، نجدنا باستمرار تقريباً في بحث عن بداهة ويقين مطلقين لا يَدَعان اي مجال للشك. ولا سيما لأن حضور المسيح الجسدي، بالنسبة لنا، يعود الى ماضٍ بعيد جداً. لذا، فان قراءة الانجيل في هذا الاحد الثاني بعد القيامة تدعونا الى تجاوز للايمان نقوم به مجدداً، وباستمرار، بحضور المسيح الروحي بيننا، لكي تنطبق علينا نحن ايضاً التطويبة التي اعلنها المسيح: "**طوبى للذين يؤمنون ولم يروا**".

علامات القيامة

(متى ٢٨: ١-١٠)

بقلم كارلو م. مارتيني
(Carlo M. Martini)

المسيح على العرش (مع رموز الانجيليين)

فرناندو كليكو/ ١٤٩٢

٢٨ ١ولمَّا انقضى السَّبتُ وطَلَعَ فَجرُ يَومِ الأَحد،
جاءَت مَريمُ المِجدَليَّة ومَريمُ الأُخرى تَنظُرانِ
القَبْر.
٢فإذا زِلزالٌ شديدٌ قد حَدَثَ. ذلك بِأَنَّ مَلاكَ
الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّماءِ وجاءَ إِلى الحَجَرِ
فدَحرَجَه وجلَسَ علَيه.
٣وكانَ مَنظرُه كالبَرْقِ ولِباسُه أَبيضَ كالثَّلْج.
٤فارتَعَدَ الحَرَسُ خَوفاً مِنه وصاروا كالأَموات.
٥فقالَ المَلاكُ لِلمَرأَتَين: "لا تخافا أَنتُما. أَنا أَعلَمُ
أَنَّكُما تَطلُبانِ يسوعَ المَصْلوب.
٦إِنَّه ليسَ هَهُنا، فقَد قامَ كما قال. تَعالَيا
فَانظُرا المَوضِعَ الَّذي كانَ قد وُضِعَ فيه.
٧وأَسرِعا في الذَّهابِ إِلى تَلاميذِه وقولا لَهم :إِنَّهُ
قامَ مِن بَينِ الأَموات، وها هُوذا يَتَقَدَّمُكم إِلى
الجَليل، فهُناك تَرونَه. ها إِنِّي قد بلَّغتُكما".
٨فتَركَتا القَبرَ مُسرِعَتَينِ وهُما في خوفٍ وفَرحٍ
عَظيم، وبادَرَتا إِلى التَّلاميذِ تَحمِلانِ البُشْرى.
٩وإِذا يسوعُ قد جاءَ لِلِقائِهما فقالَ لهما: "السَّلامُ
علَيكُما !"فتَقَدَّمَتا وأَمسَكَتا قَدَمَيه
ساجِدَتَينِ له.
١٠فقالَ لَهما يسوع: "لا تَخافا ! إِذْهَبا فبَلِّغا
إِخوَتي أَن يَمضوا إِلى الجَليل، فهُناكَ يَرونَني".

(متى ٢٨: ١-١٠)

علامات القيامة

(متى ٢٨: ١-١٠)

بقلم كارلو م. مارتيني

يروي الانجيليون الازائيون اكتشاف القبر فارغاً، في اليوم الاول بعد السبت (متى ٢٨: ١-٨؛ مر ١٦: ١-٨؛ لو ٢٤: ١-١٢). ورواية متى هي ولا شك من اكثرها عمقاً لاهوتياً واكثرها غنى بالتفاصيل. فلقد كان هناك تقليد عريق -عرفه الانجيليون الآخرون- ينقل بان النسوة اللواتي جئن الى القبر في اليوم الاول من الاسبوع، كنّ قد وجدنه فارغاً، ولكن شخصاً سرياً اعلن لهن عن قيامة يسوع ووعد باعتلانه في الجليل. فعلى هذا الاساس بنى متى روايته، ولكنه استخدم ايضاً تفاصيل اخرى تلقاها ولا شك من التقليد الشفهي[1].

واضاف متى عليها وصفاً مقتضباً عن لقاء يسوع بالمرأتين العائدتين من القبر (متى ٢٨: ٩-١٠)، وهو بمثابة موازاة لترائيه لمريم المجدلية (يو ٢٠: ١١-١٨؛ مر ١٦: ٩). وليست الرسالة التي وكَلَها يسوع لهاتين المرأتين (متى ٢٨: ١٠) سوى تكرار لرسالة الملاك (٢٨: ٧). وهذه

(١) بشأن مشاكل الاختلاف بين الروايات الانجيلية، انظر ب. دي هيس: قيامة يسوع في الطروحات الدفاعية في الخمسين سنة الاخيرة، روما ١٩٥٣ (بالفرنسية)؛ ك. م. مارتيني: المشكلة التاريخية للقيامة في الدراسات الحديثة، روما ١٩٥٩ (بالايطالية).

السمة توحّد المقطع الثاني بالمقطع الاول، وتبرر الاقتصاص الجديد للمقطع الليتورجي الذي كان يتوقف سابقاً عند الآية ٧. وهكذا، فان وحدة متى ٢٨: ١-١٠ تتعلّق بكونها تُعِدّ، بشكل مضاعف، الترائي الكبير والنهائي في الجليل (٢٨: ١٦-٢٠)، وهو يشكّل الذروة اللاهوتية في انجيل متى.

وهكذا لا يسعى الانجيلي كثيراً إلى التشديد على مجد القائم وسلطانه، الا بطريقة غير مباشرة، عبر الرموز والعلامات، وبلغة تقليدية مستلهمة من الكتاب. وبهذه الطريقة يقود القارئ تدريجياً الى استشعار ابعاد الحدث السرّي الذي جرى في القبر، ويهيّؤه الى تلقي رسالة المسيح، بعد ان اتشح بملء سلطاته، ابان الترائي الكبير في الجليل.

ومع ذلك، لا ينبغي ان ننسى بان مقطعنا هو جزء من مجموعة اوسع: هناك كثير من العناصر تربطه بما سبق وبما تلا. فالنساء اللواتي جئن الى القبر (٢٨: ١) كنّ حاضرات ابان الدفن (٢٧: ٦١)، بالقرب من الصليب (٢٧: ٥٦). والزلزال الذي حدث (٢٨: ٢) هو شبيه بالزلزال الذي طبع موت يسوع (٢٧: ٥١). ولكن ذكر الحراس (٢٨: ٤) يدرج بالاكثر هذا المشهد في الرواية التي تمتد من ٢٧: ٦٢ والى ٢٨: ١٥. والهدف الدفاعي لهذه الرواية واضح جداً. انه يدحض الحكاية التي اختلقها اليهود لتفسير حدث القبر الفارغ الذي لا يمكن انكاره. ونلاحظ ايضاً ان هناك موضعين يطبعان الرواية بوتيرة خاصة، اذ يتناوبان الواحد مع الآخر: الحراس، وهم علامة عدم ايمان اليهود؛ والنساء، وهن علامة الانفتاح على الايمان[٢]. وهكذا نجد في الواقع:

٢٧: ١٢-٢٦: الحراس، وقد أقامهم اليهود بجانب القبر؛ ويُستبق اعلان القيامة (آ ٦٤) حين يُوضع على لسان عظماء الكهنة والفريسيين المرتابين؛

٢٨: ١: المرأتان عند القبر؛

٢٨: ٢-٤: هوذا الحراس يصبحون كالاموات من خوفهم لدى ترائي الملاك؛

٢٨: ٥-١٠: تتلقى المرأتان رسالة إلهية: فالقبر الفارغ يُفسَّر بالقيامة التي أُعلنت لهما بعين المفردات الواردة في ٢٧: ٦٤، ويصادق عليه حضور يسوع ذاته؛

٢٨: ١١-١٥: الحراس يرفعون تقريراً بالاحداث الى رؤساء الكهنة الذين تعكس طرقهم، بشكل حاسم، نيتهم السيئة.

أولا: المرأتان عند القبر (٢٨: ١)

مريم المجدلية ومريم الاخرى (راجع ٢٧: ٥٦) تذهبان الى القبر. فلقد كانتا شاهدتين على دفن يسوع (متى ٢٧: ٦١) كما على موته (٢٧: ٥٥+). ولما كانتا على معرفة تامة بالاماكن،

(٢) راجع ب. كيشتر: تفسير انجيل متى، اينسبروك ١٩٦٢ (بالالمانية).

كان بوسعهما ان تشهدا للاحداث العجيبة التي سيرويها الانجيلي. والانجيلي لا يحدد ساعة هذه الزيارة الى القبر الا بطريقة خفية. والعبارتان اللتان يستخدمهما هنا يُحتَمَل انهما تشيران، في آن واحد، إلى مساء السبت —حين كان اليوم الاول من الاسبوع يبدأ لدى اليهود- وإلى فجر اليوم الاول من الاسبوع. ذلك ان متى لم يشأ تحديد الوقت؛ وانما اكتفى بالتشديد على ان السبت (راجع ٢٧: ٦٢) كان قد انتهى، لكي يفسح المجال لاسبوع جديد، في الاول منه كانت الجماعات المسيحية القديمة تحتفل به بصفته "يوم الرب" (راجع ١ قور ١٦: ٢؛ رسل ٢٠: ٧؛ رؤ ١: ١٠).

لقد ذهبت المرأتان الى القبر **كي تَرَيا يسوع**. وكان التقليد يقول ولا شك انهن ذهبن ليبكين يسوع ويمسحن جسده بالطيوب (مر ١٦: ١؛ لو ٢٣: ٥٦-٢٤: ١). الا ان متى يهمل هذه التفاصيل لكي يُعِدّ تجلي القوة الاتية.

ثانيا: العلامات بالقرب من القبر

العلامات الخارقة التي جرت بالقرب من القبر هي على صلة مع نزول الملاك من السماء، وهي تظهر قوته، بقدر ما تدخلنا في السر الذي عليه ان يكشفه. لنتفحص هذه العلامات وفق الترتيب الذي وصفه به متى.

١. الزلزال (٢٨: ٢)

ينفرد متى بذكر هذا التفصيل، مستخدماً صفة (زلزال)، وهو من مفرداته الخاصة، وكذلك الفعل من عين الجذر[٣]. فمتى يستذكر ظاهرة مماثلة كانت قد حدثت بعد موت يسوع، وكان هو وحده قد اشار اليها: "زلزلت الارض وتصدّعت الصخور وتفتحت القبور" (٢٧: ٥١+). وهنا ايضاً، فان الزلزال هو في صلة مع زعزعة الحجر الذي كان على باب القبر، الا ان متى، وبكل بديهية، لا يتوقف عند هذه النتيجة من المستوى الطبيعي. فاذا كان قد نسبها الى **زلزال**، فلانه يرى فيه علامة سرية لحقيقة اخرى سامية. لقد كان التقليد يتحدث فعلاً عن حجر "**دُحرج**"، ولكن قد يكون ذلك فقط للاشارة الى ان القبر قد فُتح (راجع مر ١٦: ٣-٤).

(٣) في رواية تسكين العاصفة، وصف متى "هيجان البحر" بعين اللفظة اليونانية "زلزال" (٨: ٢٤)، بينما تحدث مرقس عن "عاصفة" (٤: ٣٧). فمتى، باستخدامه هذه اللفظة من المفردات الرؤيوية، اراد ان يشدد على الرمزية العقائدية للمعجزة. كما ان متى كان الوحيد بين الانجيليين الذي اشار، لدى دخول يسوع اورشليم، الى ان المدينة "اهتزّت" (زُلزِلَت) (٢١: ١٠).

كان الزلزال، في العهد القديم، احدى علامات حضور يهوه. فهو يحدث في تجليات سيناء (خر ١٩: ١٨؛ عب ١٢: ٢٦) وحوريب (١ مل ١٩: ١١). وكان يقال بشكل عام ان الارض ارتجفت امام وجه الرب (مز ١١٤: ٧). هذا الموضوع نجده بالاكثر في وصف "يوم يهوه" (اش ١٣: ١٣؛ يوء ٢: ١٠؛ ٤: ١٦) حين يتدخل الله ليدين وقائع التاريخ وبشكل حاسم.

ويمكننا ان نستنتج بان الزلزال، بالقرب من القبر، يُظهر عمل الله السري الذي يفعل في خط تدخلات يهوه الكبرى خلال تاريخ الخلاص، ويؤكد، في آن واحد، على البعد الاسكاتولوجي لقيامة يسوع حيث تُمارَس بقوة الدينونة الالهية. وقد يوحي ايضاً بقيامة الموتى من شعب الله، اذا ما قاربنا بين متى ٢٧: ٥١+ و٢٨: ٢ وبين حز ٣٧: ٧+ الذي تنبأ عن قيامة اسرائيل. إذ ان هذه القيامة تتم في اعقاب ظاهرة يُعبَّر عنها بعين الصيغة التي استخدمها متى ٢٨: ٢: **وحدث زلزال...** (حز ٣٧: ٧). وهكذا يكون معنى عودة العظام اليابسة الى الحياة قد اوجزه الله ذاته: "حين افتح قبوركم واصعدكم من قبوركم... وأُقرّكم في ارضكم" (حز ٢٧: ١٢). الا تذكّر هذه المفردات بمفردات متى ٢٧: ٥٢-٥٣: "تفتحت القبور، فقام كثير من اجساد القديسين الراقدين؛ خرجوا من القبور... ودخلوا المدينة المقدسة"[٤].

٢. ملاك الرب (٢٨: ٢-٣)

يُعِدّ الزلزال السري الوصف الاحتفالي لنزول "**ملاك الرب**"من السماء. وهذه التسمية نجدها مرراً، لدى القديس متى، في انجيل الطفولة، للاشارة الى الملاك الذي يتراءى ليوسف (١: ٢٠، ٢٤؛ ٢: ١٣، ١٩). فهي تذكّر بـــ "ملاك يهوه" في العهد القديم. وعبارة "**نزل من السماء**" -وهي تبدو غريبة جداً- تشدّد على مشاركة العالم السماوي في السر الذي يجري بالقرب من القبر.

ومع ان مجيء الملاك يرافق الزلزال، فالى الملاك مباشرة تنسب حركة "**دحرجة الحجر**". فالملاك يجلس على هذا الحجر، علامةَ انتصار على كل محاولة بشرية لطمر عمل يسوع في صمت الموت، الى غير رجعة (راجع ٢٧: ٦٦). إلا اننا حتى الآن لم نجد اي ذكر لقيامته: ويجب ان ننتظر التصريح الاحتفالي للاية ٦. اما قارئ الرواية، فقد اصبح على وعي من انه ازاء انطلاقة خارقة لقوة يهوه. والعناصر التي يضيفها الانجيلي للحال، تشارك في تناغم اكبر لانتصار بهذا المستوى من البهاء.

ومتى، بعد ان اشار الى مجيء الملاك وتدخله الخارق، هوذا يصف لنا منظره، وفق تدرّج مدروس. فالنور الساطع لوجهه وبياض ثيابه كالثلج يطبعان التجليات الالهية الكبرى في الكتاب المقدس. فلدى دانيال، هوذا وجه ابن الانسان "يشبه البرق" (١٠: ٦)، والقديم الايام متشح "بثياب

(٤) راجع ج. م. ويدارت: الوحدة بين موت يسوع وقيامته لدى القديس متى، في مجلة الاكليروس الافريقي، ١٩٦٤ (بالفرنسية).

بيضاء كالثلج" (٧: ٩). وهكذا يوصف بهاء يسوع المتجلي بمفردات مشابهة (متى ١٧: ٢ وما يقابله). فمتى لا يستغني عن اية طريقة ادبية ليؤكد على الاهمية الخارقة للحدث الذي يكشفه حضور الملاك عند القبر.

٣. الحراس (٢٨: ٤)

الزلزال وظهور الملاك والحجر الذي دحرجه تدهش اولاً الحراس الذين أُقيموا عند القبر (٢٧: ٦٢-٦٦). وكان اول رد فعلهم الارتعاد والخوف اللذين يُثيرهما حدث سري يُستشَف منه حضور العالم الفوقي. وكان خوف مماثل قد استولى على التلاميذ لدى رؤيتهم يسوع يمشي على المياه (متى ١٤: ٢٦). ذلك ان اعتلان القوى الخفية تحيّر الانسان وتمنعه من ردة فعل طبيعية. وهكذا قيل بان الحراس "ارتعدوا" (اهتزوا): للفعل اليوناني عين الجذر كما للمصدر الذي كان يعني اعلاه زلزالاً. وهكذا فالانجيلي، بتكراره هذه اللفظة التي يركّبها، يجعلنا نفهم باننا بصدد تدخل عظيم لله. فالحراس "**اصبحوا كالاموات**"، اي انهم، وقد اضحوا تحت سيطرة الخوف، لم يَعُد بوسعهم ان يتحركوا او يتصرفوا باية طريقة كانت.

وسمح موقف الجنود للمؤلف بان يربط هذه الرواية بسابقتها (٢٧: ٦٢-٩٦)، لا بل حتى بالرواية التالية (٢٨: ١١-١٥) التي تورد حيلة عظماء الكهنة. وهكذا يكون المؤلف قد قاد بنجاح هدفه الدفاعي في هذا الفصل، فيما كان، في المقابل، قد اعدّ رسالة الملاك للنسوة. إذ ان تجلي القدرة الالهية تثير لدى كل انسان مشاعر الرعدة. ولكنه، اذا لم يكن منفتحاً للعمل الالهي، فسيبقى هذا العمل مغلقاً عنه ويُحكَم عليه بالعجز؛ اما اذا بحث عن الله، فخوفه سوف يتحول الى فرح، وسيندفع الى العمل بحماس. مثل هذا القانون يتضح للحال في موقف النسوة.

ثالثاً: رسالة الملاك

١. بشرى القيامة (٢٨: ٥-٦)

هوذا الملاك، دون مبالاة بالحراس، يتوجه الى النساء. وينقل مرقس ولوقا كلماته بمفردات متشابهة الى حد كبير. الا ان بعض اللمسات في الشكل يضفي لدى متى احتفالية خاصة: "لا تخافا **انتما**": وهذا الضمير المخاطب المثنى، فيما يضفي على المناشدة حلاوة ساميّة، يبرّزها بشكل اكبر. اما الجملة التالية، فقد سبّقها بعبارة "**...انا اعلم**"، للتأكيد بان الملاك يسيطر على الوضع، كما

سيتضح ايضاً من خاتمة رسالته: "**ها اني قد بلغتكما**" (آ ٧). ولكي يُشخَّص القائم جيداً، تُقرَن باسم يسوع صفة "**المصلوب**"، كما في مر ١٦: ٦، ولكن لا اسم "الناصري"، وهو اللقب الذي كان قد اعطي له في الزمن الذي عاشه مع البشر.

ان بشرى القيامة مطروحة في ترتيب متصاعد، على العكس من بشرى مرقس: "**انه ليس ههنا، فقد قام**". وحين يضيف اليها عبارة "**كما قال**"، فهو انما يعلن بشكل تام البرهان اللاهوتي الذي بموجبه تكون القيامة قد أتّمت كلام يسوع (راجع متى ١٦: ٢١؛ ١٧: ٢٣؛ ١٩: ٢٠). ومن المحتمل اننا هنا بصدد دحض لتجديف عظماء الكهنة والفريسيين: "ان ذلك المضلل قال اذ كان حياً: سأقوم بعد ثلاثة ايام!" (٢٧: ٦٣). ومع ذلك، فان نبرة المناداة بالبشرى، لا شك فيها البتة: فيسوع الذي صُلب (راجع رسل ٢: ٣٦؛ ١ قور ١: ٢٣؛ ٢: ٢، غل ٣: ١) قد قام (راجع رسل ٣: ١٥؛ ٥: ٣٠؛ ١٠: ٤٠؛ ١ تس ١: ١٠؛ ١ قور ١٥: ٤). وتجب الملاحظة هنا الى ان الفعل هو في صيغة اللازم، من دون ذكر الآب بصفته صانع القيامة، كما نجدها عادة في النصوص الاخرى.

اما المرأتان، فهما مدعوتان الى التطلع الى المكان الذي كان يسوع راقداً فيه، وذلك للتأكد من حقيقة اقوال الملاك. ومن البديهي ان المشهد الذي ركّبه متى يختلف عن مشهد مرقس. فبحسب مرقس ١٦: ٤-٦، بلغت النسوة الى القبر ورأين الحجر قد دُحرج، ودخلن القبر حيث رأين شاباً بلباس ابيض يعلن لهن عن القيامة ويريهن الموضع الذي كانوا قد وضعوا فيه يسوع. اما رواية متى، فتترك الانطباع بان الحجر قد دُحرج بمرأى من المرأتين الواجمتين. والملاك يبشرهما بالقيامة قبل ان تدخلا الى القبر، ومن ثم يدعوهما الى الدخول للتحقق من انه فارغ. فمتى، بفضل هذه اللمسات الطفيفة، جعل المشهد ذا طابع كهنوتي بالاكثر: فلسنا بصدد اكتشاف مؤثر، كما لدى مرقس، وانما بصدد بشرى متدرّجة لأوجه الحدث الكبير المختلفة.

٢. الرسالة باتجاه التلاميذ (٢٨: ٧)

تتلقى المرأتان، كما في مر ١٦: ٧، مهمة حمل البشرى الى التلاميذ. الا أن متى يؤكد على ان هذه المهمة يجب ان تتم "**بسرعة**". ونجد الاشارة الى السرعة مرة اخرى في آ ٨. ونحن ندرك ماذا يعني الاسراع ازاء حدث خارق كهذا، من طبعه ان يقلب كل المشاريع ويقيم ترتيباً جديداً للامور.

كان على المرأتين ان تبشرا التلاميذ بان يسوع قد قام، وانه يسبقهم الى الجليل حيث يرونه. وهذا التكرار لبشرى القيامة، على بعد آية واحدة فقط، انما يؤكد على الحدث الكبير. أمّا "ها" المكررة على دفعتين في هذا السياق (راجع آ ٢)، فهي انما تشدد على المجرى السريع لهذه الاحداث غير المتوقعة.

في الجليل، هوذا التلاميذ "يشاهدون" يسوع. والعبارة تتعلق بترائي القائم، وقد رُوي في ٢٨: ١٦-٢٠، الا ان تكرارها في آ ١٠ يدعونا الى التفكير بمعناها في العهد القديم. فهي ترد اكثر من مرة في الكتاب المقدس اليوناني (الترجمة السبعينية) في سياقات نبوية تعلن عن حضور يهوه، سواء من اجل دينونة عقاب (حب ٣: ١٠ في السبعينية)، ام من اجل تدخّل للخلاص (اش ٣٥: ٢؛ ٤٠: ٥؛ ار ٣٨: ٣ في السبعينية؛ حز ٣٩: ٢١؛ ٢ ملك ٢: ٨). فيُحتمل ان يكون متى شاء ان يوحي بقرب تجلي قدرة يهوه الحاسمة في شخص يسوع، وقد اتشح بملء السلطات الالهية (متى ٢٨: ١٨).

"**ها اني قد بلغتكما**" تقابل "كما قال" في مرقس ١٦: ٧. ومثل هذه الكلمات الغريبة على لسان ملاك قد تجنبت تكرار الآية ٦، وفي الوقت ذاته اعطت تصديقاً احتفالياً لما قيل.

٣. رد فعل المرأتين (٢٨: ٨)

بين ترائي الملاك وترائي يسوع، هناك الاية ٨ التي تصف الانطباع الذي احدثته بشرى القيامة لدى المرأتين، فيما تُعِدّ اللقاء المؤثر والمفرح الذي سيلي. كان مرقس قد اكتفى بالتأكيد على الرعدة التي لحقت بالنساء ومنعتهن من ابلاغ البشرى في المدينة. وهو لا يقول إن كنّ بشّرن الرسل ام لا؟ اما متى الذي يحرص على اعلان مجد المسيح، فهو يقدم لنا المرأتين وقد اخذهما التأثر، ولكنهما ممتلئتان من الفرح بحيث اصبحتا حاملتين امينتين للبشرى.

فالمرأتان وُجدتا، اذن، وفي آن واحد، تحت تأثير **الخوف والفرح الكبير**: الخوف الذي كان قد استولى على الحراس انتابهما لدى اختبارهما احداثاً تكشف عن تدخل الهي خارق. ولكن، على الفور، يختلط بالخوف فرح عظيم، اذ ان كلمات الملاك أعطتهما اليقين من ان الحضور الالهي هو بالنسبة لهما علامة خلاص. كان المجوس قد اختبروا فرحاً مماثلاً لدى رؤيتهم النجم (متى ٢: ١٠)، وكذلك الرعاة لدى سماعهم بشرى ميلاد المخلص (لو ٢: ١٠). ويبدو ايضاً انه من الممكن ان نرى، في حدث القبر، تجلياً للدينونة الالهية يُحدث انقساماً بين البشر: فالخوف يبلغ بالذين لا يؤمنون الى العجز، ولكنه يتحول الى فرح لدى الذين يفتحون قلبهم للايمان.

ونرى المرأتين تتركان القبر **بسرعة، وتركضان** (راجع يو ٢٠: ٢) لتحملا البشرى الى التلاميذ. وهذا الاسراع ينسجم تماماً مع الوتيرة المرحة للرواية. وهوذا بغتة حدث غير منتظَر يوقف هذه المسيرة، سيكون بالنسبة للمرأتين بمثابة ذروة الاحداث الخارقة لبداية هذا الاسبوع.

رابعا: اللقاء مع يسوع (٢٨: ٩-١٠)

يجب ان نقارب بين مشهد لقاء المرأتين بيسوع ومشهد الترائي لمريم المجدلية (يو ٢٠: ١١-١٨؛ مر ١٦: ٩). ويناقش المفسرون فيما اذا كان يوحنا قد ركّز روايته على شخص واحد باهداف ادبية؛ او اذا كان متى، كما في حالات اخرى، قد استخدم الجمع التخصيصي[٥]. وعلى كل حال، فان للروايتين نقاط التقاء: نحن بصدد تراءٍ ليسوع، بوقت قصير بعد اكتشاف القبر فارغاً؛ وردة الفعل الطبيعية هي الارتماء عند قدمي يسوع ومعانقتهما، تعبيراً عن الحب (راجع يو ٢٠: ١٧)؛ اما بالنسبة الى يسوع، فهو يحمل رسالة الى "اخوته".

وشاء عدد من المفسرين ان يروا في هاتين الايتين اضافة متأخرة، إذ تبدوان وكأنهما قطعتا التوازي في الرواية (بالتناوب بين الحراس والنساء)، ولان كلمات يسوع كرّرت كلمات الملاك[٦]. لنذكّر بان متى، حين جعل يسوع يكرر هنا ذكر الجليل، فهو انما ركّز، الى اقصى الحدود، انتباه القارئ على خاتمة انجيله. فضلاً عن ان هذا الترائي للمرأتين ليس في لائحة الترائيات الرسمية (١ قور ١٥: ٥-٧).

لقد وُصف اللقاء ببساطة تشبه مشهداً من حياة يسوع العلنية. فالمعلم يبادر الى المرأتين من دون اية اشارة الى المجد، ويوجه اليهما التحية. ولكن، لا يمكننا ان ننفي بان هذه التحية تلتقي مع صرخة الفرح التي تُفتَتَح بها الاعلانات المسيحانية للخلاص (راجع صف ٣: ١٤؛ يوء ٢: ٢١؛ زك ٩: ٩)، وهي صرخة جبرائيل بالذات في البشارة (لو ١: ٢٨)[٧]. وحينذاك، كان ينبغي ليسوع ألاّ يقول "السلام عليكما" بل "**افرحا**". ومن جهة اخرى، فان عبارة الاية ١٠ "**لا تخافا**" (راجع لو ١: ٣٠) وعبارة "**يرونني**" توحيان بسياق بشارة. وعلى العكس، فان متى يستخدم، في مواضع اخرى، الكلمة ذاتها بمعنى التحية لا غير، سواء جاءت على لسان رجل ساميّ (٢٧: ٤٩) ام على لسان غرباء (٢٧: ٢٩).

وحين عرفت المرأتان يسوع، سجدتا له وعانقتا قدميه. وحركة السجود هذه، وهي مألوفة في الانجيل (٨: ٢؛ ٩: ١٨؛ ١٤: ٣٣)، تتسم هنا باحتفالية خاصة؛ وما ان اقترنت بتقبيل القدمين، اصبحت تعبر، في آن واحد، عن الحب المليء بالاحترام، كما عن فرح المرأتين اللتين عادتا فرأتا معلمهما حياً. وهوذا يسوع، على غرار الملاك، يحرّضهما على عدم الخوف وعلى الذهاب الى

(٥) راجع ب. بنوا: مريم المجدلية والتلاميذ عند القبر بحسب يوحنا ٢٠: ١-٨ (١٩٦٠) (بالفرنسية).
(٦) راجع ب. كيشتر: المصدر المذكور.
(٧) راجع ب. بنوا: البشارة، في مجلة Assemblées de Seigneur.

اخوته وابلاغهم بان يذهبوا الى الجليل. وتبدو صيغة الامر **"اذهبا"** بمثابة حثّ على عدم التوقف بالقرب من الرب (راجع يو ٢٠: ١٧). والقائم، حين قال **"اخوتي"** عوضاً عن "تلاميذي" (آ ٧)، فهو انما عبّر عن الحميمية الجديدة التي تشدّه الى اخصائه الذين يغفر لهم بسخاء تعثرهم في ساعة الآلام (راجع يو ٢٠: ١٧).

خاتمة

لقد وُجد قبر يسوع فارغاً. ويُجمع على هذا الحدث اليهود والمسيحيون في اورشليم. ولكن، فيما لا يفسّر اليهود هذا الحدث الا بطريقة طبيعية وينغلقون على الايمان، يجد المسيحيون فيه المعنى الصحيح والعميق في الرواية التي كانت، اولاً، شفهية، ودونت من ثم في الاناجيل، وبالاخص في انجيل متى الذي اعاد صياغتها من وجهة النظر اللاهوتية. فالقبر فارغ، لان يسوع الذي صُلب قد قام من بين الاموات.

كان الملاك من السماء الذي، عبر زلزال، دحرج الحجر من القبر وارعب الحراس، قد اعلن هذه القيامة. وهو، عبر العلامات التي رافقته، يتيح لنا ان نفهم بان القيامة هي التدخل الاسكاتولوجي الكبير لله. فهي تفتتح النظام الجديد للامور والذي سيتجلى تماماً عبر ترائي الرب في الجليل، كما يضمن الانتشار الشامل لرسالته، وبذات الوقت يُعد مجيئه الاخير.

فالمسيحي الذي، في ليلة الفصح، يتأمل هذه الاحداث الخارقة، هو كالنساء، في آن واحد، ممتلئ من الخوف امام سر صاعق الى حد كبير، ومن الفرح الطافح ازاء ظفر المسيح. وسيدفعه هذا الفرح، هو ايضاً، الى مقاسمة البشرى مع الاخرين وبحماس. ولكنه، منذ الان، عبر مشاركته السرية (الافخارستية) في السر الفصحي، يتلقى رهاناً بحضور المسيح الحي بين البشر وبعمله الخلاصي الشامل.

لي فيك بوقٌ!

ليعلن لسانكِ، منذ الآن، هذه الأشياء، أيتها المرأة
ويفسرها لبني الملكوت
الذين ينتظرون أن استيقظ، أنا، الحي
اذهبي سريعاً يا مريم إلى جمع تلاميذي
فان لي فيك بوقاً ذا صوت قوي
أنشدي نشيد سلام لآذان أصدقائي المختفين الخائفة

أيقظيهم جميعاً كما لو كانوا في رقاد
لكي يأتوا إلى ملاقاتي
وليضرموا المشاعل.
اذهبي فقولي: العريس استيقظ وهو خارج من القبر
دون أن يترك شيئاً في القبر
أيها الرسل، اطردوا الحزن المميت، لانه استيقظ
ذاك الذي يمنح البشر الساقطين القيامة

رومانوس المرنم(٨)

(٨) رومانوس المرنم شاعر وشماس انجيلي في بيروت ومن ثم في القسطنطينية في القرن السادس. اناشيد ٤٠، ١٢، ترجمة ج. كروسيدييه من ماتون، في سلسلة "ينابيع مسيحية".

"تلمذوا كل الأمم"

(متى ٢٨: ١٦–٢٠)

بقلم ولفكانك تريلينك
(Wolfgang Trilling)

١٦وأَمَّا التَّلاميذُ الأَحَدَ
عَشَرَ، فذَهبوا إِلى
الجَليل، إِلى الجبَلِ
الَّذي أَمَرَهم يسوعُ أَن
يَذهَبوا إِليه.
١٧فلَمَّا رَأَوهُ سَجَدوا له،
ولكِنَّ بَعضَهُمُ ارْتابوا.
١٨فَدَنا يسوعُ وكَلَّمَهم
قال: "إِنِّي أُوليتُ كُلَّ
سُلطانٍ في السَّماءِ
والأَرض.
١٩فاذهَبوا وتَلمِذوا جَميعَ
الأُمَم، وعَمِّدوهم بِاسْمِ
الآبِ والابْنِ والرُّوحَ
القُدُس،
٢٠وعَلِّموهم أَن يَحفَظوا
كُلَّ ما أَوصَيتُكُم به،
وهاءنذا معَكم طَوالَ
الأَيَّامِ إِلى نِهايةِ العالَم".

(متى ٢٨: ١٦-٢٠)

"تلمذوا كل الامم"

(متى ٢٨: ١٦-٢٠)

بقلم ولفكانك تريلينك

الايات التي ندرسها هنا تشكّل الاكتمال العظيم واكليل الانجيل الاول، فهي تنير تفسيره الشامل[١].

أولا: كلمات يسوع ام "كلمات الجماعة"؟

يتضمن انجيل لوقا امراً بالرسالة (لو ٢٤: ٤٧+)، وكذلك انجيل مرقس، اقله في ما يسمى الخاتمة "القانونية الثانية" (مر ١٦: ١٥). فان الامكانية التاريخية بأن يكون يسوع الرب القائم، في آخر حياته، قد وَكَل الى تلاميذه مهمة الكرازة برسالة الانجيل في العالم اجمع، فذلك امر لا يمكن

(١) راجع و. تريلينك: دراسة في لاهوت انجيل متى، ليبزيك ١٩٥٩؛ طبعة ثالثة منقحة، ميونخ ١٩٦٤ (بالالمانية)؛ السمات الرئيسة لكنيسة المسيح (متى ٢٨: ١٨-٢٠) في Assemblées du Seigneur.

معارضته. وبالعكس، يبدو الامر محتملاً جداً، وان كان نص الاناجيل غير موحّد. وحتى لو لم يكن في حوزتنا اي من النصوص الازائية، فان الممارسة الرسولية، منذ اقدم ازمنة الكنيسة، لن يتاح لها ان تُفسَّر بشكل عقلاني دون امر مثل هذا من الرب.

في نص متى، تبدو المشاكل المتعلقة بالصلة بين كلمة اصيلة ليسوع ونشاط "الجماعة"، في غاية التعقيد. وهذا يعود بشكل عام الى المفردات الكنسية، ولا سيما تلك التي تخص الامر **بالعماذ**، تتعلق بالامر بالعمل التبشيري، وبالصيغة الثالوثية لهذا الطقس العماذي، وهو يعود الى زمن متأخر. اما بقية كتابات العهد الجديد، فهي لا تعرف سوى العماذ "باسم يسوع"[٢]. فبعضهم يحاول ان يرقى بكل قوام النص الى يسوع، او اقله في جوهره، وبعضهم يعتبر النص برمته من وضع "الجماعة". وكل واحد، سواء كان مفسراً بيبلياً او واعظاً او مسيحياً مؤمناً، يترتب عليه، "ظاهرياً" ان يختار بين هاتين الامكانيتين. وهذا الوضع يشبه مأزقاً وكأن لا مخرج منه[٣].

لذا يترتب علينا، في مرحلة اولى، لكي نحدد جيداً رؤيتنا، ان نقدّم بعض الملاحظات حول هذه "الطريقة لطرح المسألة". فان المسألة في خلفية النص، ليست بالتالي مسألة تفسيرية محضة، وانما مسألة هيرمينوتيكية (تتعلق بفعل الروح). فمن وراء هذين المفهومين نجد رؤية معينة للكنيسة الرسولية: فبحسب المفهوم الاول، يكون "يسوع التاريخي" منفصلاً عن وجود الكنيسة بما يمكن ان يُسمّى "هوّة الفصح". ومن هاتين **الطريقتين** المختلفتين **للنظر** الى "يسوع التاريخ" و"مسيح الايمان" (وهما ممكنتان وضروريتان حتى في التفسير الكاثوليكي للكتاب المقدس)، نجدنا بازاء **وضعين تاريخيين** مختلفين تفصل بينهما "هوة". فالايات ١٨-٢٠ يجب بالتالي ان تُعتبر وثيقة تتعلق بتنظيم الكنيسة وبقناعة الايمان لا غير. وفي المعسكر الثاني، يُعتقد انه من غير الممكن تأمين الاستمرارية ما بين يسوع والكنيسة **إلاّ** اذا ارجعنا، على الاقل، الامر بالرسالة ووصية العماذ الى امر متعمَّد من قبل يسوع. فان الانحياز المسبَق لصالح المناداة بالبشرى (kérygmatique) له ما يقابله في انحياز "المؤرخ" المهتم بالدفاع عن الكنيسة.

هذه الطريقة في طرح مجمل المشكلة تبدو ضيقة جداً. فلقد اصبح من الواضح، اكثر فاكثر، في السنوات الاخيرة، من ان فصلاً تامًّا ما بين الوجه التاريخي ووجه المناداة بالبشرى هو من الصعوبة

---

(٢) راجع ج. ديلينك، برلين ١٩٦١.

(٣) ج. شنايدر (برلين ١٩٦٠/بالالمانية) يبين اننا لا نستطيع ان نجد في نشاط يسوع التاريخي ما يبرّر الممارسة العماذية في الجماعة الاولى. ونجدنا بازاء شبه "قطيعة تاريخية". ومع ذلك، ليس من شك في ان الرسل على يقين من ان العماذ الذي كانوا يمارسونه والذي مُنِحَ للمرة الاولى يوم العنصرة، قد امر به المسيح نفسه. وهذا ما كان يبرر طريقتهم في العمل، ولم يكن لهم غيرها". فمن جهة، هناك "قطيعة تاريخية"؛ ومن جهة اخرى هناك "قناعة الرسل" التي لا يمكننا ان نكتشفها الا عن طريق الاستنتاج. هذا المثل يبين جيداً بان الخيار "الروحي" (**herméneutique**) (له صلة بالروح القدس) الذي سنتكلم عنه ادناه، يحمل الوضوح. ج. ر. بيزلي-موري: العماذ في العهد الجديد، لندن ١٩٦٢ (بالانكليزية) حاول ان يبرهن على اصالة متى ٢٨: ١٨-٢٠.

بمكان، لا بل غالباً ما يكون مستحيلاً. فكل مواد الاناجيل، في اقسامها وفي تأليفها، تتعلق كلياً بالاهتمام بالمناداة بالبشرى لدى مؤلفيها، ووراءه يجب ان نرى نشاط الكرازة لدى الكنيسة الرسولية الاولى. وان يسوع الذي نلتقيه في الاناجيل ليس سوى "المسيح الرسولي"[٤]. إلاّ حين نحاول ان نرى **يسوع والكنيسة** معاً، وحين نحكم انطلاقاً من الكنيسة ومن ايمانها، دون ان نفصل "يسوع التاريخ" عن "مسيح الايمان"، لا في التاريخ ولا في الوقائع، نحصل، دون افكار مسبقة، على حرية في معالجة المشاكل التاريخية والتفسيرية واللاهوتية لهذا النص. واذا كان من الضروري جداً ان نطرح، حتى في داخل الاناجيل، المسائل المتعلقة بشأن الاصل التاريخي، فلا بد ايضاً ان نرى بأننا مع ذلك لا نؤمّن سوى فهم النصوص والاحداث التي تشهد لها، بينما يبقى **الادراك** بالذات مرتبطاً بالخيار الهيرمينوتيكي السابق (اي ما يتعلق بالروح).

فعوضاً عن هذه الردة: "تقليد اصيل عن يسوع ام وضع يتعلق بالكرازة الرسولية لدى الجماعة؟" نطرح هذا البديل: "تقليد رسولي شرعي ام تقليد غير شرعي؟". وفي هذا التضاد يندرج القرار الهيرمينوتيكي (ما يتعلق بالروح) الذي نحن ملزمون باتخاذه. فبعد هذا القرار فقط، ستكون لنا الحرية في ان نبرهن، حتى من الخارج، على "شرعية" تقليد ما، بفضل طرق تفسيرية محددة، ونقابلها مع مجمل الكرازة في العهد الجديد، فنثبت هكذا، حتى من وجهة النظر التاريخية، امكانيتها وقيمتها.

هذه الافكار التمهيدية بشأن الطريقة تسمح لنا ان نبلغ، بصدد نصنا، الى الخلاصات التالية:

١) لا يمكننا ان نعتبر نواةً لتقليد تاريخي سوى حقيقة امر بالرسالة من الرب القائم. وهذه الخلاصة تنتج عن النصوص الازائية الموازية، وعن التوجه المبدئي الشامل لعمل يسوع.

٢) ليس من الممكن ان نعيد، بطريقة النقد الادبي، نص متى الى احد تلك الاوامر الموازية، او ان نرى فيه توسعاً. فالنقاط التي تتعلق بالطرق الادبية تبدو ضعيفة جداً لهذا الغرض.

٣) يجب ان نعيد هذه الايات، في صيغتها الخاصة، الى المؤلف الاول للانجيل ذاته[٥]. فهي تتوافق مع المفردات وعالم الافكار التي يتميز بها وتحمل طابعه. فضلاً عن انها تحتل مكاناً مهماً في تأليف مجمل الكتاب.

في الصفحات التالية، سوف نتفحص اولاً الاطار —وتوحي به الايتان ١٦ و١٧— ومن ثم المخطط والمضمون للآيات ١٨–٢٠؛ وسنبحث اخيراً في التعليم الكنسي لهذه الايات الاخيرة.

---

(٤) بموجب عبارة من ج. شونكن، ميونخ ١٩٥٢ (بالالمانية).

(٥) راجع ج. بيتز (ميونيخ ١٩٦٣/بالالمانية): "بالعكس، فان الصيغة الثالوثية للعماذ في متى ٢٨: ١٩ لا تعكس قولاً حرفياً ليسوع حسب، وانما تعكس بالاحرى القوام الطقسي للصيغة العماذية في جماعة متى، او ايضاً تحديداً لاهوتياً للعماذ".

ثانيا: تركيبة الاطار (آ ١٦-١٧)

ان المشهد الختامي لانجيل متى هو، في الوقت ذاته، اكثر من رواية فصحية واقل منها"[٦]. بهذه الجملة بدأ كونتر بورنكام تفسيره للنص. ويجب ان نفهم من ذلك بان هذا المقطع ليس شبيهاً بالايات الانجيلية المفصّلة المتعلقة بالقيامة، لانه مقتضب جداً، ولا يقدّم عن المشهد سوى ملامح. الا ان المقطع هو ايضاً اكثر من رواية فصحية، اذ ان ابعاد اقوال القائم (آ ١٨-٢٠) تتجاوز بكثير ما تتضمنه الروايات الاخرى للقيامة.

لقد ذهب التلاميذ الى الجليل. ويرقى تحديد المكان الى امر الملاك (٢٨: ٧) والى امر يسوع للمرأتين، ويكاد يكون ذاته (٢٨: ١٠). وهذا الواقع يبيّن الصلة الوثيقة بين نصّنا هذا **وقصة القبر**. فلقد ضخّم متى هذه القصة من خلال لقاء يسوع بالمرأتين عند القبر (٢٨: ٩+)، ومن هنا شدّد أيضاً على قيمة شهادة القبر. ففي صباح الفصح، كانت الشهادة لصالح القائم ولحقيقة القيامة موجودة في كلّيتها. ولا يرى القديس متى نفسه ملزَماً بالعودة الى ما هو في أصل كل روايات الترائيات الاخرى في الاناجيل، وقد وجدت دعماً لها في ١ قور ١٥: ٣-٧: التقليد الرسولي الثابت الذي بموجبه يكون الايمان الفصحي لدى التلاميذ قد حفزته **ترائيات القائم**. وبحسب متى، فان الشهادة للقيامة والايمان الفصحي نجدهما مسبقاً في ٢٨: ١-١٠. وسيتخذ المشهد الختامي ٢٨: ١٦-٢٠، من جرى ذلك، وظيفة اخرى غير وظيفة قصص الترائيات التقليدية. ذلك ان النص ينقل الممجّد الى "زمن الكنيسة" -وقد أُولي السلطة الكاملة على العالم- وهو الذي يرسل تلاميذه، مع وصايا محددة، ويعد بحمايته لهم حتى منتهى الزمن[٧].

يتكلم النص بدقة عن "**الاحد عشر**" تلميذاً، لان يهوذا كان قد ذهب. ويبدو واضحاً ان تقليد رسل ١: ١٥-٢٦ لم يكن معروفاً. وكما في مكان آخر لدى متى، نرى ان عبارة "**الاثني عشر**" الخاصة -وهي المألوفة بالاخص لدى مرقس- تُمّحى وراء التسمية الاكثر اتساعاً والاكثر انفتاحاً، ألا وهي تسمية "**التلاميذ**"، وليس فيها هنا ما يدهش. فمتى لا يقول "رسل"، كما كنّا نتوخّى في هذه الفترة المتأخرة[٨]. وان الملاك في ٢٨: ٧ يتكلم عن "تلاميذه"، فيما تكلم يسوع في ٢٨: ١٠ عن "اخوته". فالاحد عشر كانوا، اذن، يُعتبرون رسلاً بحسب المفهوم الرسمي، ولكن

(٦) ك. بورنكام، توبنكن ١٩٦٤ (بالالمانية).

(٧) و. تريلينك (زوريخ ١٩٦٨/بالالمانية)؛ راجع ك.م. مارتيني: علامات القيامة (متى ٢٨: ١-١٠) في مجلة Assemblées du Seigneur.

(٨) من الواضح ان مفهوم "رسول"، في كنيسته، لم يكن قد تطور كثيراً من وجهة النظر اللاهوتية، كما انه لم يكن محدوداً جداً، عددياً، الا في المؤلفات اللوقاوية.

بمستوى اقل مما بحسب التسمية المثالية "تلاميذ"، اي بحسب علاقتهم الشخصية مع يسوع. وهذا يتجاوب بالاكثر مع مفهوم التلميذ لدى يسوع، ووفقاً للايتين ١٩-٢٠ ايضاً.

وان ما يُظهر بالافضل ان الاطار التاريخي قد لُمِّح اليه فقط، انما هي الاشارة الى **الجبل** حيث كان يسوع قد ضرب لهم موعداً. "فالجبل" ليس مكاناً يمكننا تشخيصه جغرافياً، بل هو المكان النموذجي للوحي. وهذه الملاحظة تصح بالنسبة الى العهد القديم كما الى القديس متى. فالمكان الذي يجري فيه التعليم العقائدي الكبير هو الجبل الوارد في ٥: ١ والذي اضفى على ذاك الخطاب عنوان "الموعظة على الجبل". و"الجبل" كان قد بُرِّز ايضاً في ١٥: ٢٩، وهو مرتبط بشكل وثيق، حتى في شكله، بالفصل ٥: ١. فكما في ٥: ١+، هكذا صُمم مشهد ١٥: ٢٩-٣١ بشكل يبرز اهمية ما يلي. فمن جهة، لدينا الموعظة على الجبل، ومن جهة اخرى، تكثير الخبزات (١٥: ٣٢-٣٩): من جهة، هو الوحي عبر كلام معلّم اسرائيل؛ ومن جهة اخرى، الكشف عن المخلص الذي يغذي شعبه، كما فعل موسى في البرية. في ٢٨: ١٦، يظهر "الجبل" للمرة الثالثة للتشديد، بشكل مواز، على اهمية كلام الوحي. ويقول متى: "الى الجبل الذي **دعاهم** يسوع اليه". فهم، اذن، في علاقة التلاميذ تجاه المعلّم، علاقة مَن يطيعون تجاه الذي يأمر. ونجد الصورة ذاتها في ٢٨: ٧، ١٠ وفي ٢٨: ١٩-٢٠.

وان الفكرة التي بموجبها "يرى" التلاميذ يسوع، نجدها مُدرَجة في صيغة اسم فاعل باليونانية: "**سجدوا له**". وهنا لا نجد سوى ذكر مقتضب "لرؤية يسوع"، خلافاً لسائر روايات الترائيات الاخرى، ولكن لم يَعُد للرؤية فائدة بالنظر إلى الايمان الفصحي. فالفعل الهام هو بالنسبة الى متى انهم "سجدوا"، وهو يستخدم الفعل في معناه المحدد والدقيق لاهوتياً. ففعل "سجد" لا يُستخدم الا في حالة اناس عرفوا كرامة يسوع واعترفوا بها عبر فعل السجود هذا. تلك حالة المجوس في رواية الطفولة (٢: ٢، ٨، ١١) والحالة في شفاء الابرص (٨: ٢) كما في رواية التلاميذ في السفينة (١٤: ٣٣) والكنعانية (١٥: ٢٥). وحين لا يريد متى ان يعبّر عن فعل العبادة الدينية، فهو يستخدم منطقياً تعابير اخرى. ذلك ان اكرام التلاميذ يتسم بطابع عبادة دينية، لا بل ليتورجية. انه يعبر مسبقاً عن ما سيعلنه تصريح الآية ١٨ب بصدد سلطة يسوع.

ومن المدهش ان نرى **الشك** ينتصب في هذا النص المكثف جداً ذي الطابع المميز. فالملاحظة، في حد ذاتها، يمكن ان تترجم بطرق مختلفة: "الا انهم شكّوا"، وذلك يعود الى الجميع؛ او: "بعضهم شكوا" اي ما لا ينطبق سوى على فريق منهم فقط. وتبدو الترجمة الثانية اكثر احتمالاً بسبب موضوعها، اذ ان موضوع الشك يجب ان يُفهم، وكذلك سائر معطيات الايتين ١٦-١٧، بشكل نموذجي ولاهوتي. انه يبرز مراراً في روايات ترائيات اخرى. الا ان الشك يتم التغلب عليه بشكل مختلف في كل مرة: حين يطلب القائم أكلاً (لو ٢٤: ٤١+)؛ او حين يظهر يسوع مرة اخرى للتلاميذ الذين كانوا اولاً غير مصدّقين (مر ١٦: ١٤+)؛ أو حين يكون باستطاعة توما ان

يلمس جروح يسوع (يو ٢٠: ٢٤-٢٩). ولكننا لا نجد هنا شيئاً من هذا. ويجب، دون ريب، ان نعطي الحق للمفسرين الذين يربطون موضوع الشك بمشاكل الزمن اللاحق. فالجماعة آنذاك كانت تبحث، من وراء "رؤية يسوع"، عن قناعة جديدة تتعلق بالقائم "بعد ان اصبحت الرؤية تقليداً وحدثاً من الماضي"[٩]. فلا يكون الشك، اذن، يتعلق ببعض التلاميذ تجاه الحدث الماضي، وانما شك الجماعة وقد غُلب بكلمة القائم. ذلك ان التركيبة المثالية لكل هذا الاطار تتجلى ايضاً في هذه الملاحظة الصغيرة.

وان مصداقية هذا التفسير الكبرى تتضح جيداً من آ ١٨أ التي تشكل مدخلاً الى **خطاب يسوع**. فنحن بصدد كلمة علينا ان نسمعها، لا ان نراها (راجع يو ٢٠: ٢٩). اذ ان يسوع يتجلى، في كلامه، بصفته ذاك الذي أُقيم في السلطة ويتكلم بسلطة. وهو، من هذا الموقع، حاضر على مدى العالم، في الكنيسة، وحتى منتهى الازمان. وان عظمة اللقاء على الجبل توحي بها هنا عبارة "**جاء اليهم**". انه يأتي من البعيد نحو اولئك الذين هم تلاميذه، وهم الذين يطيعونه ويسجدون امامه باحترام. وهو وحده يستطيع ان يتجاوز المسافات بمجيئه اليهم.

ثالثاً: التصميم والمضمون (آ ١٨-٢٠)

ينقسم النص بوضوح الى ثلاثة اقسام يمكننا ان نحددها كما يلي: كلام وحي، توصية، وعد.

١. كلام وحي (آ ١٨ب)

هذا الوحي، وقد جعل في البداية، يحمل التأكيدات التالية: الوصية والوعد. "**أُوليت كل سلطان في السماء والارض**". وليس بوسعنا ان نبالغ في ابعاد هذا التصريح/المقدمة.

فالسلطة هي تلك التي منحها الله للرب يسوع بفعل قيامته، اذ انه، بحسب الكرازة الرسولية الاولى، قد أُقيم بصفته رب (**kyrios**) المسكونة وبصفته ديان آخر الازمنة. وهذا السلطان المطلق، لا حدود له في ذاته، وفي ملئه، وفي قوته؛ فهو، على مستوى المساحة، يعانق كل المسكونة (السماء والارض) على الطريقة التي اعتُرف بالله، في العهد القديم، بصفته رب السماء والارض، اي خالق المسكونة كلها وحافظها.

(٩) ج. بارت، نيكرشن ١٩٦٨ (بالالمانية)، في اثر و. ميشيل (١٩٥٠/بالالمانية) وك. بورنكام: المقال المذكور.

فيسوع، بصفته رباً (**kyrios**) "معتمداً" بهذا المستوى، يستطيع ان يعطي رسالة شاملة، ويربط كل البشر به حين يدعوهم الى "صفة التلميذ". انه **المعلم** الاوحد والحقيقي. وبوسعه ان يكون حاضراً دوماً بصفته سيد العالم، وبالتالي سيد التاريخ[١٠].

٢. توصية الرب (kyrios) (آ ١٩-٢٠أ)

لقد بُنيت توصية الرب وصيغت بطريقة دقيقة. والتأكيد الاساسي والمهيمن، هو انه ينبغي ان نجعل من كل الامم **تلاميذ**. والفعل (عمل تلاميذ). يضفي على الامر بالرسالة، لدى متى، سمة خاصة. فهذه اللفظة تقول اكثر مما تقوله لفظة "نادى" التي نجدها في نصوص مماثلة (مر ١٣: ١٠؛ ١٤: ٩؛ ١٦: ١٥؛ لو ٢٤: ٤٧). فليس المقصود ان نقدّم او نعرض البشرى فقط، بل ان نكسب اناساً من اجل علاقة شخصية وثيقة. ونموذج هذه العلاقة هي علاقة يسوع التاريخي مع تلاميذه الذين اختارهم هو؛ فلقد دُعوا الى اتّباعه، وادخلهم في مدرسته وشاء ان يرتبط بهم برباط شخصي (لا عبر تعليم او تقليد مدرسي). وهذا النموذج اصبح منذ الآن قاعدة لكل مسيحي: فصفة "تلميذ" هي، الى حد ما، التعريف الموجز للمسيحي.

اما مضمون حالة المسيحي هذه، فقد أُوضح عبر الفعلين التاليين في صيغة اسم الفاعل: "**تعميذهم... وتلمذتهم**". والجدال قائم حول العلاقة بين هذين الفعلين. هناك رأي اول يرى في كلمة "عمذوا" التفسير المباشر والوحيد لكلمة "تلمذوا"، بحيث نصل الى المعنى التالي: الدخول في وضع تلميذ يتم عبر العماذ؛ ومن ثم يجب ان يأتي تعليم الوصايا الادبية. اما الرأي الثاني الذي اشاطره، فيرى في تتابع الفعلين (في صيغة اسم الفاعل) **أمراً موضوعياً**: العماذ والتتلمذ يشكّلان وضع المسيحي، اي التلميذ[١١]. فالفعلان يخضعان للتعليم ويحددانه. ففي **الديداكيه**، يبدو التتابع في الترتيب المعاكس: "بعد ان تكونوا قد قلتم اولاً كل هذا، عمذوا..." (٧: ١).

هذا التعليم، يجب اعتباره، في الواقع، بصفته تعليماً اعدادياً للعماذ، اي كرازة سابقة للعماذ، ولا يوجد اي سبب مبدئي للقول بان العماذ، في كنيسة متى التي سبق ان ترسخت، كان يُعطى من دون هذا التعليم. وان المقارنة مع ديداكيه ٧: ١ حيث توجد ايضاً الصيغة الثالوثية للعماذ، تجعل من تلك المقولة طرحاً غير محتمل بالتمام.

---

(١٠) هذا التفسير للآية ١٨ب، انطلاقاً من اعتراف المسيحية الاولى به ربّاً، قد اثبته بشكل مقنع أ. فوكتل (١٩٦٤/بالالمانية)، وهو يدحض النظرية التي بموجبها يترتب علينا ان نفهم آ ١٨ب بصفتها "تتميم" النبوءة عن ابن الانسان في دا ٧: ١٣+.

(١١) راجع و. تريلينك؛ ج. ديلينك (وكلاهما بالالمانية). تجب الملاحظة ايضاً الى ان حالة المسيحي لا تبدأ مع العماذ؛ ولا يصح ذلك الا في حالة عماذ الاطفال حيث تكون اولوية زمنية ولكن غير منطقية، اذ تنقصها الاعمال المشهود لها في اماكن اخرى من العهد الجديد، بصفتها سابقة للعماذ: كرازة-اهتداء-ايمان-اعلان الايمان (راجع ج. بيتز: المقال المذكور).

اما في ما يتعلق بصيغة الامر بالعماذ، فيُدهشنا **انشاؤها الثالوثي**. ولكن لا يمكن الاعتقاد بألا تكون صيغة "باسم الاب والابن والروح القدس" **صيغة عماذية**. ولنا الدليل في المعنى الاول لكلمة "عموذوهم"؛ فالعبارة تقصد **اولاً**، كما هي الحال في الصيغ العماذية الاكثر قدماً، "باسم يسوع": باستدعاء الاسم[١٢]. وهناك برهان آخر من مستوى الاسلوب، يقوم في انه لا يُوجد اي تأكيد خاص على هامش الجملة "**باسم الاب والابن والروح القدس**"؛ بل يجب ان نرى فيها تحديداً اكثر وضوحاً لكلمة "عمذوا"، وهي بدورها تتعلق بكلمة "تلمذوا". وهكذا تؤيد هذه الصيغة، وبدرجة اولى، بان العماذ كان يُمارس بهذه الطريقة، في زمن تأليف هذا الانجيل، وفي الجزء من الكنيسة التي وُلد فيها. ويجب من ثم ان نتساءل: كيف يمكن لهذه الصيغة -وهي بمثابة صخرة متراصة في قلب التقليد الانجيلي- ان تُفسَّر وفق مجمل كرازة العهد الجديد. لنكتفِ هنا بالإدلاء بجواب على هذا السؤال.

لَكَم لُفت الانتباه الى بدايات الصيغ الثالوثية التي نجدها، ولا سيما في رسائل القديس بولس[١٣]. فاذا ما قورنت صيغتنا بهذه النصوص، بدت اكثرها تنظيراً واكثرها وضوحاً من وجهة النظر اللاهوتية. ومن الاهمية بمكان ان نكتشف الحقيقة التي تعكسها وتعبر عنها، وهي التي نجدها في الاناجيل الازائية: وفي المقدمة العلاقة الوثيقة في حياة يسوع وعمله مع **ابيه في الروح القدس**. ويمكننا ان نرى تجسيداً لها في هذه المقاطع الموازية حيث تُعطى لله وللروح القدس الوظيفة عينها: "اما اذا كنت باصبع الله (اي بقوة الله) اطرد الشياطين، فقد وافاكم ملكوت الله" (لو ١١: ٢٠). "اما اذا كنت انا **بروح الله** اطرد الشياطين..." (متى ١٢: ٢٨). ففي ضوء متى ٢٨: ١٩ب، يكون بوسعنا ان نفهمها، الى حد ما، وكأنها استباق للصيغة اللاحقة للايمان الثالوثي بالمعنى **الوضعي**؛ كما يجب علينا ان ننظر اليها انطلاقاً من التقليد الازائي، بصفتها انصهاراً **ديناميكياً** لأوجه العمل: حياة يسوع وعمله هما عمل وحياة الآب في الروح القدس. هذه العلاقة الديناميكية ذاتها نجدها في رسائل القديس بولس؛ فهي لا تنفي التوسع العقائدي اللاحق، بل تهيّيء له. ويمكننا القول بان آ ١٩ب تمثّل **التفسير** -بشكل موحّد بحسب الايمان وبفعل الالهام- لعمل يسوع، وفقاً للتقليد الازائي، كما نجده، بشكل مماثل كلّياً، وإن بصيغ مختلفة، في انجيل القديس يوحنا.

والامر الثاني المعطى في التوصية: ان **يعلّموا**. فعلى التلاميذ ان يعلّموا كما علّم يسوع نفسه: والانجيل بحسب متى هو الذي يقدمه بالاكثر بصفة معلم: "لان لكم معلماً واحداً، وانتم جميعاً اخوة" (متى ٢٣: ٨). والتشديد على لفظة "تعليم" و"علّم" هو من ميزات متى ويتناسب مع رؤية الانجيل برمته. ويمكننا ان نذكّر بهذا الخصوص "بالطريقة الرفيعة والمليئة السلطة، مع حفظ

(١٢) راجع ج. ديلينك: المصدر المذكور.

(١٣) على سبيل المثال ب. بنوا: التفسير البيبلي واللاهوت، باريس ١٩٦٢ (بالفرنسية).

المسافات، التي بها يتكلم يسوع، وواقع جلوسه حين يعلّم، وتنظيم المواد في مقاطع كبرى من التعليم، مع صيغ مكررة في الخاتمة، والاولوية للخطب والتعليم على الروايات، والصهر التعليمي للروايات..."[١٤]. وان فكرة "يعلّم" تشير الى تحول عميق: "فالانجيل" (ايفانكيليون، وهي لفظة يستخدمها دوماً وبشكل مطلق القديس مرقس) لا ينبغي ان "يُعلن"، وانما على "انجيل الملكوت" (راجع متى ٤: ٢٣: ٩: ٣٥؛ ٢٤: ١٤) ان يُعَلّم. فهو موضوع الكرازة وتنشئة المهتدين وتعليم الجماعة. لذا يترتب على الناس الذين اكتُسبوا للايمان، ومن ثم اعتمذوا، ان يكونوا مثبَّتين بالتعليم في الحياة الجديدة ومنشّئين للاتمام الواقعي لارادة الله كما للاقتداء بيسوع.

هوذا يسوع يقول بان على الرسل "ان يحفظوا كل ما اوصاهم به". والفعلان "**حفظ**" و"**اوصى**" (او أمر) يشددان على ارادة الله المطلقة تجاه تلاميذه، وعلى سلطة يسوع التي تفرض وصايا وشرائع وفق كرامته بصفته "ربًّا" (kyrios): وهي التي يُعبَّر عنها في الموعظة على الجبل ولا سيما عبر سلسلة المضادات (٥: ٢١-٤٨). فالعهد القديم، وبشكل خاص سفر تثنية الاشتراع، يستخدم عين العبارات لوصف ارادة الله في متطلباتها تجاه شعب العهد. الا ان التوازي ذاته يدعو الى تجنُّب حصر وصايا يسوع والالتزام بها في "الاوامر الخلقية" والتعليمات الادبية. ذلك ان تعليم يسوع برمته، طابع الالزام. ففي الموعظة على الجبل، لا يمكننا بالاخص ان نفصل العظة عن الوصية، فكلتاهما تنصهران في وحدة تامة: فموعظة يسوع بشأن التطويبات، على سبيل المثال (٥: ٣-١١)، هي في الوقت ذاته دليل لحياة التلميذ. وبالمقابل، فان الامر الخاص، على غرار الامر الذي يتطلب منا ان نكون مستعدين للغفران، هو دوماً، وفي الوقت ذاته، موعظة عن الله (راجع ٦: ١٤+). ذلك ان الانجيل **كله**، في حد ذاته، وعبر طابعه الداخلي ومضمونه، **تعليم حياة** للتلاميذ. وهذا التعليم الحياتي يجب ان يُلقى برمته، ودون تمييز، ولكن ايضاً من دون تخفيف طابعه المطلق. فالعنصران، اذا ما اتحدا، اي الفعل الاساسي للعماذ والانجيل المطبَّق في الحياة، يشكلان كلاهما ما يعنيه فعل "خلق تلاميذ"!

وتنفيذ هذا الامر، يجب ان يكون **شاملاً** بكل معنى الكلمة. وهذا لا يعني ان على "كل الخليقة" (مر ١٦: ١٥)، وعلى كل البشر ان يقبلوا بشرى الخلاص، وانما "**من كل الامم**" يجب ان "يُخلق تلاميذ". وهذه العبارة البيبلية توحي من جديد بالعهد القديم. فكل الشعوب مقصودة مبدئياً في هذا الوعد الذي صنعه لابراهيم. وعلى كل الامم، بحسب رسالة الانبياء، ان يتقبلوا الخلاص الاسكاتولوجي على غرار اسرائيل. وهذه الشمولية الاساسية في العهد القديم ليست بمنأى من شرط ومن حدٍّ يكادان يشكلان جزءاً من طبيعتها، علماً بان على الامم ان تتلقى الخلاص عبر المرور باسرائيل، وبعده، وبواسطته. وهذا الحد الذي ينسجم، في الواقع وبوضوح، مع التدبير الالهي للخلاص، ألا نستشعره محذوفاً او مُبعداً في النص الذي نحن بصدده؟ يجب بالاحرى ان نقول: اذا

---

(١٤) و. تريلينك (بالالمانية).

استطاع الانجيل ان يصوغ هذا الامر، فلأن الوعد لابراهيم ونبؤات العهد القديم، يجب ان تبلغ الى تتميمها، ولان الخلاص الذي كان ينبغي ان يبلغ الى الامم، عبر اسرائيل، هو **حاضر** الان. وهكذا يعكس هذا الامر الاكتمال الاسكاتولوجي الحاسم الذي لا رجعة فيه!

بين مضمون الآية ١٨ب بشأن "السلطة" يدلّ على ان الامر هو حقاً كذلك، وان ذلك يؤكده الايمان. فيسوع المسيح. بحسب هذا القول، قد دخل بصفة رب (Kyrios) في الربوبية الاسكاتولوجية الشاملة التي تمتد الى العالم اجمع، وبالتالي الى جميع الامم التي تنتمي منذ الان الى مدار سيادته. وان تحقيق هذه السيادة على الارض قد سبق ان بدأ في فريق التلاميذ الذين، بصفتهم اسرائيل الحقيقي، عليهم ان يكونوا منفّذي الوعد الشامل لكل الامم. لذا يتوجب على التلاميذ ان يُرسَلوا الى كل الامم. فلو لم يكن الامر كذلك، او اذا كانت هناك اية حواجز لا تزال تعترض هذا الانتشار الشامل، فمعنى ذلك ان يسوع المسيح ليس في الحقيقة ربًّا!

٣. الوعد (آ ٢٠ب)

يكرر هذا القسم الثالث من نصنا فكرة مألوفة في العهد القديم: "**هاءنذا معكم طوال الايام**". ففي الغالب، وعبر عبارات كهذه، يمنح يهوه اليقين من حضوره لمؤمن او نبي او شعب بأكمله. والمقصود دوماً في مثل هذه الحالات عون الله الفاعل، الرحوم والمخلِّص، ابان محن خارجية او ابان محنة الايمان. ويعد يهوه شعبه دون انقطاع بان يكون معه ولا يتركه لوحده. والرب (kyrios) يمنح عين اليقين لتلاميذه. فليس المقصود هنا الرسل الاحد عشر الواقفين على جبل الجليل، وانما يتجه النظر نحو شعب الله برمته، الى كل الذين سيصبحون تلاميذه. فالافق واسع، وتبدو النظرة وكأنها تعانق، دون حدود، المساحات والازمان. وحتى على صعيد انشاء النص، فهو لا يبحث عن تبيان ان الرب (kyrios) حاضر في وسط شعبه، بصفته سرّه الداخلي وحقيقته السرية، بقدر ما يكشف عن انه الى جانبه، في كل الأزمان وكل الاوضاع: ليساعده ويعزيه، ليحثه ويدعوه، ويرافق دوماً عمل مرسليه.

"**حتى نهاية العالم**". هكذا سيكون الرب (kyrios) مع تلاميذه ومع المبشرين بالانجيل. وهذه "اللانهاية" في توسعه الزمني، هي ايضاً خاضعة لسيادة المسيح. وسيادته لن يحاججها احد قط ولن يُنال منها. ويمكننا ايضاً ان نستشف، عبر القيمة الزمنية للعبارة، من ان هذا التوسّع اللانهائي لن يبلغ الى غايته في مستقبل قريب. فان انتظار المجيء الاخير هو ولا شك عنصر اساسي لزمن العهد الجديد، وانجيل متى مشبَع به هو ايضاً. الا ان انتظار المجيء، فاننا نجد الاشارة اليه بصيغ موزونة بشكل مختلف. فهو ليس ذاته حين يبدو وقد عُرض بقوة جارفة بصفته قريباً، او حين يبدو انه قد أرجئ الى مستقبل بعيد، وفقاً للخبرات التي عرفها الانجيل، عبر كرازته الصعبة ونموه الطويل والبطيء. فهذه الخبرات أثّرت بشكل اكيد، والى حد ما، في الانشاء.

رابعاً: التعليم الكنسي

نعرف ان عدداً من نصوص العهد الجديد او من بعد الزمن الرسولي تريد ان تعطي **تنظيماً للكنيسة** في مجملها او ان تتضمن بعض عناصره، او ايضاً التعريف عليها بشكل غير مباشر. وان عبارة "تنظيم الكنيسة" يوحي، بالمعنى الحصري، بالوجه المرئي للكنيسة خارجياً، بعد ان يكون قد تكوّن وتنظّم؛ ويعتبر جزءاً من هذا التنظيم: التدرج في الخدم التي تنتج عنه، قوننة الحياة العبادية (طقوس العبادة)، مشاكل التنظيم والتأديب في الجماعة. ويتضمن نصنا على الاقل بعض هذه العناصر التي يجب ان نأخذها بعين الاعتبار، بصفتها تنظيماً للكنيسة. ولعل اكثرها تميزاً ممارسة العماذ مع الصيغة العماذية "باسم الآب والابن والروح القدس". فالعماذ، بصفته مؤسسة، ينتمي الى تكوين الكنيسة؛ إلا ان المقطع الذي يدور حول العماذ ليس طرحاً مستقلاً، وانما عنصراً من الجملة. لذا لا يمكن ان ننطلق من هنا لنرى في هذا المقطع كله **"تنظيماً للكنيسة"** او على الاقل **"للجماعة"**. ففي الواقع، يبيّن السياق ان مفهوماً خاصاً بالكنيسة يتجلى في هذا المقطع كله. وهكذا يجب ان نرى التعليم الحقيقي لهذا النص: هناك عناصر "لتنظيم الكنيسة" قد ادرجت في الموضوع الاوسع الذي يُؤلفه مفهوم الكنيسة وصورتها.

هذا **المفهوم عن الكنيسة** يظهر اولاً في المفردات. انه ينجلي بالاخص في **لوحة التنظيم** الكنسي التي نستشفها من وراء الكلمات. وبالتفصيل، ذلك يعني باختصار: المسيحي يدعى **تلميذاً**؛ وهذه الصفة هي اقصر تعريف له. فمن دون هذا الرباط الشخصي مع يسوع، لا توجد معرفة حقيقية لله ولطرقه في الخلاص، ولا يوجد تتميم حقيقي لارادته. وحالة المسيحي تتأسس بشكل رئيس على **العماذ**. وهكذا تم تحديد البداية التي ارادها الله، وأُعلن اساس النعمة والاسرار في الحياة المسيحية. فواجب المسيحي هو ان يحفظ وصايا يسوع، اي ان يغرس في حياته كل **تعليم الحياة** الذي يتضمنه الانجيل. فالمرء يصبح تلميذاً بالعماذ، ويبقى تلميذاً بكل معنى الكلمة اذا ما حفظ اوامر يسوع. فكما ينبغي ان يعطى العماذ، كذلك ينبغي ان يُلقى تعليم الحياة. والوظيفتان هنا معهودتان الى الرسل الاحد عشر. وعليهما ان تناطا باولئك الذين يأتون بعدهم، طالما يتوجب على البشر من **كل** الامم ان يصبحوا تلاميذ.

بوسعنا ان نفهم ذلك بمعنى انفرادي، كأنْ نصف كيف يجب ان يكون المسيحي تلميذ يسوع. وحينذاك يكون "مفهوم التلميذ" هو ذاته "مفهوم الكنيسة". غير ان التوصية مؤطرة بالقولين الكريستولوجيين اللذين يتعلق احدهما **بالسلطة** والاخر **بالوعد**. وكلاهما يتمتعان باهمية، لا فقط كريستولوجية، وانما كنسية ايضاً ، اي انهما اساسيان لفهم الكنيسة. فبقدرة الرب (kyrios) الشاملة تأسس فريق تلاميذه، شعب الله، وقد انيطت به الرسالة الشاملة التي تمتد الى كل

الامم[١٥]. فالكنيسة لا تندرج فقط في "ما قبل" الوعد، بل تحمل مسبقاً في داخلها ملء سيادة يسوع وسلطانه. والفكرة ذاتها يُعبَّر عنها في الخاتمة. وبوسع **الكنيسة** بمكنها ان تتيقن من عون ربها الدائم لها، وعلى مدى الايام وحتى نهاية "الازمنة". ففي هذه التأكيدات نجد ما يؤمن المسيحيون ويعترفون به، اذ ان لها باجمعها طابعاً كنسياً.

ان هذه التأكيدات، قبل كل شيء —وهكذا نعود الى نقطة انطلاقنا– هي بمثابة توسّع وتفسير **شرعيين** لقانون الايمان الاول في العهد الرسولي الاول، اي: **يسوع هو الرب**. فلو كنا نستطيع ان نقول (بمعنى ما) عن العهد الجديد برمته، في كل اقسامه، انه توسّع في هذا الاعتراف الايماني الاول، وان هذا الاعتراف هو الاساس الذي عليه يستند، و"قاعدة الايمان" الداخلية والتشريعية، فسينطبق ذلك ايضاً على النص الهام موضوع دراستنا. ذلك اننا نجد هنا تصديقاً للنظرية السابقة التي عبّرنا عنها والتي بموجبها يكون الاية ١٨ب حول سلطة يسوع، القاعدة لكل ما يليه. وهذا القول بشأن سلطة يسوع ليس سوى صياغة جديدة موسعة على مدى شامل ومستوى لاهوتي ناضج، لاعلان الايمان الاول: يسوع هو الرب. وان الرباط مع التوصية والوعد يضفي على اعتراف الايمان الاول قيمته الكنسية الواقعية، دون ان يتغير جوهره. فمن وجهة نظر المؤلف، يصبح الاعتراف بالرب والاعتراف بالكنيسة واحداً. ومن وجهة نظر الرب الممجد الذي يتكلم بروحه القدوس عبر هذه الشهادة الرسولية، وعمله الخلاصي الفريد حتى صعوده، وعمل الكنيسة حتى مجيئه الاخير، كلها تشكل استمرارية لا غبار عليها.

(١٥) راجع تكرار لفظة "كل": كل سلطان، كل الامم، كل ما... كل الايام.

جسدك المرفوع بمثابة تقدمة

في هذا اليوم صعد إلى السماوات
الخبز الجديد والروحي
وكُشفت كل الاسرار
في جسدك المرفوع بمثابة تقدمة
مبارك هذا الخبز أيها الرب

على مثال النور فاض من السماء
ولد من مريم وكانه زرع إلهي
وتدلى على الصليب كالثمرة الناضجة
ورُفع إلى السماء كما ترفع التقادم
مباركة ارادته

مار افرام[١٦]

(١٦) مار افرام السرياني، شاعر وشماس انجيلي في كنيسة بين النهرين في القرن الرابع – نشيد لفرض الصعود في الليتورجيا السريانية.

التأكيد على قيامة المسيح

(١ قورنتس ١٥: ١-١١)

بقلم جول-ماري كامبييه
(Jules-Marie Cambier)

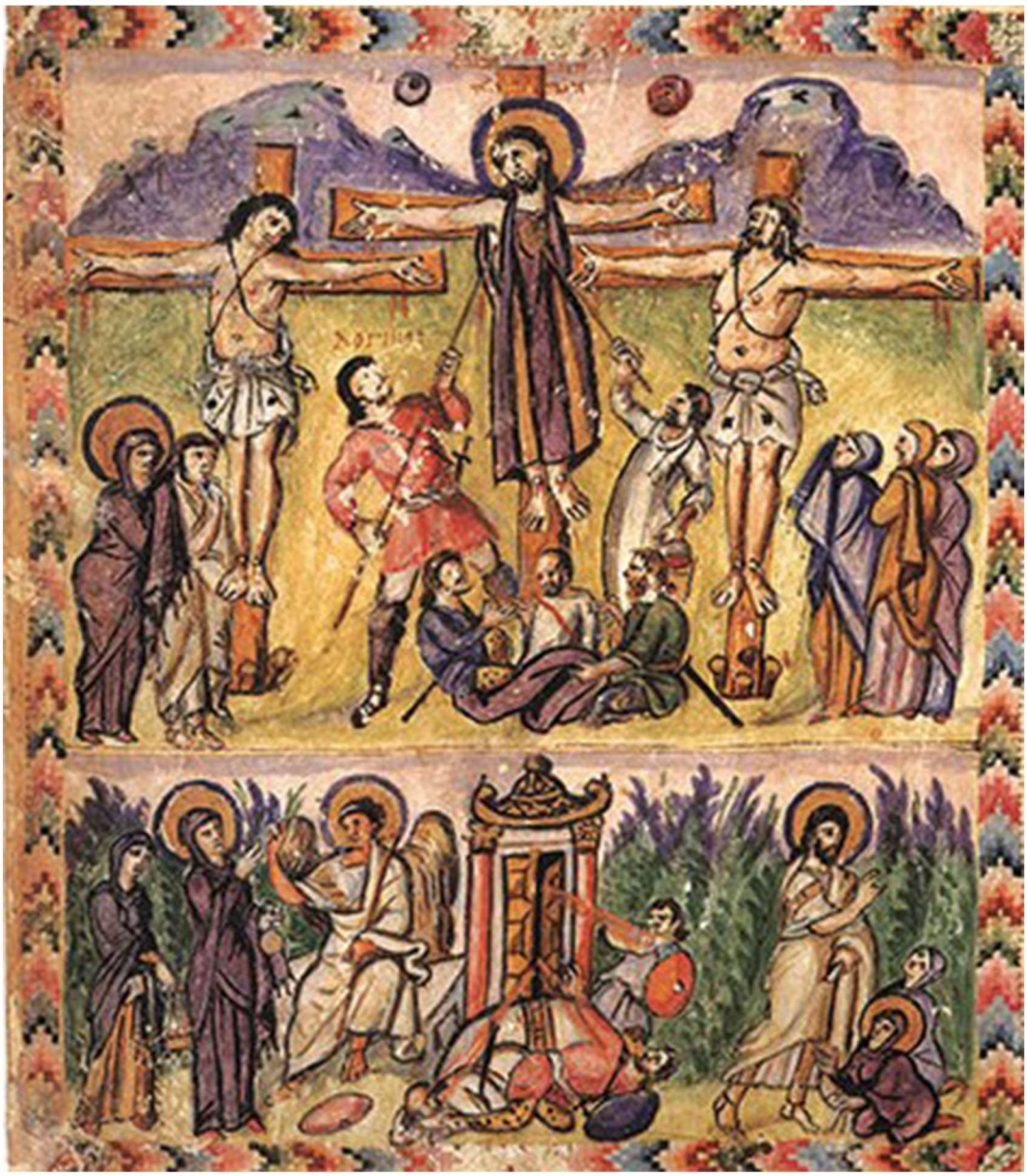

الصلب والقيامة

منمنمة في انجيل رابولا /القرن ٦

١٥ ١أُذَكِّرُكم أَيُّها الإِخوَةُ البِشارةَ الَّتي بَشَّرتُكم
بِها وقَبِلتُموها ولا تَزالونَ علَيها ثابِتين،
٢وبِها تَنالونَ الخَلاصَ إِذا حَفِظتُموها كما
بَشَّرتُكم بِها، وإِلاَّ فقَد آمَنتُم باطِلاً.
٣سَلَّمتُ إِلَيكم قبلَ كُلِّ شيءٍ ما تَسَلَّمتُه أَنا
أَيضًا، وهو أَنَّ المسيحَ ماتَ مِن أَجْلِ خَطايانا
كما وَرَدَ في الكُتُب،
٤وأَنَّه قُبِرَ وقامَ في اليَومِ الثَّالِثِ كما وَرَدَ في
الكُتُب،
٥وأَنَّه تَراءَى لِصَخْرٍ فالاثْني عَشَر،
٦ثُمَّ تَراءَى لأَكثَرَ مِن خَمْسِمِائَةِ أَخٍ معًا لا يَزالُ
مُعظَمُهُم حَيّاً وبَعضُهُم ماتوا،
٧ثُمَّ تَراءَى لِيَعْقوب، ثُمَّ لِجَميعِ الرُّسُل،
٨ حتَّى تَراءَى آخِرَ الأَمرِ لي أَيضًا أَنا السِّقْط.
٩ذلك بِأَنِّي أَصغَرُ الرُّسُل، ولَستُ أَهْلاً لأَن أُدْعى
رَسولاً لأَنِّي اضطَهَدتُ كَنيسةَ اللّه،
١٠وبِنِعمَةِ اللّهِ ما أَنا علَيه، ونِعمَتُه عَلَيَّ لم تَذهَبْ
سُدًى، فقَد جَهَدتُ أَكثَرَ مِنهُم جَميعًا، وما أَنا
جَهَدتُ، بل نِعمَةُ اللّهِ الَّتي هي معي.
١١أَفكُنتُ أَنا أَم كانوا هُم، هذا ما نُعلِنُه وهذا
ما به آمَنتُم.

(ورنتس ١٥: ١-١١)

التأكيد على قيامة المسيح

(١ قورنتس ١٥: ١-١٥)

بقلم جول-ماري كامبيه

أولا: مشكلة ١ قور ١٥ في سياق الرسالة

١. معنى ١ قور ١٥ في مضمون الرسالة

تعرض الرسالة الاولى الى القورنثيين، بشكلٍ عام، موقف الايمان لدى المسيحي الذي يترتب عليه، في فكره كما في حياته العملية، ان يعترف كلياً بحقوق الله. فالايمان يملي عليه ان يفكر بحسب المسيح، بقبوله حكمة الله التي كشفت له في سر المسيح المائت والقائم. كما يُملي عليه ايضاً ان يعيش في الحقيقة والقداسة التي استحقّها المسيح لكل المؤمنين، وفي المحبة الاخوية التي هي تعبير عنهما. وتشرح الفصول الاولى من الرسالة معنى موت المسيح وتبرّز درس الحكمة المسيحية التي يحملها لحياة المؤمنين. أما العرض العقائدي في الفصل ١٥ بشأن قيامة المسيح، فيشكّل القسم الثاني من اللوحة التي تقدم حدث المسيح الفصحي؛ والقديس بولس يستخرج ، من جديد، النتائج التي تحملها القيامة بشأن مصير المسيحيين.

لا يمنع الرسول احداً من ان يطرح اسئلة بشأن المعطى الموحى؛ لا بل هو نفسه يطلب "ان يختبروا كل الاشياء" في الروح (١ تس ٥: ٢١؛ ١ قور ٢: ١٥). وهذا لا يعني: فحص المعطى المسيحي لكي نأخذ منه ما يمكننا ان نفهمه وما نريد ان نقبله. فالموقف الروحي الذي يطرحه بولس يقوم في ان نبذل الجهود، في حدود وسائلنا، لنفهم شخصياً المعطى المسيحي الذي يفرض نفسه علينا في الواقع. وبالفعل، لا يفرض الايمان استقالة لشخصيتنا، كما انه لا يقوم في التقليل من كرامتنا البشرية؛ وانما يدعونا إلى ان نقبل سر الخلاص الذي يفوق فهمنا البشري، ويدفعنا الى الالتزام، لهذه الغاية، بمنح الثقة لله ولابنه يسوع المسيح الذي جاء ليكشف ويحقق مخطط الآب الخلاصي.

٢. مسألة قيامة الموتى المطروحة في قورنتس

يفترض التأكيد الذي يقوم به القديس بولس بشأن قيامة المسيح انه صادف معارضة لدى القورنثيين. ما هو هذا التأكيد؟ يبدو المعارضون لأول وهلة (راجع العبارة المألوفة "بعضكم" في ١٥: ١٢) انهم رفضوا، بكل وضوح وبساطة، واقع قيامة المسيحيين. ولكننا نعرف الطريقة التي بها يناقش القديس بولس: فبالنسبة له، ان مجرد نفي وجه معين لحقيقة ما او لخط سير مسيحي، فانما يعني في الواقع معارضة كل تلك الحقيقة او نفيها[1]. لذا يجب الاخذ بنظر الاعتبار مجمل الطرح لكي نكتشف، عبر تلميح او عبر التذكير بتفصيل واقعي، النقطة الدقيقة التي لا يقبلها "بعض" مسيحيي قورنتس.

تبيّن العناصر الاولى من جواب بولس انه يدرج مسألة قيامة المسيحيين في رؤية اكثر اتساعاً: ان سيادة المسيح التي تحققت بموته وقيامته، سوف يُعترف بها نهائياً لدى المجيء الاخير، حين تخضع لها كل خليقة؛ فالذين يكونون قد اعترفوا به في الايمان سيتمجدون معه؛ اما اولئك الذين يكونون قد انكروه، سيُقهرون؛ اذ ان القوى المعارضة لملك الله سوف تخضع له، وبضمنها، بالتالي، قوة الموت الذي دخل العالم بالخطيئة (١٥: ٢٤-٢٨). وستكون تلك غلبة المسيح القائم التي يشارك فيها كل المؤمنين بالمسيح. كما ان الخليقة باسرها، وهي عمل الله الذي تحقق بواسطة الابن، وفسدت بالخطيئة، ستتجدد وتتصالح مع الاب في خلقة جديدة تحققها وساطة الابن (راجع قول ١: ١٥-٢٠). وهكذا يكون الله، من جديد، "كلاًّ في الكل" (١٥: ٢٨).

ان فكرة -تحديد كل انسان- جسداً ونفساً، كما نقول اليوم- نجدها مؤكدة بوضوح في القسم الاخير. فالقديس بولس، انطلاقاً من تفسير رابيني بشأن تك ٢: ٧، يصف الخليقة الاولى اي

(١) راجع حالة الغلاطيين لبضع سنوات خلت. فلقد سُحروا باقوال المتهودين وقبلوا الختان. وهوذا بولس يرد بان عليهم، اذن، ان يحفظوا كل الشريعة، ولم يكن مراسلوه ينتظرون ولا شك مثل هذا الرد!

خليقة الانسان الارضي، الجسداني، كما كان حتى مجيء المسيح الفدائي. الا ان هذا الانسان الجسدي، القابل للفساد، المتحرّر من آدم الاول، يجب ان يتغير ويصبح، على نموذج المسيح المدعو آدم الاخير (١٥: ٤٥)، انساناً سماوياً، روحياً. فالنقطة الهامة ليست الموت الذي يرقى الى عهد البشرية الاول، ويواصل عمله في جعل البشر يشعرون بشوكته حتى انتصار المسيح الحاسم (١٥: ٢٦) في منتهى الازمان (١٥: ٢٤). لا بل يعتقد القديس بولس بان الموت لن يكون حصة البشر العائشين حتى المرحلة الاخيرة (١٥: ٥١). فهو بذلك يشدد، بشكل غير مباشر، على الطابع العَرَضي والعابر للانفصال بين النفس والجسد، كما لفساد الجسد، وكلها من آثار خطيئة آدم الاول. فالاساسي في كل هذا، هو التحوّل الذي يتم للانسان لدى المجيء. تلك نتيجة غلبة المسيح على الخطيئة، وهي سبب الموت: ان تقيم المسيح يسوع بصفته المبدأ والينبوع للقيامة النهائية والحياة الابدية لكل المؤمنين.

ويمكننا ان نستخلص من مجمل الفصل بانه اذا كان بعض المسيحيين من بين "الغنوصيين المتحررين" في قورنتس قد انكروا كل حياة بعد الموت (راجع البراهين التي ترتد على اصحابها في ١٥: ٢٩-٣٤)، فان مجمل المجادلات والتوضيحات تركز، لا على الحياة بعد الموت في حد ذاته -ويَعترف بها الفكر اليوناني بشكل عام-، وانما على امكانية قيامة تامة للانسان، بأوجهها، وهي تتناول جسده ايضاً؛ فهنا لدينا معطى فريد في العهد الجديد موروث من العهد القديم، كان على بولس ان يذكّر به بحماس مسيحيي قورنتس الذين تطيب لهم المجادلة.

فالطرح، فيما تمركز في رؤية اكثر عمومية، كان له الحظ في ادراج مشكلة اليونانيين في مكانها الحقيقي. ذلك ان ايمان المسيحيين بالقيامة والمستخلَص من قيامة المسيح، سوف يُصاغ على شبه قيامة المسيح ويتحقق في شبه خليقة جديدة. ذلك ان التحدث عن خلود النفس، تلك مسألة فلسفية؛ اما مصير الانسان النهائي، الموافق لخلقته الاولى (تك ٢: ٧)، فسوف يقوده الى تحوّل مجيد لكل كيانه، نفساً وجسداً. لذا كان من المهم جداً ان نثبت جيداً الواقع الاساس لبشرى الخلاص السارة، اي الانجيل: المسيح مات، كما سبقت الكتب ان أنبأت، وقام بحسب هذه الكتب ذاتها.

ثانيا: انجيل وتقليد

يعرض القديس بولس، وهو مبشر بالانجيل بامتياز، تعليم الخلاص بصفته المعطى المسيحي الذي سُلّم بامانة بالتقليد. هناك كتابات "قانونية"، في زمن مبكر، ستكون الشهادات المميزة؛ وكما

شُدد على ذلك في العقود الاولى من انتشارها، حين كان صوت التقليد الشفهي حياً بعدُ، فان هذه الكتابات لن تُعتبر قط شهادات مطلقة ومنفصلة، باي شكل، للتقليد العقائدي الذي عاشته الكنيسة وعلّمته شفهياً. ذلك ان الكتاب المقدس الذي هو دليل الوحي –والعهد الجديد في طور التكوين– لا يكفي في حد ذاته، خارجاً عن التقليد الكنسي؛ فلا يمكن ان نجعله في تضاد مع التقليد الكنسي، كما لا نستطيع البتة ان نجعل جزءاً اساسياً من كيان ما في تضاد مع الكيان بأسره: فنحن بصدد كلٍّ لا ينقسم، وبازاء غنى يجب ان نقبله في واقعه الحي.

١. الانجيل

"اذكّركم ايها الاخوة البشارة التي بشرتكم بها وقبلتموها ولا تزالون عليها ثابتين، وبها تنالون الخلاص اذا حفظتموها كما بشرتكم بها، والا فقد آمنتم باطلاً" (آ ١–٢)

حين ذكّر القديس بولس القورنثيين، في رسالة، بالايمان المسيحي الذي كان قد بشرهم به من قبل، كان على وعي بانه يواصل بينهم مهمته بصفة رسول وانجيلي. وان فعل **"عرّفتكم"** يعبر، في الرسائل، عن اعلان البشرى، تماماً كما يعبر عن ذلك فعل **"بشّر"** (راجع غل ١: ١١؛ اف ٦: ١٣)؛ وانطلاقاً من الايتين الاوليين، يمكن للانجيل ان يسمى بشرى الخلاص الجديدة، وايضاً خطاب الخلاص.

ونعلم مسبقاً، من ١ قور ١: ١٨، بان القديس بولس كان قد اوجز بشرى الخلاص حين دعاها كلام الصليب، قوة الله للذين يقبلون بايمان مخطط الله: ان يخلصنا بموت المسيح (١: ١٨–٢١). وفي الفصل ٦ من رسالتنا، فيما كان بولس يحرض القورنثيين على العيش بقداسة في حالة الزواج واحترام اجسادهم التي تقدّست بالعماذ، هوذا يعطي، عبر جملة عقائدية معترضة –كما كانت عادته– العنصر الثاني من تعليم الانجيل الاساسي: قوة الاب التي اقامت الرب يسوع ستقيمنا نحن ايضاً (٦: ١٤). وذلك استباق لتوسعات الفصل ١٥.

فالعنصران –النجاة من الخطيئة بواسطة موت المسيح، والحياة الابدية مع المسيح القائم– سوف نجدهما متحدين في الرسالة الى الرومانيين. فهذه الرسالة، عبر التحديد الذي اعطته للانجيل، وهو بمثابة ملخص لكل الرسالة، تشدد على عدالة الله المخلّصة، وقد قُدمت بصفتها الوحي النهائي لجودة الله المتجلية في حدث يسوع، وهي تخلّص كل الذين يؤمنون (روم ١: ١٦+). ومنذئذ، اذا كنا، في البشرى الانجيلية، لا نستطيع ان نفصل بين الموت والحياة، فلأن عنصر الحياة –لكونه في الواقع الهدف الذي اراده الله– يكوّن العنصر الاساسي. فالموت نفسه قد فُرض على المسيحي، بمثابة شرط، تماماً كما كان تجسد المسيح وموته شرطاً لحياته الممجدة، وهي ينبوع حياتنا. ولذلك، فان الدعوة المسيحية يمكن تعريفها بصفتها رجاء مجد الاب (روم ٥: ٢). وفي نصنا، نجد ان العنصرين

الاساسيين في الانجيل قد ذُكّر بهما: موت المسيح وقيامته؛ الا ان القيامة هي وحدها التي تُبرَّز، وفي معنى محدّد جداً.

ان اي طرح للقديس بولس هو دوماً حوار مع جماعة ما، وبهدف الاجابة الى حاجة معينة. ففي قورنتس، كما رأينا، لم يعودوا يقبلون قيامة الاموات ويعترفون بالتعليم المسيحي الاصيل الذي كان بولس قد كرز به فيها، او أقله كانوا يجادلون فيه. والجماعة التي قبلته من قبل، كانت قد جعلت منه اساس خلاصها. وبمفردات مشابهة، وصفت روم ٥: ٢ الايمان الذي عليه يتأسس الرجاء بالقيامة المجيدة التي وعد الله بها. لذا فان هذا التحذير يكشف عن تراجع بعض القورنثيين: "وهذا لن يتم الا اذا حفظتموها كما بشرتكم[٢]. وان لفظة "لغة" (كلمة) (logos) توحي، كما في ١: ١٨، بمضمون كرازة بولس وصياغتها.

٢. بشارة التقليد

"سلمت اليكم قبل كل شيء ما تسلمته انا ايضاً" (آ ٣أ)

لكي يؤيد القديس بولس بشارته (راجع غل؛ ٢ قور ١٢: ١-٤)، او لكي يؤكد على حقيقة شرح تقدم به (راجع ١ قور ٧: ٤٠)، نراه يستشهد بسلطة خدمته الرسولية التي خصه بها الرب نفسه، كما يستشهد بروح المسيح الذي أعدّه لتتميم "خدمة الروح" (راجع ٢ قور ٣: ٨). ولكن حين يكون الامر متعلقاً بالتعلم المسيحي الاساسي بشأن موت المسيح وقيامته، او بالتعليم الذي يخص العشاء (١ قور ١١) الذي يعلن موت المسيح ويبشر بمجيئه المجيد، فمرجعه، كما هي الحال بالنسبة الى سائر الرسل والانجيليين، هو التقليد الذي ينقل حدث المسيح الفصحي.

ان قاعدة المسيحية، فيما تنقل الحدث المسيحي الاساس، هي في غاية الصلابة، لان التقليد الذي نقله هو ايضاً صلب. ويندرج بولس نفسه في هذا التقليد، اذ انه واحد في سلسلة الشهود: "سلمت اليكم قبل كل شيء ما تسلمته انا ايضاً". وكان قبل قليل قد ذكّر بانهم هم انفسهم كانوا قد صادقوا على هذا التقليد، وكان بوسعهم ان يُحصوا بين الجماعات الشاهدة (١٥: ١): ويبقى ذلك صحيحاً بالنسبة الى كل الذين ثبتوا على الايمان.

وتجب ملاحظة اللفظين المضاعفين **"نقل – تسلّم"** بصفتهما صيغة نموذجية للتقليد المسيحي العقائدي الاول، ونجدها، مع قيمة الشهادة العقائدية المميزة، لدى آباء الكنيسة الاوائل. فلفظة

---

(٢) ازاء البنيات اللغوية المختلفة والترجمات المعروضة، نعتقد ان علينا ان نتوقف لدى البنية التالية: "(... الانجيل الذي يضمن لكم الخلاص) شريطة ان تثبتوا صامدين –اذ في حالة العكس، سيكون ايمان الزمن الاول باطلاً– على التعليم الذي بشرتكم به، وكما بشرتكم به". وان لفظة "باطلاً" يجب ان تفهم في الوقت ذاته بمعنى: "غير واقعي" و"عبث".

"**نقل**" تهمنا بالاكثر هنا بصفتها الضمان لتعليم صادق وراسخ. ولدى الاقدمين، لم تكن قيمة تعليم تقدَّر وفق ادلّة تبرهن عليها، بقدر ما كانت تقدَّر بحسب قِدَم التقليد الذي عليه تستند. ولقد صادفنا هذه الفكرة لدى افلاطون وفي الديانات ذات الاسرار؛ ولكن في ديانة ذات سلطة الهية، كما هي اليهودية، فان هذه الفكرة تتخذ اهمية كبرى. ونحن نعلم السلطة التي منحها الفريسيون "للتقاليد" و"تعليم الشيوخ".

تستمد التقاليد المسيحية كل قيمتها، في نظر بولس، من انها ترقى الى شخصية الرب يسوع الالهية، وقد سلّمنا وحي الله. والمسيح ذاته يرسي سلطته حين يقول بان كل الاشياء اعطيت له من قبل الآب (متى ١١: ٢٧) [٣]. وبولس، منذ رسالته الاولى، يرسخ سلطة الايمان التي يكرز بها، كونه ينقل كلمة الله بامانة تامة للتقليد (١ تس ٢: ١٣؛ ٤: ١؛ ٢ تس ٢: ١٥)؛ وهو يطلق الحرم ضد من يكرز بغير الايمان المنقول عبر التقليد (غل ١: ٩)؛ وفي نهاية حياته، نراه يعرض التقليد بصفته علامة لايمان اصيل والرهان لسلام الله (فل ٤: ٩).

الا ان بولس، يقدم نفسه، وبالاخص تجاه القورنثيين المجادلين، بصفته الشاهد الامين للمسيح ولموته على الصليب (١ قور ٢: ١+). فهو يفهمهم بان حفظ التقاليد يشكّل الالتزام العملي الاول للمؤمنين. وبهذه الروح، يجب عليهم ان يتلقوا، بسلطة، "طرق المسيح" كما يلقّنها بولس في الكنيسة جمعاء (٤: ١٧). ذلك لان هذه التقاليد ترقى الى الرسل، الى الكنيسة الأم في اورشليم، وبالتالي، الى المسيح ذاته. وهكذا الامر، بشأن الافخارستيا: نحن بصدد تقليد "يرقى الى الرب" نقله اليهم (١١: ٢٣). وهنا، فان التقليد بشأن القيامة كان ولا شك صيغة سبقته، جاءت حتماً من جماعة اورشليم التي كانت قد تلّقت اول كرازة مسيحية. لنلاحظ الاهمية التي يوليها بولس لهذا التقليد: فقد نقله الى القورنثيين منذ الاول.

وفي رواية سفر الاعمال، نرى جيداً كيف ان موت المسيح وقيامته شكّلا الحدث الاساس والمعطى الرئيس الذي كُرز به اولاً، وسرعان ما رأى لوقا اقوال الرب واعماله مكثفة فيه. فاذا اعترف لوقا ان الروايات التي تتعلق بيسوع قد خدمته كثيراً في روايته، لكنه أكّد انه اعتمد المعطيات التي تلقاها من الشهود الاوائل (لو ١: ١-٤).

وهكذا يبقى التقليد، لنا ايضاً، اساس الايمان. لقد كان من الطبيعي ولا شك ان يقودنا التفكير اللاهوتي الى التوسع في عناصر العقيدة المسيحية. ولكن يجب ان نذكّر ايضاً بان ما هو اساسي في ايماننا، اي المعطى المسيحي الجوهري، يبقى في زمننا، كما كان في زمن القديس بولس، ان موت المسيح وقيامته هما ينبوع خلاص لكل المؤمنين.

---

(٣) هذه الآية لا تعني فقط السلطة التي تلقاها المسيح من الاب، وانما ايضاً موهبة الآب بشكل عام، مع تلميح خاص هنا الى الكشف عن سر الخلاص.

ثالثا: صيغة اعتراف الايمان المتعلق بالقيامة

"... وهو ان المسيح مات من اجل خطايانا كما ورد في الكتب، وانه قُبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب..." (آ ٣ب-٤).

هذه الصيغة المكرسة لاعتراف الايمان -وهي ترقى ولا شك الى الجماعة الاولى، ثبتها هنا القديس بولس- تشهد على وجود **"قانون ايمان"** منذ البداية يوجز ما هو اساسي في ايمان كنيسة المسيح. وهذا الايمان يتعلق بمعطى تاريخي واقعي: موت المسيح وقيامته كما انبأت بهما الكتب وأكّدهما شهود عيان. وان اول كرازة مسيحية، ككرازة بولس على سبيل المثال، لا تقوم الا على نقل، بامانة، تقليد يرقى الى المسيح بالذات[٤]. ولنؤكد بان موضوع "قانون الايمان" البدائي هذا هو حدث القيامة.

١. موت المسيح

يُطرح موت المسيح في وجهه المضاعف: انه حدث تاريخي يحتوي معنى دينياً. وهذا الحدث التاريخي يؤيده ذكر الدفن، وهو تفصيل نقله الانجيليون الاربعة، بحيث يثبت موت المسيح ويؤكد في الوقت ذاته قيامته الجسدية. ومع ذلك، يجب ان نشدّد بالاخص على المعنى الديني لموت المسيح، وهو امر اساسي في سياقنا: انه يحمل معه اليقين بقيامة المؤمنين.

ان موت المسيح من اجل خطايانا، كما يشرح القديس بولس، هو موت بسبب خطايانا (روم ٤: ٢٥) لكيما يتجاوز عنها الله بشكل تام (٢ قور ١٥: ١٩)، بحيث يترتب علينا ان نموت نحن عن انفسنا وعن خطايانا (روم ٦: ٦). فاذا كان المسيح قد مات، لانه حمل على ذاته لعنة الخطيئة التي اراد ان يفتدينا منها (غل ٣: ١٣)، فموته الفدائي قد انتزعنا من سلطان هذا العالم الذي نعيش فيه، حيث تملك الخطيئة. وموت المسيح على صليب سحق قوة الخطيئة؛ فالذي، بالايمان والعماذ، قد ارتبط بانتصار المسيح على الخطيئة، عليه ان يعرف بان الخطيئة لم تعد فيه، وان الانسان القديم فيه قد صُلب مع المسيح، وليس بامكانه البتة ان يهادن الخطيئة (روم ٦: ١+). فلأجل ذلك الحّ بولس كثيراً على كرازة الصليب، معتبراً اياها اساس البشرى المسيحية ومركزها: وبالفعل، يشكّل الصليب الطريقة التي شاء الله، في حكمته، ان يكشف من خلالها عن قوته المخلّصة (١ قور ١: ١٨-٢٥)، لمنفعة كل الذين يتقبلون هذا التبرير بالايمان، في موت المسيح الفدائي (روم ٣: ٢٥+).

---

(٤) ليس من دون فائدة ان نلاحظ بان مرقيون الذي كان يريد ان "يقطع" القديس بولس من جذوره في الجماعة الاولى باورشليم، أقدم، بسابق تصميم، الى قطع جمل مهمة من النص لا تتفق مع رؤيته اللاهوتية، وهي: "(التقليد) الذي تسلمته انا ايضاً!".

٢. قيامة المسيح

"قام في اليوم الثالث". وذكر اليوم الثالث نجده في الاناجيل الاربعة. وهذا المعطى التاريخي مكّن من البحث في العهد القديم عن النصوص النبوية بصدد القيامة.

يجب بالاخص ان نلاحظ الاختلاف في زمن الافعال: "مات" وقد عُبّر عنه في النص في صيغة ال (aoriste) اليونانية (الماضي الحاضر)، وهو بامتياز الزمن المناسب لرواية حدث ماض؛ "وانه قام"، وهو بصيغة الحاضر، وهي صيغة تنقل حدثاً ماضياً ما زال يتضمن حقيقة او معنى حالياً. وهذا الفرق الضئيل يتجلى في حالة نصنا. وبالفعل، مات المسيح مرة واحدة، وحالته بصفة مائت قد ازيلت كلياً، والى الابد، بفعل القيامة؛ والقديس بطرس في رسالته الاولى ٣: ١٨ حيث يستخدم صيغة الفعل عينها، كما في نصنا، يوضح جيداً ان "المسيح مات مرة واحدة من اجل الخطايا". وبالعكس، فان قيامة المسيح المجيدة هو حدث يستمر الى الابد. ولقد عبّر عنها بولس احياناً بعون صيغة الـ aoriste لكي يؤكد بقوة على الواقع التاريخي (راجع روم ٦: ٤، ٩؛ ٧: ٤؛ ٨: ٣٤). ومن المدهش جداً بان هذا الفعل، حين يُطبّق على شخص المسيح، فهو دوماً في صيغة الحاضر في فصلنا، وعلى مدى سبع مرات. والهدف واضح: قيامة المسيح تبقى حقيقة الهية يستمر فعلها ابدياً، وهي تستدعي قيامة كل المؤمنين.

فيسوع المسيح، ابن الله الممجد، ما ان قام، فهو انما يقدس، بقوة الروح القدس، كل الذين يؤمنون به (روم ١: ٤). انه نظام ديني جديد يفتتحه الرب القائم، نظام الروح الذي، منذ الان، يغيّر المؤمنين (٢ قور ٣: ١٧+). وهذا التحول الروحي يجب ان يعاش منذ هذه الارض، عبر حياة مجددة في الروح، ومكرسة لله منذ الان (روم ٦: ١-١٠). ولأن قيامة المسيح هي عربون قيامة كل المؤمنين (١ قور ١٥: ٢٠؛ ٢ قور ٤: ١٤) —وهي مقدمة غلبة الله النهائية التي تحققت بالمسيح (١ قور ١٥: ٢٤-٢٨)- فلذلك هي تشكّل الحدث الاكبر في تاريخ الخلاص، وان اعلانها هو النقطة الاساسية لاعتراف ايمان مسيحي.

ان ديانة المسيح القائم التي برّزنا هنا الصيغ التي سبقت الصيغ البولسية، ليست من اختراع بولس او اي مسيحي هيلليني آخر يكون قد طبّق عليها ما في الديانات ذات السر. فقيامة المسيح هي معطى مسيحي، كان في زمن بولس، جزءاً من التقليد، وهو معطى ذو اساس قوي، ينسجم مع الشهود الاولين في كنيسة اورشليم. ومعهم ايضاً نرى فيه إنباء تضمنته الاقوال الالهية التي في الكتب.

٣. البرهان الكتابي

ليست القراءة للعهد القديم التي يقوم بها القديس بولس دراسة تفسيرية بيبلية بالمعنى الحالي والدقيق للعبارة؛ ولا تقوم غايتها، في الواقع، في البحث عن المعنى الحرفي. فبولس -على غرار غيره

من كتّاب العهد الجديد- كانت له القناعة بان احداث العهد القديم هي بمثابة صور وانباءات بالمستقبل، وان رواياتها دُوّنت من اجل تعليمنا (١ قور ١٠: ٦، ١١). كما كان يعتبر ايضاً الشخصيات (روم ٥: ١٤) وطقوس العهد القديم الدينية (قول ٢: ١٧) بمثابة صور تبشر بالمسيح وبالحقائق المسيحية. ومثل هذا المفهوم ينبع من الوحدة في مخطط الله الخلاصي، الذي كان قد أعلن اولاً ومن ثم أُعدّ الخلاص المزمع ان يتحقق بالمسيح. وقد نجد احياناً هذا الانباء وهذا التأكيد بصدد مخطط الله، في كلمة بسيطة توحي بوجه من أوجه الحدث المسيحي. ومثل هذا التفسير البيبلي هو بالاكثر تأكيد ديني جديد بواسطة صيغ قديمة، مع ان عدداً من الروايات القديمة تحتوي بوضوح، اكثر من غيرها، على اعلان وتفسير الحدث المسيحي الذي اقيمت الصلات معه.

هكذا هي الحال، على سبيل المثال، بشأن النص الشهير في اش ٥٣ الذي يصف موت العبد المتألم وانتصاره، وهو صورة لمّح اليها الرسول مرات عديدة في رسائله (راجع روم ٤: ٢٥). فمن المحتمل ان يكون في مقطعنا تلميح الى اش ٥٣: ٨: "قد انقطع من ارض الاحياء، وبسبب معصية شعبي ضُرب حتى الموت".

وكثيراً ما توجه التفكير نحو هو ٦: ٢. فاذا اعتبرنا طريقة استخدام الافعال، كما ذكرّنا بها اعلاه، سنرى من الطبيعي ان نربط قيامة المسيح بهذا المقطع النبوي، ونقرأ فيه اعلاناً لها، ولا سيما في ترجمة هو ٦: ٢ اليونانية: **"في اليوم الثالث** سنقوم ونحيا". كما ان اعلان المسيح ذاته لآية يونان (متى ١٢: ٣٨-٤٠) يكون قد ربط الرقم ٣ بـــ يون ٢: ١. كما يمكننا ايضاً ان نجد صورة في كلام اشعيا الموجه الى الملك حزقيا: "... وفي اليوم الثالث تصعد الى بيت الرب" (٢ مل ٢٠: ٥). ويمكننا ايضاً ان نستذكر مز ١٦: ١٠+ الذي يتكلم عن البار المسلّم الى الموت، وهو النص الذي طبقه القديس لوقا بشكل واضح على قيامة المسيح في خطاب بولس (رسل ١٣: ٣٥).

فكل هذه النصوص من العهد القديم، بوسعنا ان ننظر اليها وكأنها تأكيد على القيامة العتيدة للمشيح. وان حقيقة القيامة هذه وجدت لها تأييداً في التقليد القديم لدى جماعة اورشليم، عبر التأكيد التاريخي لشهود العيان الذين اختارهم المسيح ذاته.

رابعا: شهود القيامة

"... وانه تراءى لصخر فالاثني عشر، ثم تراءى لاكثر من خمسمائة اخ معاً -لا يزال معظمهم حيًّا؛ ثم تراءى ليعقوب، ثم لجميع الرسل" (آ ٥-٧)

١. رؤية القائم

يتحدث القديس بولس عن كشف، لا فقط بالنظر الى احداث نهاية الازمنة (٢ تس ٢: ٣+؛ ١ قور ٣: ١٣، روم ٨: ١٨) بل ايضاً حين يتعلق الامر بحقائق مسيحية (١ قور ٢: ١٠؛ روم ١: ١٧+، فل ٣: ١٥). ويذكر بشكل خاص الكشف الذي منحه معرفة مميزة عن سر المسيح (أف ٣: ٣) والكشف الذي قلّده مهمته الرسولية (غل ١: ١٦). وهذه المهمة ترقى الى حدث دمشق الذي ضَمَنَ صدقية خدمة الرسول في الكنيسة (١ قور ٩: ١). وحين يؤكد بولس على الطابع التاريخي للحدث المسيحي، فهو لا ينسى مع ذلك بعده الاسكاتولوجي: فليس هناك سوى اختلافات في الطرح والنبرة.

والفعل ذاته "رأى" في مفهوم "الرؤية التاريخية" قد طُبِّق على القولسيين الذين لم **يروا** وجه بولس (قول ٢: ١)، كما طُبِّقَ على بولس الذي **رأى** الرب يسوع (١ قور ٩: ١) وعلى الرسل والشهود في اورشليم الذين حظوا **برؤية** القائم. اما في العهد القديم، فكان هذا الفعل يصف الترائيات الالهية التي كان يُنظَر إليها بطريقة حسية.

وهكذا الحال هنا. فبعد ان رأى التلاميذ الرب يسوع من جديد، ادركوا انه قام، واصبح بوسعهم ان يشهدوا لذلك. وبولس، بعد رؤية دمشق، علم ايضاً ان يسوع قد قام: ولما كان المسيح قد دعاه الى ان يصبح رسوله بين الامم، كان بوسعه ان يقدّم نفسه بصفة شاهد للقائم، ويضيف خبرته الشخصية الى الشهادات التي جرت عادة في اورشليم. فمن بين هذه الشهادات، نرى ان التقليد الذي ينقله بولس يميز خمسة اشكال مختلفة.

ومثل هذا الفيض من الشهادات، ألا يحملنا على القول الى اي حدّ سعى الايمان المسيحي -حتى في منظار بولس "الروحي"- الى الالتحاق بشخص ابن الله التاريخي الذي صار انساناً؟ ومن جهة اخرى، ألا يجيب هذا التشديد على الشهود، في تقليد كنيسة اورشليم، الى حاجة دفاعية؟ فبعد الفشل الظاهري الذي أحدثه موت يسوع- لنتذكر ترددات الرسل انفسهم، وفق الروايات الانجيلية- قد يبدو من المفيد، عبر **قانون ايمان** اول، تكثيف الشهادات عن الذين كانوا قد رأوا الرب القائم. وهذا البرهان الدفاعي يجب ان نضعه في موازاة مع الانباءات التي قام بها المسيح ذاته عن آلامه وموته، خوفاً من ان يتشكك تلاميذه "حين يحدث ذلك".

لقد كان من الضروري جداً في كل الاحوال ان يُعطى لحدث القيامة كل ما يحيط به من تفاصيل: اذا كان المسيح يسوع لم يقم، فليس بوسع المسيحية ان تثبت.

٢. الشهود الذين يُصدِّق لهم التقليد

باستثناء ذكر عام، في رسل ١: ٣، لترائيات عدة للمسيح لرسله خلال الاربعين يوماً التي تلت قيامته، لدينا في العهد الجديد خمس لوائح من ترائيات القائم. ولكن ليس هناك واحدة من هذه

اللوائح تدّعي انها كاملة او انها تتبع حصراً ترتيباً زمنياً؛ لا بل، يبدو من الصعب ان نحقق في الخيار الذي اعتمدته كل لائحة في تسجيل الترائيات.

تروي خاتمة انجيل مرقس ترائيين بوسعنا ان نعتبرهما "غير رسميين": لمريم المجدلية ولتلميذي عماوس؛ ومن ثم ترائياً ثالثاً للاحد عشر الذين لم يؤمنوا بروايات الشهود الاوائل، ولذا وبخهم المسيح على قلة ايمانهم (مر ١٦: ٩-٢٠). وينقل لنا متى ترائياً أولاً لنساء اورشليم، وترائياً ثانياً للاحد عشر في الجليل (متى ٢٨: ٩-١٠، ١٦-٢٠). ولدى لوقا، تجري الترائيات كلها في اورشليم: لتلميذي عماوس، لسمعان بطرس، واخيراً للاحد عشر الذين اخذهم يسوع الى بيت عنيا قبل ان يصعد الى السماء (لو ٢٤: ١٣-٥٣). اما يوحنا، فهو يذكر سلسلة من ترائيات يسوع في اورشليم: لمريم المجدلية، للرسل بغياب توما، ومن ثم بحضور توما (يو ٢٠: ١١-٢٩)؛ واخيراً يذكر ترائياً اخيراً لسبعة تلاميذ على شواطئ بحيرة طبرية (يو ٢١: ١-٢٣).

لا بد اننا لاحظنا بان مجمل اللوائح تحفظ الترائي الاول للنساء: فلقد حفظه مرقس ويوحنا لمريم المجدلية، ومتى لفريق النساء بشكل عام؛ وهناك امر غريب، وهو ان لوقا -وقد احتفظ باكثر التفاصيل المتعلقة بالنساء، القديسات- يروي مشهد القبر الفارغ الذي تحقق منه فريق منهم، والبشرى التي حملها اليهن ملاكان، ولكنه لم يخطر بباله ان يروي ترائياً للرب لصالحهن. وينبغي ولا شك ان ننسب إلى انجيل مرقس -وهو يريد بوضوح ان يبرّز شكوك "الاحد عشر"- الاولوية المحفوظة للنساء في رواية الترائيات.

اما ١ قور ١٥، فاذا ما قورنت بالاناجيل، فهي تقدم لنا اللائحة الاكمل، وان كانت لا تذكر اي تراء، لا للنساء ولا لتلميذي عماوس. بينما يأتي الترائي لرئيس الاثني عشر، في المرتبة الاولى. فاذا كانَ بطرس قد سُمّي هو الاول في كل لوائح الرسل التي سلّمها التقليد، فذلك بهدف التأكيد على اولويته. ومن ثم يأتي "الاثنا عشر" وهم الشهود المعتمدون للانجيل في العالم اجمع، واخيراً يأتي فريق من المؤمنين- ومثل هذا الترتيب ذي البناء المحكم، لا ينبغي ان يدهشنا ونحن بازاء تقليد لايمان رسمي. ويأتي من ثم الترائي ليعقوب اسقف اورشليم، مع ذكر خبر عام، في الخاتمة، للترائي للرسل. الى هذه اللائحة التقليدية اضاف بولس ايضاً اسمه، وسنرى قريباً لماذا. فحين نقارن اللائحة البولسية مع لوائح الاناجيل، يتضح لنا للحال انه لا ينبغي ان نفسر، بمعنى زمني متتابع، لفظة "ثم" و "من ثم" التي تحدد القراءة على اربع دفعات.

"تراءى المسيح **لصخر**". ولا نجد تسمية صخر الا لدى القديس بولس، وفي يو ١: ٤٢، حيث يوضح للحال بأن المقصود هو بطرس. ولا يتكلم بولس عن الرسول بطرس الا في غل و١ قور، وهو يدعوه مرتين، باسمه اليوناني (غل ٢: ٧+)، وثماني مرات باسمه اليهودي (كيفا) الصفا، باستثناء اسم سمعان الذي نجده فقط في الاناجيل. إلا ان استخدام اسم الصفا هنا، ألا يبرهن،

في حد ذاته، ان بولس يعتمد لائحة يهودية-مسيحية من اورشليم: وتكون التسمية التي استخدمتها هذه اللائحة متفقة مع عادات بولس. ويكون لوقا (٢٤: ٣٤) قد استلمها ولا شك هو ايضاً: لأن عبارته هي ذاتها، وانما يبدّل الصفا بسمعان.

"ثم تراءى **للاثني عشر**". يروي الازائيون ترائياً واحداً "للاحد عشر". بينما يروي يوحنا ترائيين، للتشديد، بمناسبة حالة القديس توما، على استحقاق المؤمنين الذين يعتقدون بقيامة يسوع في الايمان بشهادة التقليد الرسولي. فالقديس بولس هو، اذن، وحده الذي استخدم صيغة الترائي للاثني عشر. وهو ايضاً المكان الوحيد في رسائله ترد فيه لفظة "**الاثني عشر**" للاشارة الى فريق الرسل الذي اختارهم يسوع في حياته (سواء كانوا كلهم حاضرين فعلاً ام لا). وهذا يتعلق بالواقع الذي استمدّه بولس هنا، بامانة، من تقليد اورشليم. ففي الاية ٢، وصف هذا التقليد الذي نقله الى القورنثيين، منذ بدء تبشيره بينهم، بانه تقليد من اهمية اولى. وهذا يبرهن على امانة الرسول للتقليد الذي حفظ لنا عنه الانجيليون ملخّصاً امينا. فالانجيل الذي نادى به بولس، وكذلك رسائله ايضاً، ليست سوى تبريرات عقائدية لعدد من القيم المسيحية الاساسية التي كانت موضوع تساؤل في جماعاته، أُلحقت بتذكيرات مفيدة لعدد من المواقف المسيحية العملية. وان انجيل بولس، سواء، الذي بُشّر به ام الذي كُتب، ليس ديناً مسيحياً ابتدعه بولس. فان رسائله تبدو لنا بصفة تفكير لاهوتي حول المعطى المسيحي التقليدي الذي يُفترض انه معروف، لذا فهي تستند الى هذا التقليد الذي قُبل بامانة.

اما الترائي المذكور هنا **للخمسمائة اخ معاً**، فهو الشهادة الوحيدة التي حفظناها عن تراء للجماعة الناشئة في اورشليم. وقد يكون القديس بولس ولا شك قد نقل هذا التقليد الخاص بسبب التدقيق الذي كان ممكناً دوماً لدى هذا او ذاك من اخوته الذين لا زالوا على قيد الحياة لدى كتابته لثلاثين سنة خلت بعد الحدث.

اما الترائي **ليعقوب**، فهو الآخر، سمة خاصة من تقليد اورشليم، لان علاقته تفسَّر جيداً، طالما انها تخص المسؤول الاول للجماعة المسيحية في المدينة المقدسة. واذا كان التقليد المتاوي اليوناني لم يحتفظ به، فان الانجيل (المنحول) الى العبرانيين قد احتفظ به[٥]. وفي كل الاحوال، نفهم ان بولس تعمّد ذكر الترائي ليعقوب وهو يشبهه الى حدّ ما. وبالفعل، فان يعقوب، حين كان يسوع حياً، لم يكن قد آمن (يو ٧: ٥)[٦]. ولا شك ان ترائياً للرب له قد هداه؛ وهكذا أُقيم على رأس جماعة اورشليم.

---

(٥) انظر ي. هينيك، توبنكن ١٩٥٩ (بالالمانية). حتى وان كان لا يصح ان نقارب بين الانجيل الى العبرانيين والانجيل متى الارامي -كما فعل خطأ القديس هيرونيموس حين اتاح المجال لمثل هذا الافتراض- يمكننا القول بان لدينا هنا عنصراً اصيلاً عن تقليد اورشليم، وان امتزجت به سمات خيالية.

(٦) المخطوطة D ومخطوطة بيز اضافتا على النص هذا التعليق: "حينذاك".

ويذكر بولس في الختام الترائي **لجميع الرسل**. قد تقصد هذه اللفظة، في آن واحد، "الاحد عشر" رسولاً الذين اختارهم يسوع المسيح، أو فريق الرسل بالمعنى الواسع، بحيث يكون يعقوب احدهم بحسب بولس نفسه (غل ١: ١٩). وفي هذه الحالة، تكون صيغة "لجميع الرسل" تعود بالفعل الى التقليد الذي ينقله بولس. ومن الممكن ايضاً ان تكون تغييراً في لفظة "الاثني عشر" الرسمية. ومهما يكن من امر، فان وجودها في النهاية مقصودة: فبها أعَّد بولس اضافة اسمه الشخصي الى اللائحة، اي ترائي المسيح لمن هو "آخر الرسل".

خامساً: بولس، رسول وشاهد للقيامة

"حتى تراءى آخر الامر لي ايضاً انا (من بين الرسل) السِّقط. ذلك باني اصغر الرسل، ولست اهلاً لان ادعى رسولاً لاني اضطهدت كنيسة الله، وبنعمة الله ما انا عليه، ونعمته عليّ لم تذهب سدى، فقد جهدت اكثر منهم جميعاً، وما انا جهدت، بل نعمة الله التي هي معي" (آ ٨-١٠).

هذا الترائي السادس الذي نقل هنا لا يرجع بالتأكيد الى تقليد اورشليم. وهذه الاضافة تقصد بوضوح القورنثيين، والتفسير الذي تلاه يكشف عن هدف جدلي باتجاه جماعة كانت تطعن في سلطة الرسول.

١. لقب بولس الرسولي

كانت سلطة الرسول المؤسس موضوع جدل، بالفعل، في جماعة قورنتس. وان المقاربة التي قام بها بولس ما بين رؤية الرب يسوع ولقبه بصفة رسول —هنا كما في ٩: ١- لا تهدف الا الى ترسيخ سلطته في اعين القورنثيين. فبولس يذكر مراراً، في بدء رسائله الكبرى، لقبه بصفته رسول المسيح؛ وهو يوضح احياناً ان مهمته الرسولية قد أرادها له الله؛ وهو يضيف بان دعوته قد وجّهته الى تبشير الوثنيين (غل ١: ١٦؛ ٢: ٧+؛ روم ١١: ١٣). وهو يسميها "نعمة" اكثر من مرة (آ ١٠)، وهي لفظة تشمل بشكل عام دعوته كلها، المسيحية والرسولية معاً.

هذه النعمة، تتضمن معرفة المسيح يسوع التي كشفها له الآب والتي حيّدت حياته الماضية، بصفة يهودي غيور. ذلك ان الروح القدس ادخله في فهم مخطط الله الخلاصي ومنحه حياة جديدة في المسيح، لكي يمارس خدمته بصفة رسول، ينادي الوثنيين بمصالحة مع الله بواسطة الايمان الذي

يبرر (راجع ٢ قور ٥: ١٦-٢١). ويعلم بولس جيداً انه يحظى بعين الحقوق مثل سائر رسل المسيح، ويحدث له ان يذكّر بذلك لاكثر من جماعة (راجع ١ تس ٢: ٧؛ ١ قور ٩: ٥). ولكنه في غالب الاحيان، كما هي الحال هنا، يطيب له ان يتكلم عن عدم استحقاقه صفة الرسول، لان كان سابقاً مضطهداً للكنيسة الناشئة (راجع فل ٣: ٦+).

وهكذا، حين يريد ان يفهم الغلاطيين ان دعوته هي مجرد نعمة من الله (١: ١٢، ١٥)، لا يخشى ان يرجع الى الزمن الذي كان فيه يضطهد كنيسة الله (١: ١٣)؛ ومنذئذ، ومن دون ان يستلهم دوافع بشرية، كانت خدمته خاضعة لموهبة الله (١: ١٥+). وهكذا، لمن هو "اصغر اصاغر القديسين" (اف ٣: ٧+) اعطى الله معرفة مميزة لسر المسيح، لكي يجعل منه رسول الانجيل لدى الوثنيين. ولدى هذا الكلام، غالباً ما تُحدِّث عن تواضع بولس. لا شك ان مثل هذه التضادات قد طبعت المدار الاعتيادي لفكره ولغته، ولكنها لا تفسَّر، بشكل حقيقي، الا بالايمان العميق الذي ينعش خدمته الرسولية.

٢. الشرط البولسي للرسالة

كان التواضع مفترَضاً بالاحرى لدى الرسول الذي كان قادراً على اعتراف نزيه الى هذا الحد بخطاياه السابقة. انها، قبل شيء، علامة يقدّمها لنا لرسالته التي يمكن التحقق منها، وهو يبيّن كيف انه يمارسها من دون ان يجني شيئاً لشخصه، بروح الوداعة وتواضع المسيح، من اجل بنيان جماعاته. فهو، بالتالي، خادم مجد الآب.

وان تصريحه "ان ما انا عليه هو نعمة من لدن الله"، الا يلتقي مع الدرس في الحكمة المسيحية الذي كان قد اعطاه، اعلاه، للقورنثيين (١ قور ١: ١٨-٢٥؛ ٤: ٧)؟ فالله يختار ما هو عدم؛ وعلى مختاره ان يبقى دوماً على وعي بان ما هو عليه وكل ما ينجزه، انما هو نعمة من الله. وسيكون من الجنون اذا ما تبجح المرء بما هو عليه او بما يعمل، دون ان يرجعه الى الله الذي منه تلقينا كل شيء. فبولس، حين طبّق رؤية الايمان هذه على رسالته، نسب كل عمل الخلاص الى قدرة الله وحدها، وهي ممنوحة لكل مؤمن (راجع روم ١: ١٦+): ان التذكير بماضيه، انما هو تأكيد بالاكثر على ما حققه الله في شخصه. لذا فحياته، بصفة مسيحي ورسول، لم تعد له، ان صحّ القول، وانما هي حياة المسيح فيه.

من جهة اخرى، نرى ان الكلمات التي يستخدمها، في آ ١٠، بخصوص عمله الرسولي، تشهد لحياة شاقة. فوضع الضعف الذي به كان يمارس رسالته عادة، جلب عليه احتقار اولئك الذين يحكمون بحسب روح العالم، الا ان بولس يتقبله بفرح، اذ ان هذا الضعف يسمح لقوة الله ان تتجلى

بالافضل، عبر ضعفه (٢ قور ١٢: ٩+)[٧]. فكما ان المسيح قد اتّضع تحت ضعف الوضع البشري، وصُلب كي يقوم بقدرة الآب، هكذا قبل بولس ان يعيش خدمة بمظاهر الضعف، لكيما، فيما تتجلى قوة الله بشكل افضل في ضعف رسوله، تُنتج الحياة في قلب المؤمنين (راجع ٢ قور ١٣: ٣+؛ ١٢: ٩+).

هل يترتب ان نرى تضاداً ما بين تأكيد الاية ٩ حيث يقدم بولس نفسه بصفته آخر الرسل (راجع اف ٣: ٧) والاية ١٠ حيث يتحدث عن اعماله الرسولية، وهي اكثر اهمية من اعمال سائر الرسل (راجع ٢ قور ١١: ٥، ٢٣؛ ١٢: ١١+)؟ لا. ليس ذلك تضاداً الا في المظهر. وهوذا القديس بولس ذاته يفسره لنا في ٢ قور ١٢: ٥: انه لا يتباهى شخصياً الا بالانسان الضعيف الذي هو عليه، والذي كان بالامس. وهكذا يستنير، في عين السياق، ذكره لنشاطه السابق ضد الكنيسة، الى جانب عمل نعمة الله التي اقامته رسولاً. وتلك طريقة، بها ينسب الى مبادرة الله دعوته الرسولية وكل ما تمّ بواسطتها. وسواء ذكرّ باعماله الرسولية (آ ١٠) او بالمواهب التي حظي بها (٢ قور ١٢: ١-٤)، أم لمّح الى معجزاته في الجماعات (٢ قور ١٢: ١٢؛ روم ١٥: ١٨+)، فتلك هي طريقته في تمجيد نعمة الله. وفيما كان على وعي تام انه ازاء "نعمة"، فهو لا يحتكرها قط لمنفعته، بل يعيدها الى الله ويمجده عنها. فبمثل هذا التجرد يبلغ الرسول الى الاقتداء بالمسيح بشكل كامل. وبوسع المؤمنين ان يستشفوا في ذلك علامة لا غبار عليها لحكمة الرسول، والدليل الذي يمكن التحقق منه بسهولة على اصالة مهمته بينهم.

خلاصة

١. موت المسيح وقيامته، اساس الايمان المسيحي

"فسواء كنت انا ام كانوا هم، هذا ما نعلنه، وهذا ما به آمنتم" (آ ١١).

هذه الاية الاخيرة من مقطعنا تذكّرنا، مرة اخيرة، ان موت المسيح يسوع وقيامته هما مركز العقيدة المسيحية بشأن الخلاص، موضوع ايماننا الاساسي. على هذه العقيدة، اذن، ان تلهم وتنير حياتنا المسيحية برمتها. لِنُشِرْ الى الصلة التي اقامها بولس بين الرسول وبين صفة شاهد عيان لقيامة المسيح. ولنذكّر ايضاً، من جديد، بالكرامة الخارقة والمهمة الفريدة للرسل في تأسيس كنيسة المسيح.

(٧) في الرسالتين الى القورنثيين يصف بولس غالباً مظاهر الضعف التي بها مارس رسالته. وتبدو "اغاني الضعف" (١ قور ٤: ٩-١٣؛ ٢ قور ٤: ٧-١٥؛ ٦: ٤-١٠؛ ١١: ٢٣-٣٣؛ ١٢: ٩+) وكأنها الدليل على اصالة خدمته الرسولية التي يطعن القورنثيون بها.

ان شهادة الرسل، وبالاخص شهادة القديس بولس، فيما يتعلق بموت المسيح وقيامته، هي من مستوى ديني، الا ان حدث الخلاص المسيحي الذي يبشّرون به، فهو متجذّر في واقع تاريخي، بحيث يُجهد القديس بولس نفسه في اثباته عبر سلسلة طويلة من الشهود. وهكذا فان الطابع التاريخي للمعطى المسيحي يُشهَد له بوضوح بشأن حدثه المركزي، على لسان مؤلف يسعى عادة الى استخراج ما فيه من معنى روحي. وهكذا يحق لنا، اذن، ان نؤكد على الطابع التاريخي لشخص يسوع والخلاص المسيحي في لاهوت القديس بولس. ألا يظهر هذا الطابع، وبشكل واضح، في بعض المناسبات الهامة بحيث يحق لنا ان نعتبره ضمنياً في كل الأحوال؟ وبالاكثر، فان قيامة المسيح، وهي عربون قيامتنا (١٥: ٢٣)، هي الرهان للتحول النهائي بالكامل لطبيعتنا بصفة بشر. وليس بوسع هذه النقطة الاخيرة من العقيدة، ان تكون قط موضوع شك، ما ان أُقيم الدليل القاطع على حقيقة قيامة المسيح.

٢. المعطى الروحي ومتطلبات الاضارة البشرية

سنجد من الطبيعي، ان اليونانيين -وكانت المادة، بالنسبة لهم، وبالتالي الجسد البشري، يشكلان مبدئياً عنصراً من الضعف وعائقاً دون كمال الانسان- اعتبروا الجسد عنصراً بالياً ومؤقتاً لا يمكن ان يجد له مكاناً بعد الموت. وهكذا كان من الصعب على بعض مسيحيي قورنتس ان يتقبّلوا فكرة قيامة الاموات وكانوا يتجادلون فيها.

وهوذا بولس يتبنى من اجلهم موقفاً اعتيادياً ازاء كل تساؤل بشأن المعطى المسيحي. وهذا الموقف ما زال مفيداً بشكل خاص لعصرنا، حيث ان التغييرات العميقة في ظروف الحياة والفكر تحمل بعض المؤمنين على الشك في عدد من القيم المسيحية، او على الاقل في هذه او تلك من التعابير البشرية عنها. فبولس، في جوابه للقورنثيين، جابه الحضارة اليونانية المسؤولة عن صعوباتهم، وكانت له الشجاعة في مواجهة اعتراضاتهم، مع حرصه في الحفاظ على المعطى الروحي بكل صفائه.

فما يرفضه بولس في ١ قور ١٥ هو تلك المجادلة **البشرية** في معطى ايماني. فاذا كان المسيحي يحاول ان يفهم المعطى المسيحي، فلكي يقبله بشكل افضل، بكليته، بمعية ايمان مستنير وسخي، لا لكي يقرر بشأن ما يأخذه منه او يتخلى عنه. فاذا كان يريد ان يخلُص، عليه ان يمنح ولاءه، دون حدود البتة، للوحي الذي اعطاه اياه الله في المسيح.

نحن نحرص على القلق الشرعي بشأن الحقيقة التاريخية وعرضها النقدي. ذلك اننا مسؤولون عن طرقنا الخاصة في التفكير، كما ايضاً عن عدد من الصيغ الحضارية لمعاصرينا الذين يرتقون الى

الايمان المسيحي. ونظراً إلى كل هذا، علينا ان نعطي جواباً مسيحياً حالياً للقضايا الانسانية والدينية المطروحة اليوم. فمن النافل ان نكرر اجوبة اللاهوتيين او المسيحيين من زمن غابر. قد نستلهم الكثير من مَثَلهم –وتلك حكمة– مع الاحتفاظ دوماً بالمعطى الروحي الذي هو وديعة تحافظ عليها الكنيسة، ورفض كل تنازل قد يعرّض للخطر اصالة الايمان بالمسيح.

٣. انجيل وتقليد

بوسعنا اخيراً ان نطرح السؤال: هل وديعة الوحي محفوظة فقط في الاناجيل والرسائل الرسولية الملهمة، او انها محفوظة ايضاً في التقليد الرسولي والكنسي، وهو التقليد المحفوظ في الكنيسة كما يفهمه اوريجانس؟ بحسب نصنا، سيكون من الخطأ ان نجعل تضاداً بين الانجيل بصفته كلمة روحية والهية، وبين التقليد الذي يبدو وكأنه يقتصر على ملخّص بشري للكرازة الانجيلية. فكما ان الكتاب المقدس لا يُفهم الا في الروح (٢ قور ٣)، كذلك فان الكرازة بشأن التقليد، على لسان الرسول او النبي المواهبي، لا يمكنها ان تتم الا بالروح (١ قور ١٢: ٣). فهذا الروح عينه، المبدأ الوحيد للكتاب المقدس والتقليد، هو الذي انجز التغيير الخارق في بولس، باعطائه معرفة روحية عميقة لسر المسيح وكنيسته (راجع اف ٣: ٣+).

موت المسيح وقيامته! ذلك ما هو أساسي في الانجيل: وحدها الحكمة التي يهبها الروح القدس، بوسعها ان تتغلب على العثرة او الجنون (راجع ١ قور ١: ١٨+)؛ انه الموضوع الاساسي نفسه للتقليد، وهو صدى الكتاب المقدس وتفسيره الحي، ويُعلَن بقوة الروح.

المحتوى

كلمة الناشر ٧

مقدمة ٩

مرقس

النساء عند القبر [مرقس ١٦: ١-٨] ٢٣

لوقا

"ليس هو ههنا بل قام" [لوقا ٢٤: ١-١٢] ٣٥

ظهورات المسيح القائم بحسب لوقا [لوقا ٢٤: ١٣-٤٨] ٤٧

تأمل بين الفصح والعنصرة [لوقا ٢٤: ٤٤-٥٣] ٦٩

يوحنا

اكتشاف القبر فارغاً [يوحنا ٢٠: ١-٩] ٨٧

ظهوري القائم وموهبة الروح [يوحنا ٢٠: ١٩-٢٣] ١٠١

من الخبرة الى الايمان [يوحنا ٢٠: ٢٤-٣١] ١١٩

متى

علامات القيامة [متى ٢٨: ١-١٠] ١٣٧

"تلمذوا كل الامم" [متى ٢٨: ١٦-٢٠] ١٥١

بولس

التأكيد على قيامة المسيح [١ كورنثس ١٥: ١-١١] ١٦٧

ملفات الكتاب المقدس

مجلة بيبلية متخصصة مصورة، معربة عن الفرنسية *Les Dossiers de la Bible* تصدر منذ عام ٢٠٠٠ عن دار بيبليا للنشر بوتيرة اربعة ملفات في السنة.

السنة الاولى ٢٠٠٠
١- الحديث عن القيامة/أيلول
٢- الافخارستيا/ كانون الأول

السنة الثانية ٢٠٠١
٣- ايليا واليشاع/كانون الثانى
٤- امثال يسوع/نيسان
٥- ما وراء الموت/تموز
٦- عجائب يسوع/تشرين الأول

السنة الثالثة ٢٠٠٢
٧- قراءة في انجيل متى/كانون الثانى
٨- اعمال الرسل/نيسان
٩- قراءة في مؤلف لوقا/تموز
١٠- حزقيال النبى/تشرين الأول

السنة الرابعة ٢٠٠٣
١١- اناجيل الطفولة/كانون الثانى
١٢- القديس بولس/نيسان
١٣- سفر يونان/تموز
١٤- كنيسة البدايات/تشرين الأول

السنة الخامسة ٢٠٠٤
١٥- القديس مرقس/كانون الثانى
١٦- سفر المزامير/نيسان
١٧- النبي عاموس/تموز
١٨- صلاة الابانا/تشرين الأول

السنة السادسة ٢٠٠٥
١٩- انجيل يوحنا/كانون الثانى
٢٠- الروح القدس/نيسان
٢١- الاناجيل المنحولة/تموز
٢٢- اشعيا النبى/تشرين الأول

السنة السابعة ٢٠٠٦
٢٣- سفر ايوب/كانون الثانى
٢٤- ارميا النبي/نيسان
٢٥- سفر الرؤيا/تموز
٢٦- الغفران في ك. م./تشرين الأول

السنة الثامنة ٢٠٠٧
٢٧- اشعيا الثاني وتلاميذه/كانون الثانى
٢٨- أوجه يسوع/نيسان
٢٩- الآلام بحسب يوحنا/تموز
٣٠- سفر الخروج/تشرين الأول

السنة التاسعة ٢٠٠٨
٣١- لا فقراء بعد اليوم!/كانون الثانى
٣٢- الآلام بحسب انجيل لوقا/نيسان
٣٣- روح العنصرة/تموز
٣٤- العهد: من سيناء الى يسوع/تشرين الأول

السنة العاشرة ٢٠٠٩
٣٥- العماذ في ك.م.+عدد خاص/كانون الثانى
٣٦- بولس وقورنتس/نيسان
٣٧- حين يتكلم الله/تموز
٣٨- مريم، ام يسوع/تشرين الأول

السنة الحادية عشرة ٢٠١٠
٣٩- اورشليم مدينة السلام/ كانون الثانى
٤٠- كما في الكتب/ نيسان
٤١- واعطاها اسما (الحيوانات في ك.م.)/نيسان
٤٢- روايات الكتاب المقدس/ تشرين الاول

السنة الثانية عشرة ٢٠١١
٤٣- الجبل في الكتاب المقدس/كانون الثانى
٤٤ — الحرب والسلام/نيسان
٤٥ — ابراهيم خليل الله/تموز
٤٦ — طرق لتفسير الكتاب المقدس/تشرين الاول

السنة الثالثة عشرة ٢٠١٢
٤٧- ملائكة الميلاد/ كانون الثانى
٤٨ — يسوع من الناصرة/نيسان
٤٩ — هل املى الله الكتاب المقدس/ تموز
٥٠ — الله الخالق / تشرين الاول

السنة الرابعة عشرة ٢٠١٣
٥١- ينابيع وآبار/ كانون الثانى + عدد خاص
٥٢- بولس رسول الأمم/ نيسان
٥٣- الغريب في الكتاب المقدس/ تموز
٥٤- قراءة مألوفة في الكتاب المقدس/ تشرين الاول

السنة الخامسة عشرة ٢٠١٤
٥٥- يوحنا المعمذان/ كانون الثانى
٥٦- الأعياد في الكتاب المقدس/ نيسان

المجموعة الكاملة (١-٥٤) ٨٠٠٠٠ د

تتوفر مجموعات من الملفات باسعار مخفضة

مجموعة ٨ اعوام (٢٠٠٦ — ٢٠١٣)	الملفات ٢٣ - ٥٤	٣٢٠٠٠ د.
مجموعة ٤ أعوام (٢٠٠٩ — ٢٠١٢)	الملفات ٣٥ - ٥٠	١٦٠٠٠ د.
مجموعة ٣ اعوام (٢٠١١ — ٢٠١٣)	الملفات ٤٣ - ٥٤	١٢٠٠٠د.

مختارات الفكر المسيحي

سلسلة توثق ما نشرته مجلة الفكر المسيحي بين الاعوام ١٩٧١-١٩٩٤. لا سيما في ابوابها الثابتة.

صدر منها سابقا:

(-) تاريخ الكنيسة الشرقية (الموصل ١٩٧٣)، همسات ابو فادي /ج١ (بغداد ١٩٨٥)، ابت هذه مشكلتي (بغداد ٢٠٠٤)

ومنذ عام ٢٠٠٦ عمدت دار بيبليا للنشر إلى مواصلة إصدار كتب هي بحق "مختارات الفكر المسيحي"

٣

٢٩٠ص/٢٠٠٦ (٢٥٠٠د.)

٤

٥٠٠ص/٢٠٠٧ (٣٥٠٠د.)

٥

١٨٠ص/٢٠٠٧ (٢٠٠٠د.)

٦

٢١٠ص/٢٠٠٩ (٢٥٠٠د.)

٧

٢٨٤ص/٢٠٠٨ (٢٠٠٠د.)

٨

٥٠٨ص/٢٠١٠ (٣٥٠٠د.)

٩

٢٩٢ص/٢٠١١ (٣٠٠٠د.)

١٠

٤٨٠ص/٢٠١١ (٣٥٠٠د.)

١١

٤٤٠ص/٢٠١٢ (٣٥٠٠د.)

١٢

٤٥٢ص/٢٠١٢ (٣٥٠٠د.)

١

٢٧٢ص/٢٠١٣ (٣٠٠٠د.)

ظهر منها منذ ٢٠٠٦

اعلان:

تتوفر اعداد من مجلة الفكر المسيحي للسنوات ١٩٧١-١٩٩٤. في شكل مجموعات.

• المجموعة الكاملة (بكمية محدودة)	٢٤ عاما	٢٥٠٠٠٠د.
• المجموعة الكاملة (عدا ١٩٧٥-١٩٧٧)	٢١ عاما	١٠٠٠٠٠د.
• مجموعة اعداد ١٩٨١-١٩٩٤	١٤ عاما	٥٠٠٠٠د.
• الاعداد الخاصة للاعوام ١٩٧٨-١٩٩٤	(١٦عدداً)	٧٠٠٠د.

سلسلة رواقد

سلسلة كتب تستقبل نتاجات المؤلفين والمترجمين في موضوعات حيوية راهنة وفي مختلف مجالات المعرفة، والدينية منها بنوع خاص.

ظهر فيها:

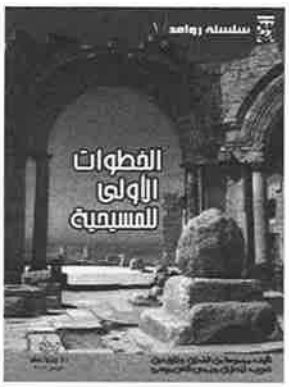

١. الخطوات الأولى للمسيحية في الشرق

بقلم مجموعة من الباحثين والمؤرخين

تعريب: المطران جرجس القس موسى

دار بيبليا للنشر / ١٢٠ص – الموصل ٢٠١٢ (٤٠٠٠ د.)

٢. مختطف يعيد قراءة حياته

بقلم: الاب بيوس عفاص

دار بيبليا للنشر/ ٢٣٢ص – الموصل ٢٠١٣ (٣٠٠٠د.)

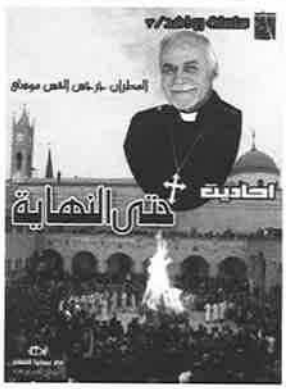

٣. حتى النهاية

احاديث

بقلم: المطران جرجس القس موسى

دار بيبليا للنشر/ ١٥٢ص – الموصل ٢٠١٤ (٢٠٠٠د.)

يظهر الرقم ٤ بعنوان "صلاة تسليم الذات" / اوائل ٢٠١٥

- **في سلسلة "امسيات الأحد"/ الاباء البولسيون-لبنان**
العدد ٤٧: العلماء والدين العدد ٥٢: الكسي كارل

- **في سلسلة "الفكر المسيحي"/كهنة يسوع الملك- الموصل (١٩٦٤-١٩٧٠)**
الأعداد: ١. الكنيسة عبر القارات، ٩. صندوق الاسئلة، ١٥. صندوق الاسئلة ٢٠، العلم والدين، ٢٣. صندوق الاسئلة، ٣٠. الانبياء، اعلنوا المسيح، ٤٥. صندوق الاسئلة، ٤٩. هل الايمان عثرة؟، ٥٦. صندوق الاسئلة.

- **في سلسلة "كلام الله"/الاباء الدومينيكيون-الموصل**
– الكتاب المقدس والانجيل / العدد ٥ الموصل ١٩٦٢
– لوقا، انجيليّ المخلص / العدد ١١ الموصل ١٩٦٤

- **في سلسلة "الحياة الروحية" / دار المشرق-بيروت**
– صل لتحيا: الاب رنيه فوايوم بيروت ١٩٨٠ (ط٤ ١٩٩٩)

- **في سلسلة "دراسات في الكتاب المقدس"/دار المشرق-بيروت**
- ٢٢. الله ابونا: الاب جان بويي بيروت ٢٠٠٠

في سلسلة "ابحاث كتابية"/دار بيبليا للنشر-الموصل

١. قراءة مجددة للعهد الجديد (تأليف) الموصل ١٩٩٩
٢. يسوع الذي من الناصرة/بقلم مرقس الانجيلي الموصل ٢٠٠٢
٣. قراءة في العهد القديم/ج١ قبل الجلاء الموصل ٢٠٠٣
٤. قراءة في العهد القديم/ج٢ من الجلاء الى يسوع الموصل ٢٠٠٤
٥. قراءة في العهد الجديد/ج١ الاناجيل الاربعة الموصل ٢٠٠٤
٦. قراءة في العهد الجديد/ج٢ اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا الموصل ٢٠٠٤
٩-١٠. روايات الآلام والقيامة الموصل ٢٠٠٦
١٣. الانجيل بحسب القديس متى (سلسلة تفاسير/١) الموصل ٢٠٠٨
١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا (سلسلة تفاسير/٤) الموصل ٢٠٠٩
٢١. الانجيل بحسب القديس لوقا (سلسلة تفاسير/٣) الموصل ٢٠١٢
٢٥. بشرى القيامة الموصل ٢٠١٤

- **في سلسلة روافد**
٢ مختطف يعيد قراءة حياته (تأليف) الموصل ٢٠١٣

- **في سلسلة "مختارات الفكر المسيحي"/بيبليا للنشر**
– اسئلة واجوبة (٣)–اعداد وتقديم الموصل ٢٠٠٦
– افتتاحيات (٤)–اعداد وتقديم الموصل ٢٠٠٧
– من وحي الانجيل (٦)–اعداد وتقديم الموصل ٢٠٠٨
– خواطر وشذرات (٧)–اعداد وتقديم الموصل ٢٠٠٩
– المختار من الاعداد الخاصة (٨)–اعداد وتقديم الموصل ٢٠١٠
– كتاب رحلوا وتركوا أثرا (٩)–اعداد وتقديم الموصل ٢٠١١
– ملفات الفكر المسيحي (١٠)–اعداد وتقديم الموصل ٢٠١١
– من البيدر العتيق (١١)–اعداد وتقديم الموصل ٢٠١٢
– ثلاثون عاما مع القلم (١٢)–اعداد وتقديم الموصل ٢٠١٢
– مقابلات ولقاءات (١٣)–اعداد وتقديم الموصل ٢٠١٣

- **في ملفات "الكتاب المقدس"/بيبليا للنشر**
(١) الحديث عن القيامة/ايلول ٢٠٠٠، (٢) الافخارستيا/ك١ ٢٠٠٠، (٥) ما وراء الموت/تموز ٢٠٠١، (٩) قراءة في مؤلف لوقا/تموز ٢٠٠٢، (١١) اناجيل الطفولة/ك٢ ٢٠٠٣، (١٩) انجيل يوحنا/ك٢ ٢٠٠٥، (٢٤) ارميا النبي/تموز ٢٠٠٦، (٢٨) اوجه يسوع/نيسان ٢٠٠٧، (٣٢) الآلام بحسب انجيل لوقا/نيسان ٢٠٠٨، (٣٧) حين يتكلم الله/تموز ٢٠٠٩، (٤١) وأعطاها اسما/ت١ ٢٠١٠، (٥١) ينابيع وآبار/ك٢ ٢٠١٢، (٥٢) بولس رسول الامم/نيسان ٢٠١٣، (٥٤) قراءة مألوفة للكتاب المقدس/ت١ ٢٠١٣.

– الصحافة المسيحية (تحليل مجلة الفكر المسيحي) اطروحة بالفرنسية/لوفان ١٩٧٦
– كنيسة مار توما، في ماضيها وحاضرها (مستنسخ) بيبليا للنشر–الموصل ٢٠٠١

كتب للسحب

انجزت مطبعة الديوان طبع هذا الكتاب في ٣١ اذار ٢٠١٤

سلسلة ابحاث كتابية

١. قراءة مجددة للعهد الجديد — تاليف: أ. بيوس عفاص ٥٤٠ص/١٩٩٩ (٤٠٠٠ د)

٢. يسوع الذي من الناصرة، بقلم مرقس الانجيلي — تعريب: أ. بيوس عفاص ٢٢٤ص/٢٠٠٢ (١٠٠٠ د)

٣. قراءة في العهد القديم/ج١: قبل الجلاء — ٢٤٠ص/٢٠٠٣ (١٥٠٠ د)

٤. قراءة في العهد القديم/ج٢: من الجلاء الى يسوع — ٢٧٢ص/٢٠٠٤ (٢٠٠٠ د)

٥. قراءة في العهد الجديد/ج١: الاناجيل الاربعة — ٢٥٦ص/٢٠٠٤ (٢٠٠٠ د)

٦. قراءة في العهد الجديد/ج٢: اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا — ٢٥٦ص/٢٠٠٤ (٢٠٠٠ د)

(وتؤلف الاجزاء الاربعة الاخيرة، من تعريب الأب بيوس عفاص [وتضمها علبة خاصة] مدخلا متكاملا الى الكتاب المقدس بسعر ٨,٠٠٠ دينار)

سعر خاص للجزئين من [قراءة في العهد الجديد]: ٣٠٠٠ د. فقط

٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل
تأليف: أ. ريمولد براون
ت: م. جرجس القس موسى ٢٠٨ص/٢٠٠٥ (٢٠٠٠ د)

٨. لوقا - الاعمال/ وعد التاريخ
تأليف: دونالد بونيل
تعريب: أ. البير ابونا ٢٠٠ص/٢٠٠٦ (٢٠٠٠ د)

٩-١٠. روايات الآلام والقيامة/ بحسب الانجيليين الاربعة
تأليف: أ.بيير بنوا
تعريب: أ.بيوس عفاص ٣٣٦ص/٢٠٠٦ (٢٥٠٠ د)

١١. يسوع الذي هو المسيح
تأليف: أ.برنار راي
ت: م. جرجس القس موسى ١٣٦ص/٢٠٠٧ (٢٠٠٠ د)

١٢. من اجل ايمان جاد/ الايمان بحسب القديس يوحنا
تأليف: ك. كارلو مارتيني
تعريب: أ. البير ابونا ١٧٦ص/٢٠٠٨ (٢٠٠٠ د)

١٣. الانجيل بحسب القديس متى/ سلسلة تفاسير ١
تأليف: كلود تاسان
تعريب: أ. بيوس عفاص ٢٨٨ص/٢٠٠٨ (٣٠٠٠ د)

١٤. مذكرات مريم، فتاة الناصرة
تأليف: جاكلين سافيريا هوري
ت: م. جرجس القس موسى ٢٨٨ص/٢٠٠٩ (٣٠٠٠ د)

١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا / سلسلة تفاسير ٤
تأليف: الان مرشدور
تعريب: أ. بيوس عفاص ٢٨٠ص/٢٠٠٩ (٣٠٠٠ د)

١٦. رسائل القديس بولس/ج١: سلسة تفاسير ٦
الرسالتان الى القورنثيين
تأليف: بول دي سبرجي وموريس كاريز
ت: م. جرجس القس موسى ٢٣٢ص/٢٠١٠ (٣٠٠٠ د)

١٧. رسائل القديس بولس /ج٢: سلسلة تفاسير ٧
الرسالتان الى روما وغلاطية
تأليف: جان-بيير ليمولون
تعريب: الاخت باسمة الخوري ٢١٦ص/٢٠١٠ (٣٠٠٠ د)

١٨. رسائل القديس بولس / ج٣: سلسلة تفاسير ٨
الرسائل التسع الاخرى
تأليف: شانتال رينييه وميشيل تريماي
تعريب: أ.البير ابونا ٣٤٠ص/٢٠١١ (٣٠٠٠د)

(وتؤلف الاجزاء الثلاثة الاخيرة "ثلاثية" تغطي رسائل بولس الثلاث عشرة، بسعر خاص: ٧٠٠٠ د. فقط)

١٩. الرسائل الاخيرة / سلسلة تفاسير ٩
تأليف: ادواركوثنيه ,ميشيل موركن, البير فانوا
تعريب: أ. فادي مسلّم ٢٤٨ص/٢٠١١ (٣٠٠٠د)

٢٠. الانجيل بحسب القديس مرقس/سلسلة تفاسير ٢
تأليف: جاك هيرفيو
تعريب: الخوري بولس الفغالي ٢٤٠ص/٢٠١٢ (٣٠٠٠د)

٢١. الانجيل بحسب القديس لوقا/ سلسلة تفاسير ٣
تأليف: هيك كوزان
تعريب: الاب بيوس عفاص ٣٢٠ص/٢٠١٢ (٣٥٠٠د)

(الاناجيل الاربعة مجتمعة تباع بسعر خاص: ١٠٠٠٠ د. فقط)

٢٢. سفر الرؤيا/ سلسلة تفاسير ١٠
تأليف: جان-بيير بريفو
تعريب: م. جرجس القس موسى ١٦٨ص/٢٠١٣ (٢٠٠٠د)

٢٣- سفر أعمال الرسل / سلسلة تفاسير ٥
يظهر في غضون عام ٢٠١٤

٢٤- دليل الى العهد الجديد
تأليف: الأب اسطيفان شربنتييه وريجيس بورنيه
تعريب: م. جرجس القس موسى ٢٥٦ص/٢٠١٣ (٣٠٠٠د)

٢٥- بشرى القيامة
تأليف: مجموعة من الاختصاصيين
تعريب: الأب بيوس عفاص ١٩٢ص/ ٢٠١٤ (٢٠٠٠د)

... ان سلسلتين من الأحداث التاريخية تتداخلان. فمن جهة، هناك، في زمن الأحداث ذاته، أناس مشهود لهم بالمصداقية ومنزهون عن كل دافع مشبوه يحمل على الشك، ولا يمكن الطعن في نزاهتهم، يؤكدون انهم تلقوا وحيا بأن المصلوب قد أقيم، ويشهدون، وبشكل لا غبار عليه، انهم رأوا القائم. ومن جهة أخرى، فان شهادتهم واعلانهم هذه البشرى السارة أيقظا، حتى اليوم، ايمان جمهور كثير؛ وهذا الجمهور هو ذاته حدث تاريخي وشهادة لا بد من أخذها بعين الاعتبار.

وها نحن بالتأكيد على مستوى آخر بالتمام. فحدث قيامة يسوع المصلوب، وبالأخص حقيقة يسوع القائم ذاته، ليسا في متناول الخبرة البشرية المباشرة، وانما هما من قبيل الايمان وحده، وهو حقيقة أكثر قوة وأكثر ثباتا من أية حقيقة أخرى، كما انها ليست بالتالي أقلَ من غيرها -بل بالعكس- كونها مؤسسة بشكل موضوعي، وتستند على الشهادة المضاعفة لأولئك الذين رأوا، وعلى الأسفار المقدسة.

لقد كتبت الأناجيل لتمكننا من أن نلتقي خبرة الشهود الأوائل المؤسِّسة، وتمنحنا القدرة على رؤية العلامات التي بفضلها يتجلى معنى أحداث الفصح، لكي، نؤمن نحن أيضا، وإذا ما آمنا نكون لنا الحياة باسم يسوع القائم [يو ٢٠: ٣٠].

يطلب من مكتبة بيبليا -كنيسة مار توما
الموصل - العراق
سعر النسخة: ٢٠٠٠ دينار

شركة الديوان للطباعة والنشر
بغداد-العراق